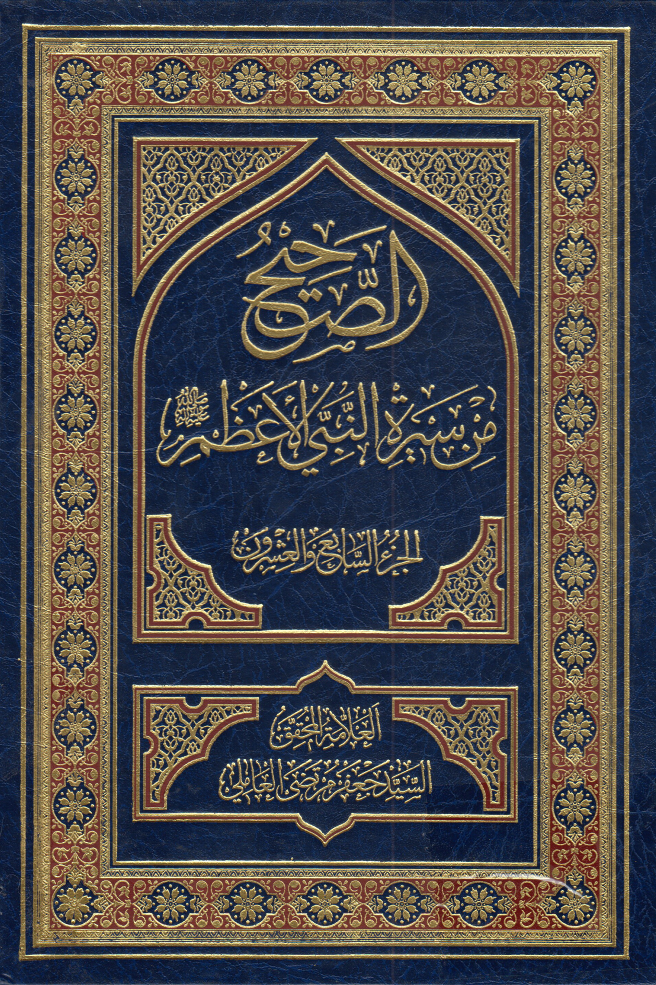

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله
الجزء السابع والعشرون
العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم









الجزء السابع والعشرون

الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ

(الجزء السابع والعشرون)

للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دارالحديث للطباعة والنشر

المطبعه: دارالحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ ق ـ ٢٠٠٧ م ـ ١٣٨٦ هـ ش

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٠٥٤٥ ٧٧٤٠ ـ ٠٥٢٣ ـ ٧٧٤٠ ٠٢٥١ / فاكس: ٧٧٤٠٥٧١ ٠٢٥١ / ص.ب ٤٤٦٨ / ٣٧١٨٥

لبنان ـ بيروت ـ حارة حريك ـ خلف الضمان الاجتماعي ـ بناية فروزان. تلفاكس: ٢٧٢٦٦٤ ـ ١ ـ ٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

http://www.hadith.net

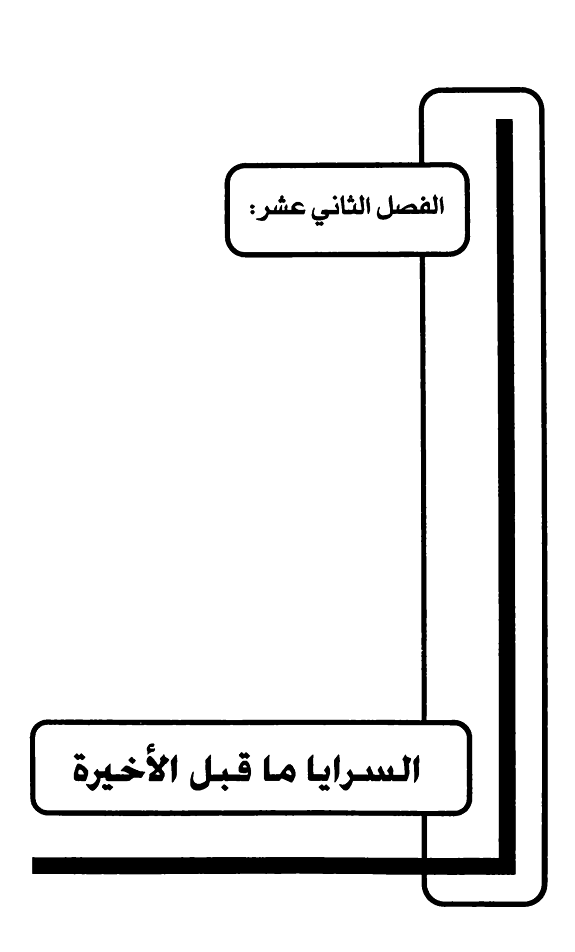
hadith@hadith.net

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

ISBN: 978 - 964 - 493 - 199 - 4

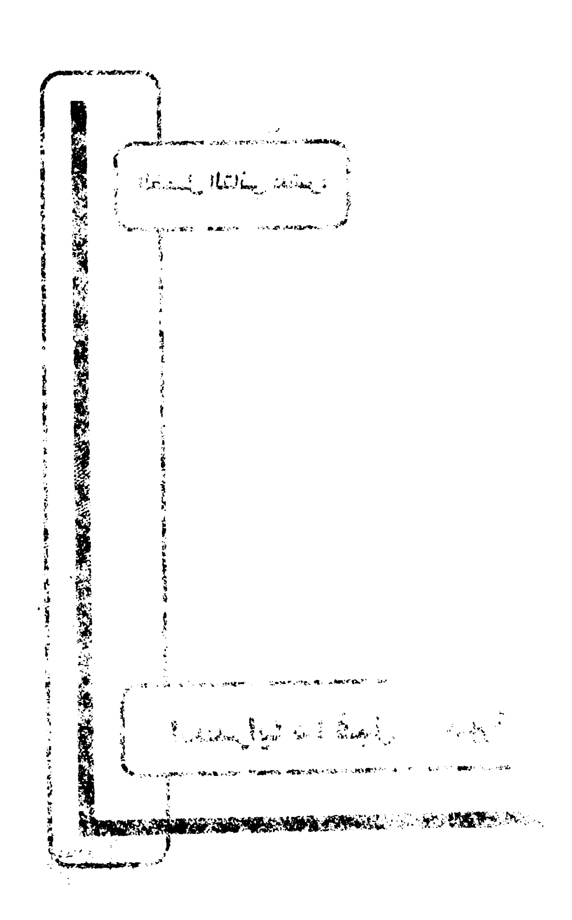






الفصل الثاني عشر:

السرايا ما قبل الأخيرة



هدم الكعبة اليمانية:

روى الشيخان عن جرير بن عبد الله البجلي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال له: «ألا تريحني من ذي الخلصة»؟ وكان بيتاً لخثعم وبجيلة، فيه نصب تعبد، تسمى الكعبة اليمانية.

قال جرير: فنفرت في مائة وخمسين راكباً من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فضرب في صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري، وقال: «اللهم ثبته على الخيل، واجعله هادياً مهدياً»[1].

قال: فأتيناه، فكسرناه، وحرقناه، وقتلنا من وجدنا عنده.

وبعثت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجلاً يبشره يكني أبا أرطأة. فأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «يا رسول الله، (والذي بعثك بالحق) ما جئتك حتى تركناها كأنها جمل أجرب».

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٤ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٢٣٤. وراجع: طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٧٨ وأسد الغابة ج١ ص٢٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص١٥٨ وصحيفة النبي ص١٢١ والمصباح المضيء ج١ ص٢٤٨ والإصابة ج١ ص٢٣٢ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٢٣٤ عمدة القاري ج١٤ ص٢٧٩ وإمتاع الأسماع ج١٢ ص٥٥.

قال: «فبرك رسول الله «صلى الله عليه وآله» على خيل أحمس ورجالها خمس مرات».

قال جرير: فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدعا لنا ولأحمس[1].

ونقول:

١ ـ قال أبو عمر: كان إسلام جرير في العام الذي توفي فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال جرير: أسلمت قبل موت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأربعين يوماً[2].

وقال العسقلاني: وهو غلط، ففي الصحيحين عنه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال له: استنصت الناس في حجة الوداع، وجزم الواقدي: بأنه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٤ عن الشيخين، وفي هامشه عن: البخاري في الصحيح (كتاب المغازي) (٤٣٥٥) انتهى. وراجع: طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٧٨ وأسد الغابة ج١ ص٢٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص١٥٨ وصحبة النبي ص١٢١ والمصباح المضيء ج١ ص٢٤٨ والإصابة ج١ ص٢٣٢ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص ٢٣٤ومسند أحمد ج٤ ص٣٦٠ و٣٦٢ وصحيح البخاري ج٤ ص٣٨ وج٥ ص١١٢ وصحيح مسلم ج٧ ص١٥٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٧٤ وعمدة القاري ج١٥ ص١٠ وج١٨ ص١١ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص ٢٠٤ وأمالي المحاملي ص٣٤٩ والمعجم الكبير ج٢ ص٣٠٠ والإستيعاب ج٤ ص١٥٩٦ والبداية والنهاية ج٤ ص٤٣٢ وج٥ ص٩٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٧١٢ وج٤ ص١٥٣.

(٢) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٢٣٣ و (ط دار الجيل) ص٢٣٧ والإصابة ج١ ص٢٣٢وأعيان الشيعة ج٤ ص٧٢.

وفد على النبي «صلى الله عليه وآله» في شهر رمضان سنة عشر[١].

وله ذكر في حديث موت النجاشي. وموته قد كان قبل سنة عشر[٢].

٢ ـ قد تقدم في أول الكتاب: أنهم بسبب حسدهم للكعبة أنشأوا الكعبة الشامية واليمانية، وما إلى ذلك، بل إن أبرهة جاء من اليمن بفيلته ليهدم الكعبة، فأهلكه الله هو وجيشه، ونزلت سورة الفيل لتحكي لنا قصتهم.

٣ ـ إن هؤلاء يصنعون آلهتهم، ويتخذون أرباباً لأنفسهم ﴿لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[٣]، في مناقضة منهم ظاهرة لحكم العقل، والمنطق، والفطرة، والوجدان..

٤ ـ أما ما ادَّعته الروايات لجرير بن عبد الله البجلي من دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» له، فنحن نشك فيه، بل نعتقد أنه مصنوع له، مكافأة له على مواقفه من علي «عليه السلام».

فقد روي: أن مسجد جرير من المساجد الملعونة، فعن أبي جعفر «عليه السلام»: فأما المساجد الملعونة، فمسجد ثقيف، ومسجد الأشعث، ومسجد

---

(١) الإصابة ج١ ص٢٣٢ وص٥٨٢ وراجع: عمدة القاري ج١٦ ص٢٨٢وتهذيب التهذيب ج٢ ص٦٤ وأعيان الشيعة ج٤ ص٧٢ والمسح في وضوء الرسول للآمدي ص١٣٨ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٢.

(٢) الإصابة ج١ ص٢٣٢ وص٥٨٢ وراجع: والمسح في وضوء الرسول للآمدي ص١٣٨ وأعيان الشيعة ج٤ ص٧٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٢.

(٣) الآية ٢٠ من سورة النحل.

جرير بن عبد الله البجلي، ومسجد سمَّاك بن أبي خرشة[١].

وقد قال هو والأشعث بن قيس لضبّ مر بهما: يا أبا الحسن (أو يا أبا الحسل)، هلم نبايعك.

فبلغ ذلك علياً «عليه السلام»، فقال: الخ..[٢].

وجددت أربعة مساجد بالكوفة، فرحاً بقتل الحسين «عليه السلام»: مسجد الأشعث، ومسجد جرير، ومسجد شبث[٣].

ونظن: أن المقصود هو: فرحهم بقتل علي «عليه السلام»، لأن جريراً توفي قبل استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام» سنة أربع وخمسين، أو سنة إحدى وخمسين[٤].

وكان فارق علياً «عليه السلام» إلى معاوية، وخرب علي «عليه السلام»

---

(١) تهذيب الأحكام ج٣ ص٢٥٠ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج٣ ص٥١٩ وراجع: المزار للمشهدي ص١١٨ والمفيد من معجم رجال الحديث للجواهري ص١٠٤ ومجمع البحرين للطريحي ج١ ص٣٦٢.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٤ ص٧٥.

(٣) الكافي ج٣ ص٤٩٠ والخصال ج١ ص٣٠٠ وتذكرة الفقهاء للحلي (ط ج) ج٢ ص٤٢٦ و (ط ج) ج١ ص٩٠ ونهاية الإحكام ج١ ص٣٥٤ وذكرى الشيعة ج٣ ص١١٩ وجواهر الكلام ج١٤ ص١٣٩ وتهذيب الأحكام للطوسي ج٣ ص٢٥٠ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٥ ص٢٥٠ و (ط دار الإسلامية) ج٣ ص٥٢٠ والمزار للمشهدي ص١١٩ والبحار ج٤٥ ص١٨٩ والعوالم للبحراني ص٣٧٧ وجامع احاديث الشيعة ج٤ ص٥٤٦.

(٤) المعارف لابن قتيبة ص٩٩ والإصابة ج١ ص٢٣٢ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٢٣٤ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٥٣٦.

داره بالكوفة، كما هو معلوم[1].

سرية المغيرة لهدم الربة:

وقدم وفد ثقيف بعد رجوع النبي «صلى الله عليه وآله» من تبوك.

فقد روى البيهقي عن عروة، ومحمد بن عمر عن شيوخه، وابن إسحاق عن رجاله، قالوا: إن عبد ياليل بن عمرو، وعمرو بن أمية أحد بني علاج الثقفيان لما قدما على رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع وفد ثقيف وأسلموا قالوا: أرأيت الربة ماذا نصنع فيها؟

قال: اهدموها.

قالوا: هيهات، لو تعلم الربة أنَّا أوضعنا في هدمها قتلت أهلنا.

قال عمر بن الخطاب: ويحك يا عبد ياليل ما أحمقك، إنما الربة حجر لا تدري من عبده ممن لم يعبده.

قال عبد ياليل: إنَّا لم نأتك يا عمر.

وقالوا: يا رسول الله، اتركها ثلاث سنين لا تهدمها، فأبى.

فقالوا: سنتين، فأبى.

فقالوا: سنة. فأبى.

فقالوا: شهراً واحداً. فأبى أن يوقت لهم وقتاً، وإنما يريدون ترك الربة خوفاً من سفهائهم والنساء والصبيان، وكرهوا أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام.

---

(١) قاموس الرجال ج٢ ص٥٨٥ وراجع: الإصابة ج١ ص٢٣٢ والذريعة للطهراني ج٢ ص١٤١.

وسألوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يعفيهم من هدمها، وقالوا: يا رسول الله، اترك أنت هدمها، فإنَّا لا نهدمها أبداً.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنا أبعث أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة يهدمانها». فذكروا الحديث[1].

فعاد الوفد، وأخبروا قومهم خبرهم وخبر الربة.

فقال شيخ من ثقيف قد بقي في قلبه شرك بعد: فذاك والله مصداق ما بيننا وبينه، فإن قدر على هدمها فهو محق ونحن مبطلون، وإن امتنعت ففي النفس من هذا بعدُ شيء.

فقال عثمان بن أبي العاص: «منتك والله نفسك الباطل وغرتك الغرور. الربة والله ما تدري من عبدها ومن لم يعبدها».

وخرج أبو سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة وأصحابهما لهدم الربة. فلما دنوا من الطائف قال المغيرة لأبي سفيان: تقدم أنت على قومك.

وأقام أبو سفيان بماله بذي الهرم، ودخل المغيرة في بضعة عشر رجلاً يهدمون الربة. فلما نزلوها عشاء باتوا، ثم غدوا على الربة يهدمونها.

فقال المغيرة لأصحابه الذين قدموا معه: «لأضحكنكم اليوم من ثقيف».

فاستكَفَّت ثقيف كلها: الرجال، والنساء، والصبيان، حتى خرج العواتق من الحجال حزناً يبكين على الطاغية، لا يرى عامة ثقيف أنها

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٢٦ وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج٥ ص٣٠٢ وانظر البداية والنهاية ج٥ ص٣٣.

مهدومة، ويظنون أنها ممتنعة.

فقام المغيرة بن شعبة واستوى على رأس الدابة ومعه المعول، وقام معه بنو معتب دريئة بالسلاح مخافة أن يصاب كما فعل عمه عروة بن مسعود.

وجاء أبو سفيان وصمم على ذلك، فأخذ الكرزين، وضرب المغيرة بالكرزين ثم سقط مغشياً عليه يركض برجليه، فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وقالوا: أسعد الله المغيرة، قد قتلته الربة. زعمتم أن الربة لا تمتنع، بلى والله لتمنعن، وفرحوا حين رأوه ساقطاً، وقالوا: من شاء منكم فليقترب، وليجتهد على هدمها، فوالله لا يستطاع أبداً.

فوثب المغيرة بن شعبة وقال: قبحكم الله يا معشر ثقيف إنما هي لكاع، حجارة ومدر، فاقبلوا عافية الله تعالى ولا تعبدوها، ثم إنه ضرب الباب فكسره، ثم سورها وعلا الرجال معه، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سووها بالأرض، وجعل السادن يقول: ليغضبن الأساس، فليخسفن بهم.

فلما سمع بذلك المغيرة حفر أساسها، فخرّبه حتى أخرجوا ترابها، وانتزعوا حليتها وكسوتها، وما فيها من طيب وذهب وفضة، وثيابها.

فبهتت ثقيف، فقالت عجوز منهم: أسلمها الرضاع، لم يحسنوا المصاع.

وأقبل أبو سفيان والمغيرة وأصحابهما حتى دخلوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بحليّها وكسوتها، وأخبروه خبرهم، فحمد الله تعالى على نصر نبيه، وإعزاز دينه. وقسم رسول الله «صلى الله عليه وآله» مال الطاغية من يومه، وسأل أبو المليح بن عرو ة بن (مسعود بن معتب الثقفي) رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن (يقضي) عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: (نعم).

فقال له قارب بن الأسود: وعن الأسود يا رسول الله فاقضه، وعروة والأسود أخوان لأب وأم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن الأسود مات مشركاً».

فقال قارب: يا رسول الله، لكن تصل مسلماً ذا قرابة، يعني نفسه، إنما الدين علي، وإنما أنا الذي أطلب به.

فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا سفيان أن يقضي دين عروة والأسود من مال الطاغية[1].

ونقول:

إن لنا هنا مؤاخذات، وإيضاحات، نذكرها فيما يلي:

خرافة تشغل بال الزعماء:

إن أول ما يطالعنا في النص المتقدم: أن ما يشغل بال عبد ياليل، وعمرو بن أمية حتى بعد أن أسلما هو مصير الصنم الذي كانوا يعبدونه، أو بالأحرى مصيرهم معه، حيث الخوف منه كان مهيمناً عليهما، وكانا يبحثان عن مخرج.

فلما قال لهم النبي «صلى الله عليه وآله»: «إهدموها»، أخذهما الخوف، وتكلما بالمتناقضات.. فقالوا: هيهات لو تعلم الربة أننا أوضعنا في هدمها، لقتلت أهلنا».

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٢٦ و ٢٢٧ والسيرة النبوية للحميري ج٤ ص٩٦٩ وعيون الأثر ج٢ ص٢٧٤.

فهم إذ يقرون بأن الربة تجهل ما يدبرونه في أمرها. فما معنى عبادتهم لصنم يجهل ما يدبره عبَّاده في شأنه؟!

ثم عبَّروا عن خوفهم من الربة أن تقتل أهلهم، فلماذا تقدر على قتل أهلهم، ولا تقدر على معرفة ما يريدونه في شأنها؟!

ولماذا خافوا أن تقتل الربة أهلهم، ولم يخافوا من أن تقتلهم هم أنفسهم؟! إلا إذا كانوا قد تعودوا على نسبة كل ما يفرحهم أو يسوءهم إلى فعل الربة بهم، بزعم أنها غاضبة أو راضية عليهم، لسبب كذا، أو كذا.. ثم هم يشيعون ذلك ويتداولونه، فتتأكد رهبتها ومكانتها في نفوسهم بسبب جهلهم، وسذاجتهم..

طلب تأجيل هدم الصنم (الربة)!:

ولعل المبرر لطلبهم تأجيل هدم الربة ثلاث سنين، أو سنتين، أو سنة، أو شهراً.. هو أنهم يريدون أن يطمئنوا إلى أن ذلك الصنم سوف لا ينتقم منهم، بسبب تركهم له، وهذا الأمر لا ينتهي، ولا مجال لحسمه، إذ لعل أحداً منهم يأتيه أجله، أو يتفق تعرضه لحادث، فإنهم سوف يتوهمون أن الصنم هو الذي فعل ذلك بهم، حنقاً منه وغضباً عليهم، وسيفكرون بالعودة إليه، والتماس رضاه..

وأية قيمة لإيمان من هذا القبيل، حيث يكون ـ باستمرار ـ متمازجاً مع اعتقادهم بتأثير الصنم في سعادتهم، وشقائهم، وحاجتهم إلى إرضائه، والتزلف له باستمرار..

والذي دلنا على أن هذا هو سبب طلبهم تأجيل هدمه هو قولهم: «لو

تعلم الربة أننا أوضعنا في هدمها قتلت أهلنا».

ويؤكد لنا ذلك: أنهم طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعفيهم من هدمها.

وكذلك قولهم له: فإنَّا لا نهدمها أبداً.. كما تقدم.

فجاء الموقف الحاسم والحازم الذي يقضي بضرورة المبادرة إلى هدم ذلك الصنم، لكي تنقطع علاقتهم به، ويزول خوفهم منه..

وبذلك يتضح عدم صحة التعليل الذي ذكره رواة النص الذي نقلناه، وهو: أنهم أرادوا ترك الربة خوفاً من سفهائهم، والنساء والصبيان.. وكرهوا أن يروعوا قومهم بهدمها، حتى يدخلهم الإسلام، فقد عرفنا أن بقاء هذا الصنم، سوف يكون مانعاً قوياً من دخول الإسلام إلى قلوبهم..

سبب اختيار أبي سفيان والمغيرة:

وقد اختار «صلى الله عليه وآله» لهدم صنم ثقيف كلاً من أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة..

فلعل سبب اختياره لهذين الرجلين بالذات، أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يفهمهم أن مصدر قلق مشركي تلك المنطقة أمران:

الأول: خوفهم من أن تكون قريش تضمر لهم الشر والإنتقام، فيما لو تبدلت الأحوال، وعادت إلى الإمساك بمقاليد الأمور، فإذا كانت قريش متمثلة بزعيمها الذي قادها لمحاربة الإسلام وأهله، طيلة عشرين سنة، هي التي تتولى هدم أصنامهم، ومحاربة المصرِّين على الشرك فيهم، فلا يبقى مبرر لخوفهم، أو لترددهم أو قلقهم..

الثاني: الخشية من أن يكون لتلك الأصنام أدنى تأثير فيما يصيبهم أو يصيب أهلهم من رخاء أو بلاء، أو سراء أو ضراء. فإذا تولى هدمها رجل ثقفي، كالمغيرة، ثم لم يصب في نفسه، ولا في أهله بسوء، فإن ذلك سوف يطمئنهم إلى صحة ما يقوله لهم الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»، من أنها مجرد جمادات لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع..

ويكون هدمها وسلامة من يتولى ذلك من موجبات تأكد التوحيد، واقتلاع آثار الشرك من نفوسهم، وفقاً لما قاله ذلك الشيخ الثقفي: «فذاك والله مصداق ما بيننا وبينه، فإن قدر على هدمها فهو محق، ونحن مبطلون. وإن امتنعت ففي النفس من هذا بعد شيء».

حزن وبكاء ثقيف على صنمها:

وقد سبق: أن عامة ثقيف كانت لا ترى أنها مهدومة، ويظنون أنها ممتنعة. وهيمن عليهم جميعاً الحزن والبكاء..

ونرى: أن هذا الحزن والبكاء ناشئ عن خوفهم من أن تغضب عليهم وتهلكهم، أو ترميهم بالبلايا والرزايا.

أو لعلهم كانوا يشعرون بالسلامة والأمن حين تكون إلى جانبهم، فإذا فقدت، فقد يراودهم الشعور بالضياع، وصيرورتهم في مهب الرياح، عرضة لكل طالب، ونهزة لكل راغب، من قاتل لهم أو سالب.

المغيرة.. يضحك أصحابه من ثقيف:

وبعد.. فإن المغيرة بن شعبة يقول لأصحابه: «لأضحكنكم اليوم من ثقيف» ثم تذكر الرواية: أنه حين ضرب الربة بمعوله تظاهر بالغشية الخ..

ونقول:

هل كان المغيرة يعبد ذلك الصنم طيلة حياته بين أهله وعشيرته؟! أم لم يكن كذلك؟!

وهل كان يعتقد فيه ما يعتقدونه، أو كان يخالفهم في ذلك؟!

وهل خرج حب الأصنام من قلبه حقيقة؟! أم أنه لا يزال على مثل ما هم عليه..

إن كل ذلك قد لا نجد له جواباً واضحاً وصريحاً..

غير أننا نعلم:

أن المغيرة كما قال «عليه السلام»: لم يسلم عن قناعة بالإسلام، وإنما لفجرة وغدرة كانت منه بنفر من قومه، فهرب، فأتى النبي «صلى الله عليه وآله» كالعائذ بالإسلام. والله ما رأى أحد عليه منذ ادَّعى الإسلام خضوعاً ولا خشوعاً[1].

وقال أمير المؤمنين «عليه السلام» لعمار عن المغيرة: «إنه والله دائماً يلبس الحق بالباطل، ويموه فيه، ولن يتعلق من الدين إلا بما يوافق الدنيا»[2].

وهذا هو الذي يوضح لنا السبب في انحرافه عن علي «عليه السلام»

---

(١) البحار ج٣٤ ص٢٩٠ والغارات للثقفي ج٢ ص٥١٧ وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ص٨٠ وقاموس الرجال ج١٠ ص١٩٤ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري ج١١ ص٣١٠ و ٣٢٦.

(٢) الأمالي للشيخ المفيد ص٢١٨ والبحار ج٣٢ ص١٢٥ ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج١٩ ص٣٠٤ والمفيد من معجم رجال الحديث للجواهري ص٦١٦ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص١٩٤.

وممالأته لمعاوية، ولكل حاكم طمع بأن ينال من دنياه شيئاً، ولذلك قالوا: سلم على عمر بقوله: «السلام عليك يا أمير المؤمنين» فجروا عليه[١]. مع أن هذا الاسم خاص بأمير المؤمنين علي «عليه السلام».

وكان من الذين حرضوا على غصب الخلافة من علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقال لهم: وسعوها في قريش تتسع[٢] وأغرى أبا بكر بأن يجعل للعباس نصيباً، ليضعف علي «عليه السلام»[٣].

وهو الذي أغرى معاوية بالبيعة لولده يزيد أيضاً[٤].

---

(١) قاموس الرجال للتستري (مؤسسة النشر الإسلامي) ج١٠ ص١٩٤ و (ونشر دار الكتاب ـ طهران) ج٩ ص٨٥ عن آداب الصولي.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٤٣ والسقيفة وفدك ص٧٠ قاموس الرجال للتستري (مؤسسة النشر الإسلامي) ج١٠ ص١٩٦ وغاية المرام للبحراني ج٥ ص٣٠٧.

(٣) قاموس الرجال للتستري (مؤسسة النشر الإسلامي) ج١٠ ص١٩٦ والغدير ج٥ ص٣٧٣ وج٧ ص٩٣ والسقيفة وفدك ص٤٩ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص٢٢٠ وج٢ ص٥٢ والدرجات الرفيعة ص٨٧ والوضاعون وأحاديثهم للأميني ص٤٩٦ وأعيان الشيعة ج٣ ص٥٥٢.

(٤) راجع: قاموس الرجال للتستري (مؤسسة النشر الإسلامي) ج١٠ ص١٩٥ وراجع: الإمامة والسياسة ج١ ص١٨٧ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢١٩ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص٢١٤ و ٢١٥ و (ط دار صادر) ص٥٠٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٦ ص١٦٩ و ١٧٠ والغدير ج١٠ ص٢٢٩ والنصائح الكافية ص٦٤ وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج٢ ص١٩٢.

وأشار عليه أيضاً باستلحاق زياد[١].

وقد تصور إبليس بصورته يوم قبض النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: أيها الناس، لا تجعلوها كسرانية، ولا قيصرانية، وسعوها تتسع، ولا تردوها في بني هاشم، فينتظر بها الحبالى الخ..»[٢].

وقد حرص الخليفة الثاني على مكافأة المغيرة على تأييده لسياساتهم ومعونته لهم، فعمل جاهداً على تبرئة ساحته، ودفع حد الزنا عنه، حين صد زياد بن أبيه عن أداء الشهادة كما هو حقها[٣].

ثم إنه حين عزله عن البصرة ـ التي زنا فيها ـ للتخلص من كلام الناس، عاد فولاه الكوفة، فصار ذلك مثلاً، فكان يقال: غضب الله عليك كما غضب عمر على المغيرة، عزله عن البصرة واستعمله على الكوفة[٤].

---

(١) قاموس الرجال للتستري (مؤسسة النشر الإسلامي) ج١٠ ص١٩٥ وراجع: مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص٦ والغدير ج١٠ ص١٩٠ والنصائح الكافية ص٧٢.

(٢) الأمالي للطوسي ص١٧٧ والبحار ج٢٨ ص٢٠٥ وتفسير الميزان ج٩ ص١٠٨ ومجمع النورين ص٨٤ وقاموس الرجال للتستري (مؤسسة النشر الإسلامي) ج١٠ ص١٩٦.

(٣) راجع: الإيضاح لابن شاذان ص٥٥٣ والنص والإجتهاد ص٣٥٦ والسقيفة وفدك ص٩٥ وأحكام القرآن لابن عربي ج٣ ص٣٤٨ وراجع: فتح الباري ج٥ ص١٨٧ وشرح معاني الآثار ج٤ ص١٥٣ وشرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٢٣٧ وقاموس الرجال للتستري (مؤسسة النشر الإسلامي) ج١٠ ص١٩٥

(٤) قاموس الرجال للتستري (مؤسسة النشر الإسلامي) ج١٠ ص١٩٧ عن عيون الأخبار لابن قتيبة ج٢ ص٢١٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص١٢١ عن ابن سيرين.

ولما بويع معاوية أقام المغيرة خطباء يلعنون علياً «عليه السلام»[1].

والحديث حول المغيرة وأفاعيله، وأباطيله يطول، فلا محيص عن الإكتفاء بما ذكرناه.

ونعود نقول:

إن هذا الرجل ـ فيما يظهر ـ لم يكن يرجع إلى دين، ولا يهتم لشيء من قضايا الإيمان، إلا في حدود مصالحه الدنيوية، وهذه صفة بالغة السوء، تضع الإنسان على حد الكفر والزندقة كما هو واضح..

سرية خالد إلى أكيدر:

روى البيهقي، عن ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وروى البيهقي عن عروة بن الزبير، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا:

لما توجه رسول الله صلى الله قافلاً إلى المدينة من تبوك بعث خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارساً في رجب سنة تسع إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل. وكان أكيدر من كندة، وكان نصرانياً.

فقال خالد: كيف لي به وسط بلاد كلب، وإنما أنا في أناس يسيرين؟

---

(١) قاموس الرجال للتستري (مؤسسة النشر الإسلامي) ج١٠ ص١٩٩ وشرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٢٣٠ وكتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم ص٦٠٤ وضعفاء العقيلي ج٢ ص١٦٨ والعثمانية للجاحظ ص٢٨٣ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري ج١١ ص٣٨٨.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنك ستجده [ليلاً] يصيد البقر، فتأخذه، فيفتح الله لك دومة. فإن ظفرت به فلا تقتله، وائت به إلي، فإن أبى فاقتله».

فخرج إليه خالد بن الوليد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، في ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له، ومعه امرأته الرباب بنت أنيف الكندية. فصعد أكيدر على ظهر الحصن من الحر، وقينة تغنّيه، ثم دعا بشراب.

فأقبلت البقر الوحشية تحك بقرونها باب الحصن، فأشرفت امرأته فرأت البقر، فقالت: ما رأيت كالليلة في اللحم.

قال: وما ذاك؟

فأخبرته. فأشرف عليها، فقالت امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟

قال: لا.

قالت: فمن يترك هذا؟

قال: لا أحد.

قال أكيدر: والله، ما رأيت بقراً جاءتنا ليلة غير تلك الليلة، ولقد كنت أضمِّر لها الخيل، إذا أردت أخذها شهراً، ولكن هذا بقدر.

ثم ركب بالرجال وبالآلة، فنزل أكيدر وأمر بفرسه فأسرج، وأمر بخيله فأسرجت، وركب معه نفر من أهل بيته، معه أخوه حسان ومملوكان له، فخرجوا من حصنهم بمطاردهم. فلما فصلوا من الحصن، وخيل خالد تنظر إليهم لا يصول منها فرس ولا يجول، فساعة فصل أخذته الخيل، فاستأسر أكيدر وامتنع حسان، وقاتل حتى قتل، وهرب المملوكان ومن

كان معه من أهل بيته، فدخلوا الحصن، وكان على حسان قباء من ديباج مخوص بالذهب، فاستلبه خالد.

وقال خالد لأكيدر: هل لك أن أجيرك من القتل حتى آتي بك رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أن تفتح لي دومة؟

فقال أكيدر: نعم.

فانطلق به خالد حتى أدناه من الحصن.

فنادى أكيدر أهله: أن افتحوا باب الحصن، فأرادوا ذلك، فأبى عليهم مضاد أخو أكيدر.

فقال أكيدر لخالد: تعلم والله أنهم لا يفتحون لي ما رأوني في وثاقك، فخل عني فلك الله والأمانة أن أفتح لك الحصن، إن أنت صالحتني على أهلي.

قال خالد: فإني أصالحك.

فقال أكيدر: ان شئت حكمتك، وإن شئت حكمتني.

فقال خالد: بل نقبل منك ما أعطيت.

فصالحه على ألفي بعير، وثمانمائة رأس، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح، على أن ينطلق به وبأخيه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيحكم فيهما حكمه.

فلما قاضاه خالد على ذلك خلى سبيله، ففتح باب الحصن، فدخله خالد وأوثق مضاداً أخا أكيدر، وأخذ ما صالح عليه من الإبل والرقيق والسلاح.

ولما ظفر خالد بأكيدر وأخيه حسان أرسل خالد عمرو بن أمية

الضمري بشيراً، وأرسل معه قباء حسان.

قال أنس وجابر: رأينا قباء حسان أخي أكيدر حين قدم به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم، ويتعجبون منه.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٢٠ و ٢٢١ و ج٧ ص٢٩٨ و٤٠٥ وج١٢ ص٦٧ ال في هامشه: أخرجه ابن ماجة (١٥٧) وأحمد في المسند ج٣ ص٢٠٩ و١٢٢ و٢٠٧ و٢٣٨ و٢٧٧ وج٤ ص٢٨٩ و٣٠١ و٣٠٢ والحديث أخرجه البخاري ج١٠ ص٣٠٣ (٥٨٣٦) وص١٤١ وج٤ ص٨٧ ونيل الأوطار ج٢ ص٧١ وصحيح مسلم ج٧ ص١٥١ وسنن ابن ماجة ج١ ص٥٦ وشرح مسلم للنووي ج١٦ ص٢٣ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص٣١٠ وعمدة القاري ج٦ ص١٧٩ وج١٢ ص٢٧ وج١٣ ص١٧٠ وج١٥ ص١٥٧ وج٢٣ ص١٧٣ وتحفة الأحوذي للمباركفوري ج٥ ص٣١٧ وعون المعبود (ط دار الكتب العلمية ـ بيروت) ج١١ص٦٤ والمصنف للصنعاني ج١١ ص٢٣٥ ومسند الحميدي ج٢ ص٥٠٦ والمصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج٨ ص٤٩٧ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٤٧١ ومسند أبي يعلى ج٦ ص٨ وشرح معاني الآثار لأحمد بن محمد بن سلمة ج٤ ص٢٤٧ وصحيح ابن حبّان ج١٥ ص٥٠٩ و ٥١٠ وكنز العمال وج١٠ ص٥٨٧ وج١١ ص٦٨٦ و ٦٨٨ وج١٣ ص٤١٢ و ٤١٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ٣ ص٤٣٥ و ٤٣٦ والثقات لابن حبان ج٢ ص٩٧ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٩ ص٢٠٣ وج٥٢ ص٤٢٧ وأسد الغابة ج٣ ص٤١١ وسير أعلام النبلاء للذهبي ج١ ص٢٩٢ والإصابة لابن حجر ج٤ ص٤١٩ وأخبار القضاة لمحمد بن خلف بن حيان ج٢ ص٤٢ =

ثم إن خالداً لما قبض ما صالحه عليه أكيدر عزل للنبي «صلى الله عليه وآله» صفيّه له قبل أن يقسم شيئاً من الفيء، ثم خمّس الغنائم بعد.

قال محمد بن عمر: كان صفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» عبداً أو أمة، أو سيفاً أو درعاً، أو نحو ذلك.

ثم خمّس خالد الغنائم بعد، فقسمها بين أصحابه.

قال أبو سعيد الخدري: أصابني من السلاح درع وبيضة، وأصابني عشر من الإبل.

وقال واثلة بن الأسقع: أصابني ست فرائض.

وقال عبد الله بن عمرو بن عوف المازني: كنا مع خالد بن الوليد أربعين رجلاً من بني مزينة، وكانت سهماننا خمس فرائض لكل رجل، مع سلاح يقسم علينا دروع ورماح.

قال محمد بن عمر: إنما أصاب الواحد ستاً والآخر عشراً بقيمة الإبل.

= وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٧٣ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص٢٨١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٣٢٩ والبداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص١٤٨ وج٥ ص٢٢ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٢ ص٦٣ وج١٤ ص٥٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٥٣ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٢٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٤٩ وج٤ ص٣١ ومعجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج١ ص٣٠٤. والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٢٥. وراجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص٩٨ والبحار ج١٨ ص١٣٦ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٣١٢ والثقات لابن حبان ج٢ ص٩٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٨٣.

ثم إن خالداً توجه قافلاً إلى المدينة، ومعه أكيدر ومضاد.

وروى محمد بن عمر عن جابر قال: رأيت أكيدر حين قدم به خالد، وعليه صليب من ذهب، وعليه الديباج ظاهراً.

فلما رأى النبي «صلى الله عليه وآله» سجد له، فأومأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيده: لا، لا، مرتين.

وأهدى لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هدية فيها كسوة.

قال ابن الأثير: وبغلة، وصالحه على الجزية.

قال ابن الأثير: وبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار، وحقن دمه ودم أخيه، وخلى سبيلهما.

وكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه، ولم يكن في يد النبي «صلى الله عليه وآله» يومئذ خاتم، فختم الكتاب بظفره.

قال محمد بن عمر، حدثني شيخ من أهل دومة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتب له هذا الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم:

هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام، وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكنافها: أن لنا الضاحية من الضحل، والبور والمعامي، وأغفال الأرض، والحلقة [والسلاح]، والحافر والحصن، ولكم الضامنة من النخل، والمعين من المعمور بعد الخمس، ولا تعدل سارحتكم، ولا تعد فاردتكم، ولا يحظر عليكم النبات، تقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة بحقها، عليكم

بذلك عهد الله والميثاق، ولكم بذلك الصدق والوفاء، شهد الله تبارك وتعالى ومن حضر من المسلمين»[1].

وقال بجير بن بجرة الطائي يذكر قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» لخالد بن الوليد: «إنك ستجده يصيد البقر»، وما صنعت البقر تلك الليلة بباب الحصن، تصديقاً لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

تبارك سائق البقرات إني ... رأيت الله يهدي كل هاد

فمن يك حائداً عن ذي تبوك ... فإنّا قد أمرنا بالجهاد

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٢٢ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٣٠٣ عن المصادر التالية: العقد الفريد (ط جديد) باب الوفود ج٢ ص٤٧ و ٤٨ ومعجم البلدان ج٢ ص٤٨٨ (في كلمة دومة) عن كتاب الفتوح لأحمد بن جابر، وإعلام السائلين ص٤١ وفتوح البلدان للبلاذري ص٧٢ وفي (ط أخرى) ص٨٢ والطبقات الكبرى ج١ ص٢٨٩ وفي (ط أخرى) ج١ ق٢ ص٣٦ والأموال لأبي عبيد ص١٩٤ وفي (ط أخرى) ص٢٨٢ ورسالات نبوية ص٨٣ وصبح الأعشى ج٦ ص٣٧٠ وج٢ ص٢٦٥ والروض الأنف ج٣ ص١٩٦ وغريب الحديث لأبي عبيد ج٣ ص٢٠٠ وفي (ط أخرى) ص٣٦٥ والمغازي للواقدي ج٣ ص١٠٣٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٣٣ والأموال لابن زنجويه ج٢ ص٤٥٨ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٤٩ (عن صبح الأعشى والروض الأنف ج٢ ص٣١٩ وشرح الزرقاني للمواهب اللدنية ج٣ ص٤١٤) والإصابة ج١ ص١٢٧ ونثر الدر للآبي ج١ ص٢١٠ و ٢١١ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٦٠ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٣٨ والفائق للزمخشري ج٣ ص٤١٦. وعن المبسوط للسرخسي ج٣٠ ص١٦٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٦٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٨ ص٢٣٤.

قال البيهقي بعد أن أورد هذين البيتين من طريق ابن إسحاق، وزاد غيره، وليس في روايتنا: فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: **«لا يفضض الله فاك»**[1].

فأتى عليه تسعون سنة فما تحرك له ضرس.

وروى ابن منده، وابن السكن، وأبو نعيم، كلهم عن الصحابة، عن بجير بن بجرة قال: كنت في جيش خالد بن الوليد حين بعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أكيدر دومة، فقال له: **«إنك تجده يصيد البقر»**.

فوافقناه في ليلة مقمرة وقد خرج كما نعته رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخذناه، فلما أتينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنشدته أبياتاً، فذكر ما سبق.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «لا يفضض الله فاك».

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٢٢ عن: البيهقي في الدلائل ج٥ ص٢٥١ وذكره ابن حجر في المطالب (٤٠٦٥) وابن كثير في البداية والنهاية ج٥ ص١٧ و (ط دار احياء التراث ص٢٢) ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج١ ص٩٨ والبحار ج١٨ ص١٣٧ ودلائل النبوة للأصبهاني ج٤ ص١٢٨٤ وكنز العمال ج١٠ ص٥٨٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٩ ص٢٠٢ وأسد الغابة ج١ ص١٦٤ والإصابة لابن حجر ج١ ص٤٠٢ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج١٤ ص٤٨ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ـ مصر) ج٤ ص٩٥٣ و (ط دار المعرفة ـ بيروت) والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣١ ومعجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج١ ص٣٠٣.

فأتت عليه تسعون سنة وما تحرك له سن[1].

تنبيهان:

الأول: أكيدر: هو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن.

الثاني: وقالوا: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا بكر على المهاجرين إلى دومة الجندل، وبعث خالد بن الوليد على الأعراب معه. وقال: «انطلقوا، فإنكم ستجدون أكيدر دومة يقنص الوحش، فخذوه أخذاً، وابعثوا به إليّ، ولا تقتلوه، وحاصروا أهلها»[2].

قلت: وذكر أبي بكر في هذه السرية غريب جداً لم يتعرض له أحد من أئمة المغازي التي وقفت عليها[3].

ونقول:

إن لنا ههنا وقفات عديدة هي التالية:

عرض خالد على أكيدر:

تقدم قول خالد لأكيدر: «هل لك أن أجيرك من القتل، حتى آتي بك رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أن تفتح دومة؟

فقال: نعم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٢٢ وراجع: دلائل النبوة للأصبهاني ج٤ ص١٢٨٥ وكنز العمال ج١٠ ص٥٨٤ وأسد الغابة ج١ ص١٦٤ والإصابة ج١ ص٤٠٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٢٣ عن البيهقي، وابن مندة، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٩٣ عن البيهقي، وابن مندة، ويونس في زيادات المغازي.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٢٣ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٩٣.

ونقول:

إن هذا النص لا يعد مخالفاً لقول النبي «صلى الله عليه وآله» لخالد عن أكيدر: إن ظفرت به فلا تقتله، إذ لعله أراد أن يوهم أكيدر بعزمه على قتله لو رفض طلبه، ليستجيب لطلبه، ويفتح له الحصن من دون قتال. ولا ضير في ممارسة أسلوب كهذا إذا كان يوفر على المسلمين تعريض أنفسهم لأخطار هم في غنى عنها.

غير أننا نقول:

ماذا لو أن أكيدر رفض الإستجابة لطلب خالد؟! فهل كان سيقتله، فيكون بذلك مخالفاً أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومنقاداً لحميته، ومؤثراً لإظهار قوة كلمته وشدته؟! أم أنه سيبحث عن مخرج آخر؟!

إننا نترك الإجابة عن ذلك، وترجيح أي من الإحتمالين المذكورين إلى من درس نفسية خالد، وعرف تاريخه، وجرأته على الخلاف. وضعف التزامه بما يفرضه شرع الله، وطاعة أوامر رسول الله وأوليائه..

بطولة؟! أم مهمة إحراجية:

وقد صرحت تلك النصوص: بأن خالداً قد تردد في قبول المهمة رغم أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جعل تحت امرته أربع ماية وعشرين فارساً، فقال: كيف لي به، وهو وسط بلاد كلب؟! وإنما أنا في أناس يسيرين..

فقال له «صلى الله عليه وآله»: إنك تجده ليلاً يصيد البقر، فتأخذه، فيفتح الله لك دومة الجندل، فإن ظفرت به، فلا تقتله الخ..

وهذا معناه: أن خالداً سوف لا يواجه حرباً، ولا طعناً، ولا ضرباً، وأن هذا العدد الكبير من المقاتلين، والجم الغفير، لم تكن له مهمة قتالية، بل هي مهمة أخذ رجل في البرية من دون قتال، ثم تسلُّم البلد، وبسط الأمن فيه.

وربما يمكن أن نفهم: أن هذا الوعد النبوي لخالد قد أحرجه، وفرض عليه قبول المهمة، لأنه إن رفضها، فسيفهم الناس: أنه يكذِّب النبي «صلى الله عليه وآله» فيما يخبر به، أو أنه يشك في صدقه. وهذا ردٌّ لكتاب الله سبحانه الذي يقول: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[1].

حدّث العاقل بما لا يليق له:

وإذا ألقينا نظرة على ما تضمنته الرواية من وصف للأحداث، فسنجدها أموراً غير معقولة، ولامقبولة.. ولا نرضى أن نُتهم في عقولنا، وفقاً لقاعدة: حدِّث العاقل بما لا يليق له، فإن لاق له، فلا عقل له.. فلاحظ ما يلي:

١ ـ إن الرواية تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبر خالداً بأنه سوف يجده ليلاً يصيد البقر. فما معنى أن تذكر الرواية: أنه وجده في حصنه على سطح له، ومعه امرأته، ثم ركب بالرجال، وخرجوا من حصنهم، وخيل خالد تنظر إليه، فساعة فصل أخذته الخيل.. فالرواية الصحيحة هي رواية بجير بن بجرة الذي قال: «فوافقناه في ليلة مقمرة وقد خرج كما نعته رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخذناه».

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

٢ ـ كيف وصلت خيل خالد إلى حصن أكيدر، حتى رأوا أكيدر وامرأته على السطح وحركاتهما، ووقفت تلك الخيل الكثيرة جداً بأصحابها، ولم تصهل ولم تحمحم، ولم يسمع أحد صوت وقع حوافرها في ليل يهيمن عليه السكون، وتكون الأصوات فيه أوضح مما تكون عليه في النهار..

وقد تنبه الرواة لهذه الملاحظة، فأدرجوا في كلامهم عبارة: «لا يصول منها فرس ولا يجول»!!

٣ ـ إن البقر الوحشية قد اقتربت من الحصن حتى صارت تحك بابه بقرونها..

والسؤال هو: إذا كان أكيدر وزوجته، وربما من كان معه قد رأوا البقر الوحشية تحك باب الحصن بقرونها، فذلك يعني: أنهم قد راقبوها، ورصدوا حركتها، والمفروض: أن الليلة كانت مقمرة، والرؤية فيها ممكنة حتى إن خيل خالد رصدت أكيدر وزوجته، وراقبت حركتهم بدقة. فلماذا لم يرهم أكيدر، أو زوجته، أو أي من الرجال الذين خرج بهم من الحصن حين كانوا يتابعون حركة البقر الوحشية؟! أم أنهم قد لبسوا طاقية الإخفاء عن كل هؤلاء الناس؟

٤ ـ لماذا لم تنفر البقر الوحشية من جيش خالد؟! وكيف تمكن خالد من الإقتراب منها إلى هذا الحد؟!

إلا أن يقال: إن رؤيتهم البقر الوحشية تحك بقرونها باب الحصن لعله كان قبل قدوم خالد وجيشه، أو أن البقر الوحشية قدمت من جهة، وقدم خالد وجيشه من الجهة الأخرى..

ويجاب: بأن ذلك يخالف ظاهر الحديث، فقد كان باب الحصن بمرأى من جيش خالد، ففي النصوص المتقدمة: أنهم قد فصلوا من الحصن وخيل خالد تنظر إليهم، وهذا معناه: أن جيش خالد كان بحيث يرى الحصن. وليس إلى الجهة الأخرى منه..

وفيه أيضاً: أن خالداً خرج إليه ـ أي أكيدر ـ حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له.. ثم تستمر الرواية في وصف ما جرى إلى أن تقول: وخيل خالد تنظر إليهم، ولا يصول منها فرس ولا يجول..

فهذا السياق ظاهر في: أن خيل خالد قد وصلت إلى الحصن حين كان أكيدر على سطح له. ثم وصفت صعوده إلى سطح الحصن نفسه وسائر ما جرى.. وإنما جاءت البقر الوحشية في هذه الأثناء.

كما أن ذلك قد حصل من دون أن تبدر من خيل خالد أية بادرة، تشي بوجودها على مقربة منهم..

دومة الجندل فتحت صلحاً:

وقد جاء في سياق الحديث عن هذه السرية: أن خالداً قد أخذ أكيدر، وهو في الصيد، ثم صالحه على أن يفتح له الحصن، فصالحه على ألفي بعير، وثمان مائة رأس الخ..

وانتهى الأمر عند هذا الحد..

ومن الواضح: أن الأرض المفتوحة صلحاً، من دون أن يوجف عليها بخيل ولا ركاب تكون للنبي «صلى الله عليه وآله» خالصة له..

وهذا معناه: أن ما صالحهم عليه أكيدر أيضاً ليس من قبيل الغنائم التي يقتسمها المقاتلون، بل تكون لله ولرسوله «صلى الله عليه وآله»..

فما معنى: أن يقسمها خالد بين المقاتلين بعد إخراج الصفي منها والخمس؟!

ولعلك تقول: إن قتالاً قد حصل وسقط فيه حسان وأخذ خالد سلبه، وذلك يُدخل دومة الجندل فيما أخذ عنوة.

والجواب: أن هذا القتال لم يأذن به رسول الله «صلى الله عليه وآله».. بل أمر بأخذ أكيدر وحسب، وليس ثمة ما يثبت وجود مقاومة من حسان أو غيره من أصحاب أكيدر.

بل إن مقاومتهم غير معقولة، بعد أن كانوا بضعة أفراد هرب أكثرهم بمجرد رؤية هذا الجيش الكبير جداً، وهم لم يلبسوا لامة الحرب. بل أخذوا معهم ما يفيدهم في صيد البقر، فلعل خالداً قد طمع ببزة حسان، فقتله، وأخذ سلبه.

والذي يهون الخطب: أن خالداً لم يكن من أهل المعرفة بأحكام الله، وأن الأمر سوف ينتهي إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فيعالجه بما يستحقه، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يأبى أن ينال المسلمون من هذه الأموال، حتى لو كان ذلك نتيجة خطأ في فهم الأمور..

وقد تقدم عن قريب: كيف أنهم كانوا يتجاوزون حدود ما هو مسموح به فيما يرتبط بالغنائم والخمس.. فلا نعيد.

ولو أن النبي «صلى الله عليه وآله» أراد أن يسترجع هذه الأموال منهم، فقد يجد بعض الناس في أنفسهم حرجاً أو ألماً، وقد يتَّهم بعضهم النبي

«صلى الله عليه وآله» بما يوجب كفر ذلك المتهم..

وأما وضوح الحكم الشرعي لهذه الأموال، فهو حاصل من خلال البيانات النبوية، والتأكيد على الضوابط والمعايير. فلا خوف على الحكم الشرعي من هذه الجهة.

النبي ﷺ ينهى خالداً عن قتل أكيدر:

وقد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد نهى خالداً عن قتل أكيدر، وأمره أن يبعث به إليه.. ولعل السبب في ذلك، أمور نذكر منها:

١ ـ إنه أراد أن لا يطلق العنان لخالد، فيظن أنه له أن يتصرف كما يحلو له.. فإن المطلوب هو إبقاؤه السيطرة، وأن لا يفقد الشعور بأنه مطالب ومحاسب، وأن يبقى ملتزماً جانب الإنضباط والطاعة..

٢ ـ إنه أراد أن يستكمل إقامة الحجة على أكيدر، فإن الأحداث المختلفة قد أظهرت: أن بعض الناس يتخذون مواقف عدائية لبعض الدعوات، أو الفئات قبل أن يقفوا على كنه الحقيقة، ويعرفوا التفاصيل، وذلك لشعورهم بالخوف مما تحمله لهم من أمور مجهولة، وتغييرات لا يعرفون متى تنتهي، وعند أي حدّ تقف..

٣ ـ إنه إذا أسلم ملك دومة الجندل فسوف يسهِّل ذلك دخول جل ـ إن لم يكن كل ـ أهل منطقته في الإسلام، لأنه بالنسبة إليهم هو واسطة العقد، ورأس الهرم، فإذا اختار شيئاً لنفسه، فإنهم يرون انه لا يختار إلا الأفضل والأسمى، والأمثل والأعلى، فلماذا لا يقتدون به، ويرضون لأنفسهم ما رضيه لنفسه؟!

على أن من الطبيعي: أن هذا الرجل لو قتل، لأقاموا شخصاً آخر مقامه، ولعل ذلك الشخص من أجل أن يثبت مصداقيته، ويؤكد نفوذه فيهم، يبادر إلى مغامرة تنتهي إلى إلحاق أذى كبير في المسلمين، وربما يحتاج الأمر للسيطرة على الأمور إلى إزهاق كثير من الأرواح، ونشوء الكثير من المشكلات الإجتماعية، أو الإقتصادية لجماعات من الناس..

ولربما تنشأ عن هذه الحروب أحقاد وتعقيدات يصعب التخلص منها حتى تمضي عقود من الزمن..

فذلك كله يعرفنا بعض الأسباب التي دعت النبي «صلى الله عليه وآله» إلى نهي خالد عن قتل أكيدر، بل المطلوب هو أخذه، وإرساله إليه..

مناديل سعد بن معاذ في الجنة:

والناس إنما يقيسون ويتخيلون، ما هو محجوب عنهم في الغيب، انطلاقاً مما يتوفر لهم من مشاهدات، أو ما عاشوه من حالات.. وقد تقصر حركة خيالهم حتى عن بلوغ أدنى مرتبة مقبولة أو معقولة منه.. وأكثر ما يتجلى هذا القصور في الأمور التي ترتبط بيوم القيامة وحالاته، وأحداثه، وأهواله، وفي نعيمه وجحيمه..

وقد حاولت الآيات والروايات: أن ترسم للبشر صوراً، وتضع لهم إشارات وإثارات تقربهم إليها، وتقربها إليهم، رغم كل الحجب المادية، التي قد لا يوفق الكثيرون إلى التخلص منها في الحياة الدنيا. أو أنهم لا يريدون ذلك بصورة جدية..

وقد وجد النبي «صلى الله عليه وآله» في إعجاب الناس بقباء حسان

أخي أكيدر مناسبة لإطلاق توجيه جديد، يفيد في تربية وإعداد النبي «صلى الله عليه وآله» لأصحابه، ودفعهم نحو مراتب أعلى، ومقامات أسمى يكونون فيها أكثر وعياً، وأصفى روحاً، وأكثر رهافة في الإحساس، ونبلاً في الشعور..

فاستفاد من توافر درجة من الشعور بميزات هذا القباء، ليجعلها وسيلة لنقلهم إلى آفاق أخرى أرحب، هم بأمس الحاجة للانتقال إليها من أجل بناء أرواحهم، ورسم وإنشاء ارتباطاتهم العاطفية والقلبيّة بقضايا الإيمان، ورفع مستوى استعدادهم لبذل الجهد، والتضحية والفداء من أجلها. والتسابق، لحفظها، وتقويتها، وترسيخ دعائمها، في كل ساح وناح..

فقايس لهم ما أدركوه في قباء حسان بمنديل أحد إخوانهم ممن عاشوا معه دهراً، ومارسوا معه شؤون الحياة، وذاقوا معاً حلوها ومرها.. حتى فاز هو بمقام الشهادة دونهم، ألا وهو سعد بن معاذ.. فنقلهم «صلى الله عليه وآله» إلى الجنة ليروا مناديل سعد مباشرة، وبيَّن لهم: أنهم حين يقارنونها بهذا القباء، فسيجدون مناديل سعد أفضل منها..

أكيدر يسجد لرسول الله صلى الله عليه وآله:

وقد تقدم: أنه لما رأى أكيدر رسول الله «صلى الله عليه وآله» سجد له، فأومأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليه بيده: لا، لا مرتين..

وواضح: أن هذا الرجل يعامل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما كان يفرضه هو على غيره، ويفرضه سائر الملوك على الناس. أما رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقد رفض تصرفه هذا لفهمه أنه حتى لو لم يكن على دينه، ولم

يعترف بنبوته، وحتى حين يكون أسيراً في يده، ويعلم أنه يضمر العداء له، ويود لو يقطعه إرباً إرباً، فإن ذلك كله لا يفقده سائر حقوقه التي أعطاه الله إياها من حيث هو بشر.. ومن أولى برعاية هذه الحقوق من أنبياء الله، وأوليائه وأصفيائه «صلى الله عليه وآله»؟!

أبو بكر، أمْ خالد؟!:

وحول ما زعمته بعض الروايات المتقدمة: من أنه «صلى الله عليه وآله» ولّى في تلك الغزوة خالداً على الأعراب، وولّى أبا بكر على المهاجرين، نقول:

١ ـ قد تقدم قول الصالحي الشامي: إن ذكر أبي بكر في هذه السرية غريب جداً، ولم يتعرض إليه أحد فيما وقفت عليه من أئمة المغازي.

٢ ـ إن الرواية لم تصرح لنا باسم من كان أميراً على السرية كلها، إذ لم نعهد منه «صلى الله عليه وآله» أن جعل أكثر من أمير على سرية واحدة.

بل وجدنا كما تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان إذا بعث سرايا منفصلة، يقرر لهم في صورة الإجتماع أميراً واحداً ويسميه لهم. وقد ظهر ذلك، حين أرسل علياً «عليه السلام» في سرية، وخالداً في أخرى، فإذا اجتمعا فالأمير على الجميع هو علي «عليه السلام».

٣ ـ كما أن المناسب ـ لو صح قولهم هذا ـ هو: أن تنسب السرية إلى أبي بكر، لا إلى خالد، وهو ما يقتضيه إرادة تكريم المهاجرين، وإظهار امتيازهم على غيرهم، كما هو ظاهر.

فلماذا نسبت إلى خالد؟

بل لماذا نسي أئمة المغازي اسم أبي بكر، فلم يذكروه أصلاً؟!

كما أن أحداً لم يذكر لنا أي دور لأبي بكر في الإدارة وفي القتال، أو في التفاوض والمصالحة التي جرت، وغيرها..

بل إن أحداً لم يخص المهاجرين بشيء من الذكر في هذه السرية على الخصوص..

مع أن هذه الرواية العجيبة الغريبة تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل أبا بكر، وبعث معه خالداً، وكأن خالداً كان تابعاً لأبي بكر.. فكيف لا نسمع للمتبوع أي ذكر بعد ذلك؟! بل تمحورت القضايا كلها حول التابع، وأصبح هو المدبر والمقرر!!

خالد سيف الله!!:

وقد ورد في الكتاب الذي قالوا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كتبه لأكيدر، وأهل دومة الجندل ـ ورد فيه ـ وصف خالد: بأنه سيف الله.

ونقول:

أولاً: تقدم في هذا الكتاب: أن هذا التوصيف مكذوب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن أبا بكر هو الذي خلعه على خالد بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، فراجع فصل: «حصار وانهيار» وفصل: «خالد يضيع النصر».

ثانياً: إن الظاهر هو: أن عبارة «مع خالد سيف الله» مقحمة في الكتاب، بل هي قد تكون مفسدة للسبك والمعنى، ومن موجبات ركاكته، إذ لا مبرر للقول: بأن فلاناً قد خلع الأنداد والأصنام مع فلان، أو أن فلاناً أجاب إلى الإسلام مع فلان.

بل يكفي أن يقال: فلان خلع الأنداد وأجاب إلى الإسلام.. بل إن هذه الإضافة تغير المعنى، وتوقع في الإشتباه، إذ يصبح المعنى: أن أكيدر وكذلك خالد كلاهما قد خلع الأنداد مع أن هذا ليس هو المراد..

ويؤيد إقحامها في الكتاب: أنها لم تذكر في نص معجم البلدان لياقوت، وفتوح البلدان للبلاذري، فراجع..

هل صالحهم على الجزية؟!:

إن النصوص المتقدمة تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» صالح أكيدر وقومه على الجزية..

ولكن ذلك لا يصح..

أولاً: ورد في نص كتاب الصلح، ما يدل على إسلام أكيدر وقومه، فقد قال عن أكيدر: هذا كتاب محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام، وخلع الأنداد، والأصنام.

وقال عن قومه: يقيمون الصلاة لوقتها، ويؤتون الزكاة بحقها..

وذلك يدل على إسلام أكيدر، وإسلام قومه، فإذا كانوا قد أسلموا، فكيف تؤخذ الجزية منهم؟! والجزية إنما توضع على غير المسلم..

ثانياً: قوله: لا تعدل سارحتكم، ولا تعد فاردتكم. معناه أن ماشيتهم لا تمنع عن مرعاها، ولا تحشر في الصدقة إلى المصدق لكي تعدّ مع غيرها ليكتمل بها النصاب، إذا كانت فاردة، أي مما لا تجب فيه صدقة لفقد شروطها..

وقد أضاف في طبقات ابن سعد قوله: ولا يؤخذ منكم إلا عشر الثبات..

ثم قال: والثبات: النخيل القديم قد ضرب عروقه في الأرض[1].

فذلك كله يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» يعاملهم كمسلمين.. ولا تضرب الجزية على المسلم.

والذي نراه هو: أن أكيدر نفسه وطائفة من قومه قد قبلوا الإسلام، ولكن معظمهم أبى ذلك، فأبقاه «صلى الله عليه وآله» ملكاً عليهم، وأخذ منهم الجزية، وخص المسلمين منهم ببعض الفقرات، وهو أنه طلب منهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بحقها.. وربما يكون رواة الكتاب لم يدققوا في كلماته حين نقلوها لنا، فلم يتضح الفصل في الخطاب بالنسبة للفريقين..

خلع السلاح لماذا؟!:

وقد يسأل سائل عن السبب في أنه «صلى الله عليه وآله» قد صالح هؤلاء القوم على شرط أخذ الحصون، والسلاح وغيره من وسائل الحرب منهم.

ويمكن أن يجاب: بأن سبب ذلك هو أنهم كانوا لا يؤمن من غدرهم، لبعدهم عن مركز الحكومة الإسلامية، وقربهم من بلاد الأعداء.

ولعل الأقرب هو أن يقال: إن ملكهم قد أُخِذَ، وصالحوا خالداً على بعض أموالهم قبل أن يسلموا، فأصبحت أرضهم، وكل شيء لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. ثم إنهم حين أسلموا أعاد «صلى الله عليه وآله»

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج١ ص٢٨٩ ومكاتيب الرسول للأحمدي ج٣ ص٣١٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٨ ص٢٣٤ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٢ ص٦٥.

بعض ذلك إليهم، وحجب عنهم بعضه الآخر لمصالح راعاها.. ولا ضير في ذلك..

وراء الأكمة ما وراءها!!:

أما قول بعضهم: إن أكيدر لم يسلم، وهذا الإختلاف فيه بين أهل السيرة ومن قال إنه أسلم فقد أخطأ خطأً ظاهراً[1].

فلا يصح: حسبما اتضح من النصوص التي أوردناها في الفقرة السابقة..

والذي يبدو لنا هو: أن أكيدر قد قتله خالد بن الوليد في عهد أبي بكر، بحجة أنه منع الصدقة[2] فهو في جملة الذين قتلهم أبو بكر، لأنهم لم يعترفوا بخلافته.. فيما أسموه هم ومحبوهم بحروب الردة، أو حروب مانعي الزكاة..

ولعل سبب زعمهم أن أكيدر لم يسلم أصلاً هو: أنهم أصيبوا بالتخمة من كثرة من قتلوهم، استناداً لهذا الزعم الموهون.

---

(١) أسد الغابة ج١ ص١١٣ وأشار العلامة الأحمدي «رحمه الله» في مكاتيب الرسول ج٣ ص٣١٤ إلى: المغازي للواقدي ج٣ ص١٠٣٠ والإصابة ج١ ص٦١ و ١٢٥ ومعجم البلدان ج٢ ص٤٨٧ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٣ ص١٠٩ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٨١ والطبقات الكبرى ج٢ ق١ ص١٢٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٣٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٣٧٤.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ج١ ص١١٤ وج٣ ص٣٣٢ والأعلام للزركلي ج٢ ص٦ ومعجم البلدان ج٢ ص٤٨٨ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٣٣ و ٢٣٤ وتهذيب تاريخ دمشق ج٣ ص٩٧ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٤ ص٢٣٤ وكتاب المحبر للبغدادي ص١٢٥ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٨ وسبهل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٢٠ و٢٢٣.

وسيأتي المزيد من الكلام حول موضوع أكيدر في اواخر غزوة تبوك إن شاء الله، حيث سنجد هناك بعض ما يساعد على فهم بعض الأمور التي ذكرناها هنا.

وسنرى: أن الظاهر هو: أن خالداً لم يكن هو أمير السرية، وإن كان ربما قد قام بدور فيها..

وأن الوصف لما جرى المذكور هنا قد يكون غير دقيق. فانتظر.

سرية أبي أمامة إلى قومه:

عن أبي أمامة قال: بعثني رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى قومي أدعوهم إلى الله عز وجل، وأعرض عليهم شرائع الإسلام. فأتيتهم وقد سقوا إبلهم، وحلبوها وشربوا.

فلما رأوني قالوا: مرحباً بالصدي بن عجلان. وأكرموني، وقالوا: بلغنا أنك صبوت إلى هذا الرجل.

فقلت: لا ولكن آمنت بالله ورسوله، وبعثني رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليكم أعرض عليكم شرائع الإسلام.

فبينا نحن كذلك إذ جاؤا بقصعتهم فوضعوها، واجتمعوا حولها يأكلونها، وقالوا: هلم يا صدي.

قلت: ويحكم، إنما أتيتكم من عند من يحرم هذا عليكم إلا ما ذكيتم، كما قال الله تعالى.

قالوا: وما قال؟

قلت: نزلت هذه الآية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا

أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِّ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالمَوْقُوذَةُ وَالمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ..﴾[1].

فجعلت أدعوهم إلى الإسلام، فكذبوني، وزبروني وأنا جائع ظمآن، قد نزل بي جهد شديد.

فقلت لهم: ويحكم، إيتوني بشربة من ماء، فإني شديد العطش.

قالوا: لا، ولكن ندعك تموت عطشاً.

قال: فاغتممت، وضربت برأسي في العمامة، ونمت في حر شديد. فأتاني آت في منامي بقدح فيه شراب من لبن لم ير الناس ألذ منه فشربته حتى فرغت من شرابي ورويت، وعظم بطني.

فقال القوم: أتاكم رجل من أشرافكم وسراتكم، فرددتموه؟ فاذهبوا إليه، وأطعموه من الطعام والشراب ما يشتهي.

فأتوني بالطعام والشراب، فقلت: لا حاجة لي في طعامكم ولا شرابكم، فإن الله تعالى أطعمني وسقاني، فانظروا إلى الحال التي أنا عليها.

فأريتهم بطني، فنظروا، فأسلموا عن آخرهم بما جئت به من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال أبو أمامة: ولا والله، ما عطشت ولا عرفت عطشاً بعد تيك الشربة[2].

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٣ عن الطبراني من طريقين، سند أحدهما حسن، والإصابة ج٢ ص١٨٢ عن أبي يعلى، وعن البيهقي في دلائل النبوة وراجع: المستدرك للنيسابوري ج٣ ص٦٤٢.

ونقول:

إننا نواجه إبهامات واختلالات في هذه الرواية، فلاحظ ما يلي:

١ ـ لو افترضنا صحة هذه الرواية، فإن ذلك لا يبرر تسميتها «سرية»، ولا يصح إيرادها في جملة السرايا.

٢ ـ قد ذكرت الرواية: أن أبا أمامة كان من أشراف وسراة باهلة.. وهذا لا يتناسب مع هذه المعاملة التي تذكر الرواية أنهم عاملوه بها، حيث لم يجد فيهم ولو رجلاً واحداً يسقيه شربة من ماء، فأين كان عنه أقرانه، وسائر الأشراف في قومه، الذين يفترض أن يكون لهم موقف وأسلوب آخر في التعاطي معه..

٣ ـ وهل كانت قبيلة باهلة من قلة العدد بحيث تجتمع على قصعة واحدة؟! أي أنها قد لا يزيد عددها على عشرة رجال!!.

٤ ـ ما معنى أن يعظم بطنه من شرب قدح من لبن؟! ولماذا لم يعطه الله تعالى لهم غير بطنه العظيمة هذه، لتكون آية لهم؟! ولماذا لم يظنوا أن عِظم بطنه كان لمرض ألمَّ به؟!

٥ ـ ولماذا لم يكمل المعروف فيطعمه لقمة أيضاً، لا يحتاج معها إلى طعام طيلة حياته؟!

٦ ـ لو كانت هذه الخصوصية قد بقيت في أبي أمامة بحيث لا يحتاج إلى ماء، لشاع أمره وذاع، ولوجدت الناس يتناقلونها، وكبار القوم يتوافدون عليه، ويتبركون به ما دام حياً. ولوجدت الصحاح والمسانيد حافلة بالروايات التي تتحدث عن قصد أعيان الصحابة وكبار العلماء له، وسؤالهم إياه عن هذه الحادثة بالخصوص.

مع العلم: بأن عُمْر هذا الرجل قد طال، فقد روي: أنه توفي سنة إحدى وثمانين، وقيل: ست وثمانين، وهو آخر من مات بالشام من الصحابة(١)، وله مائة وست سنين(٢).

٧ ـ وإذا كانت باهلة قد أسلمت عن بكرة أبيها لرؤيتهم بطن أبي أمامة، إذن لعظموه وبجلوه، والتفوا حوله، وتفاخروا به في مختلف مواقف المفاخرة..

٨ ـ لماذا زبروه أولاً، ومنعوه حتى من شربة، ماء وصمموا على أن يتركوه حتى يموت عطشاً، ثم بعد أن نام تلك النومة قالوا لبعضهم: أتاكم رجل من أشرافكم وسراتكم فرددتموه؟! فاذهبوا إليه فأطعموه من الطعام والشراب ما يشتهي..

فمن الآمر؟ ومن المأمور في هذا النص؟!

ولماذا لم يصدروا أمرهم بإطعامه وسقيه، حين كانوا مجتمعين على قصعتهم..

٩ ـ على أن رواية العسقلاني عن أبي يعلى تقول: بعثني رسول الله

---

(١) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٤ و ٥ والإصابة ج٢ ص١٨٢ وعمدة القاري ج١٢ ص١٥٧ وسبل السلام ج١ ص١٨ والإستيعاب لابن عبد البر ج٢ ص٧٣٦ وج٤ ص١٦٠٢ و الإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص ١٣ و مستدركات علم رجال الحديث للشاهرودي ج٤ ص٢٥٩ وأسد الغابة ج٥ ص١٣٩ والأعلام للزركلي ج٣ ص٢٠٣ والوافي بالوفيات ج١٦ ص١٧٧.

(٢) الإصابة ج٢ ص١٨٢ و (ط دار الكتب العلمية ـ بيروت) ج٣ ص٣٤٠ وذكر المقريزي في هامش إمتاع الأسماع ج١٢ ص٥٠.

«صلى الله عليه وآله» إلى قومٍ.. فلم يعين القوم الذين أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم[1].

إلا أن يقال: إن الراوي أو الكاتب للنص أسقط الياء من كلمة «قومي».

١٠ ـ على أن حصر رواية هذه الحادثة بأبي أمامة يثير الشبهة أيضاً. فإنني لم أجدها مروية عن غيره حتى لو كان باهلياً أيضاً!!

سرية خالد إلى بني الحارث بن كعب:

وفي شهر ربيع الأول، أو ربيع الآخر، أو جمادى الأولى، سنة عشر[2] بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وكانوا مشركين: وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام قبل أن يقاتلهم. فإن استجابوا، فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا، فقاتلهم.

---

(١) الإصابة ج٢ ص١٨٢ و (ط دار الكتب العلمية ـ بيروت) ج٣ ص٣٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٢٥١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٣٢ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٥١٠ و ٥١١ وفي هامشه عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٣ ص١٢٦ وما بعدها، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٣٩ وفي (ط أخرى) ج١ ق٢ ص٧٢ وأسد الغابة ج٥ ص١١٧ والكامل في التاريخ ج٢ ص١١٢ وفي (ط أخرى) ص٢٩٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٦٢ وفي (ط أخرى) ص٢٤٠ والإصابة ج٣ ص٦٦٠ والبحار ج٢١ ص٣٦٩ و ٣٧٠ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٦٥٧ ورسالات نبوية ص١٤١ وزاد المعاد ج٣ ص٣٥ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٣ ص١٠٢ وفي (ط أخرى) ج٤ ص٣٣ والمفصل ج٣ ص٥٣٧ وج٧ ص٤٧٩.

فخرج إليهم خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون في كل وجه، ويدعون إلى الإسلام ويقولون: «أيها الناس، أسلموا تسلموا».

فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه. فأقام فيهم خالد بن الوليد، يعلمهم شرائع الإسلام، وكتاب الله عز وجل، وسنة نبيه «صلى الله عليه وآله»[1].

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«بسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد النبي رسول الله «صلى الله عليه وآله» [من خالد بن الوليد]

السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد.. يا رسول الله صلى الله عليك، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا قبلت منهم، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم.

وإني قدمت عليهم، فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، كما أمرني رسول الله «صلى الله عليه وآله». وبعثت فيهم ركباناً ينادون: يا بني الحارث،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٣٢ و٣٢٠ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٥١١ والبحار ج٢١ ص٣٦٩ ومعجم قبائل العرب ج١ ص٢٣١ وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٨٥ والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص١١٤ والسيرة النبوية للحميري ج٤ ص١٠١٢ وعيون الأثر ج٢ ص٢٩٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٨٨.

أسلموا تسلموا.

فأسلموا ولم يقاتلوا. وإني مقيم بين أظهرهم آمرهم بما أمرهم الله به، وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي «صلى الله عليه وآله» حتى يكتب إليّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» والسلام عليك يا رسول الله ورحمته وبركاته»[1].

فكتب إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد..

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو..

أما بعد.. فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أن بني الحارث بن كعب

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٣٢ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٥١٢ و ٥١٣ وفي هامشه عن المصادر التالية: السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٦٣ وفي (ط أخرى) ص٢٣٩ وفي (ط مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ـ مصر) ص ١٠١٣ وفي (ط دار المعرفة ـ بيروت) ج٤ ص١٨٩ وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٨٥ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٢٨٥ وفي (ط أخرى) ج٣ ص١٢٦ وجمهرة رسائل العرب عن صبح الأعشى ج٦ ص٤٦٥ والبحار ج٢١ ص٣٧٠ ومآثر الأنافة ج٣ ص٢٧٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٩٨ وفي (ط أخرى) ص١١٤ وحياة الصحابة ج١ ص٩٦ ورسالات نبوية ص١٤١ ومجموعة الوثائق السياسية ص١٦٦ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٣ ص١٠٢ وج٤ ص٣٣ ونشأة الدولة الإسلامية ص١٦١ وصبح الأعشى ج٦ ص٤٥٤ والمصباح المضيء ج٢ ص٢٥٧ وأشار إليه في الطبقات الكبرى ج١ ق٢ ص٧٢.

قد أسلموا، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشرهم، وأنذرهم، وأقبل. وليقبل معك وفدهم..

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته..»[1].

فلما قرأ خالد الكتاب أقبل، وأقبل معه من كل بطن منهم، من رؤسائهم واحد أو اثنان، وهم:

١ ـ يزيد بن عبد المدان.

٢ ـ يزيد بن المحجل.

٣ ـ عبد الله بن قريط.

٤ ـ قيس بن الحصين بن يزيد.

٥ ـ شداد بن عبد الله القناني.

٦ ـ عمرو بن عمرو الضبابي.

٧ ـ عبد الله بن عبد المدان.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٣٢ والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص١١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٨٩ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٥١٠ وفي هامشه عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ق٢ ص٧٢ والعبر وتاريخ المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ص٨٢٨ وفي (ط أخرى) ج٢ ق٢ ص٥٣ وزاد المعاد ج٣ ص٣٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص٤١١ وفي (هامشه أخرج النص) والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٩ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٢ ص٣٨٤ والإصابة ج٣ ص٦٦٠ (٩٢٨٨) والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٩٣ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٣ ص١٠٢ وج٤ ص٣٣.

٨ ـ عبد الله بن عمرو الضبابي

وسيأتي إن شاء الله ما يتعلق بذلك حين نتحدث عن موضوع الوفود..

تحديد مدة الدعوة قبل القتال، لماذا؟!

وقد حدد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لخالد مدة الدعوة قبل القتال بثلاثة أيام، لكي لا يتسرع، ويوقع بهم، طمعاً في أموالهم، ونساءهم وذراريهم، ليعطيهم فسحة للإعراب عن دخائل نفوسهم بعد التروي، والتأمل والنقاش، والإستيضاح، وسماع التفسير.. ثم ليظهر إسلامهم أمام الملأ، فلا يبقى مجال للمناقشة أو الجدال فيه.

وتحديد مدة الدعوة هذا، معناه: أن بني الحارث بن كعب لم يكونوا قد أعلنوا الحرب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا جمعوا الجموع من أجل ذلك.

فكان لابد من الرفق بهم، وإعطائهم الوقت لكي يستوفوا حقهم في الإطلاع على الدعوة، والتأمل والتدبير فيها.. وهكذا كان..

وبعد هذا، فمن الطبيعي أيضاً أن يكون في هذا التحديد دلالة على أن خالداً لا يؤمن على هذا الأمر، لأنه كانت تراوده أطماع وطموحات لا يستسيغها العقل ولا الشرع، وقد أراد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يلجمها، ويحاصرها، ويمنعها من الحركة.

ومن هنا نفهم السبب في إننا لم نجد النبي «صلى الله عليه وآله» قد حدد وقتاً لعلي «عليه السلام»، أو لغيره ممن كان يثق بحكمتهم، ويعرف حقيقة اهتماماتهم، ويطمئن إلى أن أعظم همهم هو هداية الناس، وليس

اكتساب الثناء، وبُعد الصيت في الفروسية والبطش، وغير ذلك من عناوين فارغة.. ولا الحصول على الغنائم والسبايا، والتسلط على الآخرين وإذلالهم واستعبادهم..

سرية الجهني إلى أبي سفيان بن الحارث:

عن عمرو بن مرة قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث جهينة، ومزينة إلى أبي سفيان بن الحارث، بن عبد المطلب. وكان منابذاً للنبي «صلى الله عليه وآله»، فلما ولوا غير بعيد قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، علام تبعث [هؤلاء] قد كادا يتفانيان في الجاهلية، وقد أدركهم الإسلام وهم على بقية منها.

فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بردهم حتى وقفوا بين يديه. فعقد لعمرو بن مرة على الجيشين، على جهينة ومزينة وقال: «سيروا على بركة الله».

فساروا إلى أبي سفيان بن الحارث. فهزمه الله تعالى، وكثر القتل في أصحابه. فلذلك يقول أبو سفيان بن الحارث: [...][1].

ونقول:

لم يذكر لنا الصالحي الشامي المصدر الذي أخذ منه هذا النص.. على أن لنا أن نثير بعض التحفظات والتساؤلات حول صحة ما ذكره كما يلي:

أولاً: أين كان أبو سفيان بن الحارث معسكراً حين خرج إليه جيش

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٧، وموضع النقاط يشير إلى فقدان النص ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٠١.

رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟ فإن أبا سفيان مكي قرشي، ولم نعلم أنه فتح جبهة مستقلة عن قريش، وأعلن حرباً تختص به دونها، ولا أنه انحاز عنها إلى منطقة بعينها، ولو حصل شيء من ذلك لسجله لنا التاريخ.. بل كان مشاركاً لقريش في حروبها المعروفة والمعلنة، ولا شيء أكثر من ذلك..

ثانياً: إن ما ذكره أبو بكر عن تفاني جهينة ومزينة في الجاهلية ليس ظاهراً من النصوص، بل كانت العلاقة بين القبيلتين كأية علاقة أخرى بين القبائل العربية..

ثالثاً: إنه حين أرسلهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ذلك البعث، هل أمَّر عليها أميراً واحداً؟! أو أمَّر على كل قبيلة أميراً؟! أم لم يؤمّر عليهما أحداً؟! وهل كان الأمير من إحدى القبيلتين؟! أم كان غريباً عنهما؟!.

إن كل ذلك لم توضحه هذه الرواية لنا.

رابعاً: إننا لم نعرف ما الذي غيَّره النبي «صلى الله عليه وآله» حين ردّهم إليه، وأمّر عليهم عمرو بن مرة الجهني؟ ولماذا اختاره جهنياً لا مزنياً؟ وكيف رضيت به مزينة، وهو جهني؟

والمفروض: أن بين القبيلتين بقية من عداوة كانت في الجاهلية!! إلا إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد نسي في بادئ الأمر أن يؤمّر أحداً، فلما اعترض أبو بكر تذكر ذلك، فاختاره جهنياً، ويكون بذلك قد زاد الطين بلة، والخرق اتساعاً.. على خلاف ما أراده أبو بكر. ونعوذ بالله من الخذلان، ونستجير به من غضبه، ومن الخزي والخسران.

خامساً: إن أبا بكر حين اعترض على النبي «صلى الله عليه وآله» إنما أراد أن يرشده إلى الصواب، باعتبار أن ما فعله «صلى الله عليه وآله» كان

خطأً بنظره..

ولا شك في أن هذا الأمر مما لا يحمد عليه أبو بكر، ولا يقبل منه ولا من غيره، فإنه «صلى الله عليه وآله»، معصوم ومسدد بالوحي..

على أنه لو صح تعليل أبي بكر من ظهور العداوة بين القبيلتين، لكان ذلك مشتهراً في الجزيرة العربية، ولعلمه رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين أقدم على إرسال هاتين القبيلتين..

سادساً: ما معنى أن يرسل النبي «صلى الله عليه وآله» جيشين إلى مواجهة أبي سفيان بن الحارث، فإن الرواية تقول: «فعقد لعمرو بن مرة على الجيشين»؟! وهل كان من عادته «صلى الله عليه وآله» أن يرسل جيشين بقائد واحد إلى قتال طائفة واحدة، أو هل فعل ذلك «صلى الله عليه وآله» قبل أو بعد ذلك ولو مرة واحدة في ظروف مشابهة؟!

وفد بني عبس تحول سرية:

ذكر ابن سعد في الوفود: أن بني عبس وفدوا وهم تسعة.

فبعثهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» سرية لعير قريش[1].

وفي نص آخر: أنه قال لهم: «ابغوني لكم عاشراً أعقد لكم لواء».

فدخل طلحة بن عبيد الله، فعقد لهم لواء[2]، وجعل شعارهم: يا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤١.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص٢٢٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٩ ص٣٥٩ والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص١٠٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٧٠ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٧٥.

عشرة، فهو إلى اليوم كذلك[1].

وكان «صلى الله عليه وآله» لا يعقد لواء لأقل من عشرة.

وهم: بشر بن الحارث، والحارث بن الربيع بن زياد، وسباع بن زبد، وعبد الله بن مالك، وقرة بن حصن، وقنان بن دارم، وميسرة بن مسروق، وهرم بن مسعدة، وأبو الحصين بن القيم[2].

ونقول:

رسول الله ﷺ هو العاشر:

ما زعموه: من أن طلحة كان هو العاشر غير مسلم، فقد روى ابن سعد في الطبقات الكبرى: أن عيراً لقريش أقبلت من الشام، فبعث بني عبس في سرية، وعقد لهم لواء.

فقالوا: يا رسول الله، كيف نقسم غنيمة إن أصبناها ونحن تسعة؟

فقال: أنا عاشركم[3].

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص٢٢٤ والإصابة لابن حجر ج١ ص٤٢٧ ومعجم ما استعجم ج٣ ص٩٢٧.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص ٢٢٤ والإصابة لابن حجر ج١ ص٤٢٧ وفي هامش إكمال الكمال ج٦ ص٢٤٩.

(٣) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص٢٢٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٩ ص٣٥٩.

تاريخ هذه السرية:

ومن الواضح: أن الوفود إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إنما كانت سنة تسع، وقد عقد صلح الحديبية، وكف المسلمون عن مهاجمة عير قريش قبل ذلك بسنوات، ثم كان فتح مكة في سنة ثمان..

وذلك كله يشير إلى: أن هذا الوفد من بني عبس إنما جاء إلى المدينة قبل صلح الحديبية، فأرسله النبي «صلى الله عليه وآله» لعير لقريش قادمة من الشام..

بعثة الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق:

قال المؤرخون، واللفظ للواقدي:

بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط إلى بني المصطلق من خزاعة يصدقهم، وكانوا قد أسلموا، وبنوا المساجد بساحاتهم، فلما خرج إليهم وسمعوا به قد دنا منهم، خرج منهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزور، والنعم، فرحاً به.

وقيل: خرجوا بها يؤدونها عن زكاتهم.

ولم يروا أحداً يصدق بعيراً قط. ولا شاة، فلما رآهم ولى راجعاً إلى المدينة ولم يقربهم. فأخبر النبي «صلى الله عليه وآله» أنه لما دنى منهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة.

(**وقيل**: إنه قال: إنهم ارتدوا..)[1].

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٨ وفي هامش الغارات للثقفي ج١ =

(**أو قال:** إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي)[1].

فهمّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يبعث إليهم من يغزوهم. وبلغ ذلك القوم، فقدم الركب الذين لقوا الوليد على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

(**وفي نص آخر:** أنه «صلى الله عليه وآله» ضرب البعث إلى الحرث، فأقبل الحرث، فاستقبل البعث)[2]، ثم دخلوا.

= ص٢٥١ والإستيعاب ج٤ ص١٥٥٣ والدرر لابن عبد البر ص١٩١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٣٩ وراجع تفسير الميزان للطباطبائي ج١٨ ص٣١٤ وتفسير السمعاني ج٥ ص٢١٧ و تفسير العز بن عبد السلام للإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي ج٣ ص٢١٣ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص١٣٦ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص٤٤٠ وأسد الغابة ج٥ ص٩١ وتهذيب الكمال للمزي ج٣١ ص٥٦ والإصابة لابن حجر ج٦ ص٤٨١ وتهذيب ابتهذيب لابن حجر ج١١ ص١٢٦ والوافي بالوفيات ج٢٧ ص ٢٧٦.

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٨ والمعجم الكبير ج٣ ص٢٧٤ وتفسير المزان ج١٨ ص٣١٨ وتفسير إبن أبي حاتم ج١٠ ص٣٣٠٣ وأسباب نزول الآيات للنيسابوري ص٢٦٢ والدر المنثور للسيوطي ج٦ ص٨٨ وفتح القدير للشوكاني ج٥ ص٦٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٣ ص٢٢٨ و٢٢٩.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٨ وراجع أسباب نزول الآيات للنيسابوري ص٢٦٢ وهامش سير اعلام النبلاء للذهبي ج٣ ص٤١٣ و أسد الغابة ج١ ص٣٣٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٣ ص٢٢٩ و٢٢٨ وفتح القدير للشوكاني ج٥ ص٦٢ والدر المنثور للسيوطي ج٦ ص٨٨ وأسباب نزول =

فأخبروا النبي «صلى الله عليه وآله» الخبر على وجهه، فنزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1]، فقرأ النبي «صلى الله عليه وآله» القرآن، وأخبرنا بعذرنا، وما نزل في صاحبنا، ثم قال: من تحبون أن أبعث إليكم؟!

قالوا: تبعث إلينا عباد بن بشر.

قال: يا عباد سر معهم، فخذ صدقات أموالهم، وتوقَّ كرائم أموالهم.

قال: فخرجنا مع عباد، يقرؤنا القرآن، ويعلمنا شرائع الإسلام، حتى انزلناه في وسط بيوتنا، فلم يضيّع حقاً، ولم يعدُ بنا الحق.

وأمره رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأقام عندنا عشراً، ثم انصرف إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» راضياً[2].

وقالوا أيضاً: إن سبب ذلك أن الحارث بن عمرو الخزاعي، والمصطلق بطن من خزاعة قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأسلم، وعاد إلى قومه، ليقنعهم بالإسلام ثم يجمع زكاتهم، ثم يرسل النبي «صلى الله عليه وآله» في وقت ـ قد عينوه ـ من يأخذ منه ما جمعه من صدقات..

فمضى الوقت المحدد، ولم يأته رسول من قبل النبي «صلى الله عليه

= الآيات للنيسابوري ص٢٦٢ وتفسير إبن أبي حاتم ج١٠ ص٣٣٠٣ وتفسير الميزان ج١٨ ص٣١٨ والمعجم الكبير للطبراني ج٣ ص٢٧٤.

(١) الآية ٦ من سورة الحجرات.

(٢) المغازي للواقدي ج٣ ص٩٨٠ و ٩٨١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٦٢.

وآله»، فجمع سروات قومه، وأخبرهم بالأمر، وقال لهم: ليس الخلف منه «صلى الله عليه وآله»، ثم ذهب بهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله»[1]. حسبما تقدم..

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات هي التالية:

الوليد كان طفلاً:

قال ابن عبد البر: لا خلاف بين أهل التأويل أن الآية: ﴿**إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ نزلت في الوليد[2].

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٨.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٨ وفي هامش الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي ج١ ص٢٥٢ وعين العبرة في غبن العترة للسيد أحمد آل طاووس ص٦٣ والبحار ج٣١ ص١٥٣ و١٥٤ وخلاصة عبقات الأنوار للنقوي ج٣ ص٢٧١ والغدير للأميني ج٨ ص١٢٤ و مستدرك سفينة البحار للشاهرودي ج٨ ص٢٠١ والإستيعاب ج٤ ص١٥٥٣ و١٥٥٤ وفقه القرآن للراوندي ج١ ص٣٧١ والتفسير الأصفى للكاشاني ج٢ ص١١٩٢ وتفسير الميزان ج١٨ ص٣١٩ وجامع البيان للطبري ج٢٦ ص١٦٠ و١٦١ وتفسير السمرقندي ج٣ ص٣٠٨ وتفسير الثعلبي ج٩ ص٧٧ وأسباب نزول الآيات للنيسابوري ص٢٦١ وتفسير الواحدي ج٢ ص١٠٦٢ وتفسير البغوي ج٤ ص٢١٢ والفسير النسفي ج٤ ص١٦٣ وزاد المسير لابن الجوزي ج٧ ص١٨٠ وتفسير القرطبي ج١٦ ص٣١١ وتفسير ابن كثير ج٤ ص٢٢٣ و٢٢٥ وفتح القدير للشوكاني ج٥ ص٦٠ والذريعة للسيد المرتضى ج٢ ص٥٣٦ وأصول السرخسي ج١ ص٣٧١ وتهذيب الكمال ج٣١ =

ولكن قد أخرج أبو داود عن أبي موسى، عبد الله الهمداني، عن الوليد بن عقبة، قال: لما افتتح «صلى الله عليه وآله» مكة جعل أهلها يأتونه بصبيانهم، فيمسح على رؤوسهم، فأتي بي إليه، وأنا مخلق، فلم يمسسني من أجل الخلوق[1].

ونقول:

إن هذا الحديث لا يصح، لما يلي:

أولاً: قال ابن عبد البر: الحديث منكر مضطرب لا يصح، وأبو موسى مجهول[2].

= ص٥٦ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٤١٤ وتهذيب التهذيب ج١١ ص١٢٦ والوافي بالوفيات ج٢٧ ص٢٧٦ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص٢١٧ والجمل للمفيد ص١١٥ وتنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ص١٣٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٥٩٢ والنصائح الكافية ص١٧٠.

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٨ و ٣٩ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٣ ص٦٣١ والإصابة ج٣ ص٦٣٨ و فلك النجاة في الإمامة والصلاة لعلي محمد فتح الدين الحنفي ص١٥٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص٥٩٢ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٣٧٠ وج١٠ ص١١١ والوافي بالوفيات ج٢٧ ص٢٧٦ والإصابة ج٦ ص٤٨٢ وتهذيب الكمال ج٣١ ص٥٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٣ ص٢٢٤ وضعفاء العقيلي ج٢ ص٣١٩ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص١٣٦ والإستيعاب ج٤ ص١٥٥٢ والمعجم الكبير ج٢٢ ص١٥١.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٩ والإصابة ج٣ ص٦٣٨ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٣ ص٦٣١ وأسد الغابة ج٥ ص٩٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٣٩ والإستيعاب ج٤ ص١٥٥٣ وعون المعبود للعظيم =

ثانياً: قال أيضاً: إن من يكون صبياً يوم الفتح، لا يبعثه مصدّقاً بعد الفتح بقليل[1].

ثالثاً: لما هاجرت أم كلثوم بنت عقبة في الهدنة خرج أخواها الوليد وعمارة ليرداها. فمن يكون صبياً يوم الفتح كيف يخرج ليرد أخته قبله؟[2].

رابعاً: قال الحافظ: ومما يؤيد أنه كان في الفتح رجلاً: أنه قدم في فداء ابن عم أبيه الحرث بن أبي وجرة لما أسر يوم بدر، فافتداه بأربعة آلاف[3].

خامساً: ورد في منازعة الوليد لعلي «عليه السلام»، قول الوليد لعلي

= آبادي ج١١ ص١٥٨ والجوهر النقي ج٩ ص٥٦ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص١٣٦ وتهذيب الكمال ج٣١ ص٥٦ والإصابة لابن حجر ج٦ ص٤٨٢ والوافي بالوفيات ج٢٧ ص٢٧٦ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص٢١٥ و٢١٦.

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٩ والإصابة ج٣ ص٦٣٨ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٣ ص ٦٣١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٣٩ والإستيعاب ج٤ ص١٥٥٣ وعون المعبود للعظيم آبادي ج١١ ص١٥٨ والجوهر النقي ج٩ ص٥٦ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص١٣٦ وأسد الغابة ج٥ ص٩٠ وتهذيب الكمال ج٣١ ص٥٦ والإصابة لابن حجر ج٦ ص٤٨٢ والوافي بالوفيات ج٢٧ ص٢٧٦ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص٢١٥ و٢١٦.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٩ والإصابة ج٣ ص٦٣٨ وفي (ط دار الكتب العلمية ـ بيروت) ج٦ ص٤٨٢ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٣ ص٦٣١ عن الزبير بن بكار وغيره من علماء السير.

(٣) شرح المواهب للزرقاني ج٤ ص٣٩ والإصابة ج٣ ص٦٣٨ وفي (ط دار الكتب العلمية - بيروت) ج٦ ص٤٨٢ وتهذيب التهذيب ج١١ ص١٢٧ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص١٣٦.

«عليه السلام»: اسكت فإنك صبي وأنا شيخ الخ..»[1].

وهذا صريح في أن عمره كان آنئذٍ يعد بعشرات السنين.

سادساً: قال له الإمام الحسن «عليه السلام»: اقسم بالله، لأنت أكبر في الميلاد وأسن ممن تدعى إليه[2].

والحقيقة هي: أن هؤلاء المتحذلقين يريدون بدعواهم صغر سن الوليد، تكذيب أو على الأقل إثارة الشبهة حول نزول آية: ﴿**إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ في حق الوليد بن عقبة، وذلك حفاظاً منهم على البيت الأموي، ورعاية لحق عثمان، لأن الوليد أخوه من أمه.. وفراراً من الإعتراف بأن في الصحابة فاسق، حتى لو نطق القرآن بذلك..

إجراءات إحترازية:

وقد ذكرت بعض النصوص: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث خالد بن الوليد خفية في عسكر لاستكشاف الخبر في بني المصطلق، وأمره أن يخفي عنهم قدومه، فلما دنا منهم بعث عيوناً ليلاً، فإذا هم ينادون بالصلاة ويصلون. فأتاهم خالد، فلم ير منهم إلا طاعةً وخيراً، فرجع إليه

---

(١) الأغاني ج٥ ص١٥٣ وتفسير الخازن ج٣ ص٤٧٠ والغدير ج٢ ص٤٦ ومصادر أخرى ستأتي عن قريب إن شاء الله.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٢٩٣ عن الزبير بن بكار وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١١٩ والغدير ج٨ ص٢٧٥ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٧٥ وغاية المرام ج٤ ص١٣٢.

«صلى الله عليه وآله»، فأخبره فنزلت الآية[1].

ونقول:

١ ـ الذي يبدو لنا من ملاحظة النصوص: أنه «صلى الله عليه وآله» قد تصرف باتجاهين بصورة متوازنة، فهو في نفس الوقت الذي أظهر فيه أنه يريد التصدي لتمرد بني المصطلق، فضرب على الناس البعث إليهم، فإنه من جهة أخرى أرسل خالداً إليهم سراً، ليستعلم خبرهم مباشرة.

فانسجم الموقف الحازم المتمثل بالتصرف الأول مع الدقة في متابعة الأمور، والإحتياط لدماء الناس، وحفظ كراماتهم ومصالحهم، المتمثل بالتصرف الثاني..

٢ ـ إن الآية الكريمة (آية النبأ) إنما نزلت بعد أن ظهر للناس كذب ما جاءهم به الوليد، وأنه قد افترى على بني المصطلق، واختلق أموراً لا أساس لها؛ فجاء توصيفه في الآية بالفاسق ليصدق هذه الوقائع التي رآها الناس بأعينهم..

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٩ عن عبد الرزاق وغيره، عن قتادة، وعكرمة، ومجاهد. والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٣ ص٦٣٢ والإصابة ج٣ ص٦٣٧ وراجع: تفسير الثعلبي ج٩ ص٧٧ وتفسير البغوي ج٤ ص٢١٢ وتفسير القرآن للصنعاني ج٣ ص٢٣١ وأحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٥٢٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٣ ص٢٣٢ والإصابة ج٦ ص٤٨١ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص٢١٧.

الوليد ليس بفاسق حتى لو نزلت الآية فيه!!:

قال الزرقاني: «ولا يشكل تسميته فاسقاً بإخباره عنهم بذلك على ظنه للعداوة ورؤية السيوف. وذلك لا يقتضي الفسق، لأن المراد الفسق اللغوي، وهو الخروج عن الطاعة.. وسماه فاسقاً لإخباره بخلاف الواقع على المبعوث إليهم، لا الشرعي الذي هو من ارتكب كبيرة، أو أصر على صغيرة، لعدالة الصحابة.

وقد صرح بعضهم: بأن كون ذلك مدلول الفسق، لا يعرف لغة إنما هو مدلول شرعي»[1].

ونقول:

أولاً: هناك آيتان في القرآن الكريم نزلتا في الوليد بن عقبة، توضح أحدهما الأخرى، إن لم نقل: إنها ناظرة إليها..

أحديهما: قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ**﴾[2]، فقد كان بين علي «عليه السلام» وبين الوليد بن عقبة تنازع وكلام، فقال له علي «عليه السلام»: اسكت فإنك فاسق. فأنزل الله تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ**﴾.

وحكى المعتزلي عن شيخه: أن هذا من المعلوم الذي لا ريب فيه لاشتهار الخبر به، وإطباق الناس عليه[3].

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٩.

(٢) الآية ١٨ من سورة السجدة.

(٣) راجع: الأغاني ج٥ ص١٥٣ وجامع البيان للطبري ج٢١ في تفسير الآية، وتفسير =

وأما نزول الآية الثانية في الوليد: فيكفي أن نذكر قول ابن عبد البر: إنه «لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله عز وجل: ﴿إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[1] نزلت في الوليد»[2].

= الخازن ج٤ ص٤٧٠ وأسباب النزول للواحدي ص٢٣٥ والرياض النضرة ج٣ ص١٥٦ وذخائر العقبى ص٨٨ والمناقب للخوارزمي ص١٨٨ وكفاية الطالب ص٥٥ وغرائب القرآن للنيسابوري ج٢١ ص٧٢ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٦٢ ونظم درر السمطين ص٩٢ وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ص٨٠ وج٦ ص٢٩٢ وج١ ص٣٩٤ وج٢ ص١٠٣ والدر المنثور ج٤ ص١٧٨ عن بعض من تقدم، وعن الأغاني، وابن عدي، وابن مردويه، والخطيب، وابن عساكر، وابن إسحاق، وابن أبي حاتم، وعن السيرة الحلبية ج٢ ص٨٥ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٦٣٣ وموسوعة الإمام علي للريشهري ج١١ ص٣١٦ وغاية المرام للبحراني ج٤ ص١٣٠.

(١) الآية ٦ من سورة الحجرات.

(٢) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٦٣٢ وراجع: أسد الغابة ج٥ ص٩٠ والإصابة ج٣ ص٦٣٧ وتفسير البغوي ج٤ ص٢١٢ وتفسير النسفي ج٤ ص١٦٣ وزاد المسير لابن الجوزي ج٧ ص١٨٠ وتفسير القرطبي ج١٦ ص٣١١ وتفسير ابن كثير ج٤ ص٢٢٣ وتفسير الواحدي ج٢ ص١٠١٦ وأسباب نزول الآيات للنيسابوري ص٢٦١ وتفسير الثعلبي ج٩ ص٧٧ وتفسير السمرقندي ج٣ ص٣٠٨ وجامع البيان للطبري ج٢٦ ص١٦١ و١٦٠ وتفسير الميزان ج١٨ ص٣١٩ والتفسير الأصفى للكاشاني ج٢ ص١١٩٢ وفقه القرآن للراوندي ج١ ص٣٧١ والإستيعاب ج٤ ص١٥٥٤ و١٥٥٣ ومستدرك سفينة البحار للشاهرودي ج٨ ص٢٠١ والغدير ج٨ ص١٢٤ وخلاصة =

فلو قبلنا بمقولة: أن المراد بالفسق ليس هو معناه الشرعي، فإننا نقول:

لقد بين لنا القرآن معنى الفسق المقصود بالآيات، وهو أعظم وأخطر مما أراد الزرقاني وأضرابه الهروب منه، لأن القرآن جعل الفسق مقابل الإيمان، فوصف الوليد بالفاسق يخرجه عن صفة الإيمان بالكلية كما أظهرته آية: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ﴾ النازلة في حق الوليد بالذات.

وقال تعالى: ﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

وآيات كثيرة أخرى تشير إلى هذا المعنى، وتجعل الفاسق بحكم الكافر.

ثانياً: قال الإمام الحسن المجتبى «عليه السلام» طاعناً على الوليد في مجلس معاوية: «وأنت الذي سماه الله الفاسق، وسمى علياً المؤمن».

ثم ذكر قصة مفاخرته مع علي «عليه السلام»، ونزول الآية الشريفة موافقة لعلي «عليه السلام».

ثم قال: «ثم أنزل فيك موافقة قوله: ﴿إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ ويحك يا وليد مهما نسيت، فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه:

______

= عبقات الأنوار للنقوي ج٣ ص٢٧١ والبحار ج٣١ ص١٥٤ وعين العبرة في غبن العترة للسيد أحمد آل طاووس ص٦٣ وفتح القدير للشوكاني ج٥ ص٦٠ وأصول السرخسي ج١ ص٣٧١ وتهذيب الكمال ج٣١ ص٥٦ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٤١٤ وتهذيب التهذيب ج١١ ص١٢٦ والوافي بالوفيات ج٢٧ ص٢٧٦ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص٢١٧ والجمل للمفيد ص١١٥ وتنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ص١٣٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٥٩٢.

(١) الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

أنزل الله والكتاب عزيز في علي وفي الوليد قرآنا
فتبوى الوليد إذ ذاك فسقاً وعلي مبوأ إيماناً
ليس من كان مؤمناً عمرك الله كمن كان فاسقاً خواناً[1]

فإن طعن الإمام الحسن «عليه السلام» على الوليد بذلك يشير إلى أن الآية قد تضمنت أعظم الذم للوليد.

ولو أردنا أن نأخذ بما يقوله الزرقاني لوجب أن يكون نزول الآية في حقه خطأً وظلماً، لأنها أوهمت ذمه، وجعلته في موضع الخزي إلى يوم القيامة..

على أنه لو أمكن التشكيك في مفاد آية النبأ، وقبلنا منهم هذه التمحلات، فإنه لا نجاة له من مفاد الآية الأخرى حسبما أوضحناه، فإنها لا تريد أن تثني على الوليد، بل هي بصدد ذمه الشديد والأكيد، وإثبات صفة الفسق بمعنى عدم الإيمان عليه..

ثالثاً: أما قوله: إن المراد بالفسق ليس معناه الشرعي، لثبوت عدالة الصحابة، فهو أول الكلام، لأن هذه الآيات وسواها مما نزل في حق الكثيرين منهم تنفي عموم عدالتهم.

نعم، لا ريب في ثبوت العدالة لطائفة من الصحابة.

رابعاً: إن الأمر لم يقتصر على مجرد ظن الوليد بشيء، ثم ظهر مخالفة هذا الظن للواقع، بل تجاوز ذلك إلى اختلاقه أخباراً، ومبادرته إلى افتراءات

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص٣٨ والغدير ج٨ ص٢٧٥ وشرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٢٩٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٧٥ وغاية المرام للبحراني ج٤ ص١٣٢.

لا واقع لها، حيث نسب إليهم أنهم ارتدوا، وأنهم أرادوا قتله، وما إلى ذلك مما تشير إليه النصوص..

ومن المعلوم: أن الإفتراء على المؤمنين، والتحريض عليهم، والتسبب بإرسال الجيوش لحربهم وقتلهم، بل مجرد تعمد الكذب ـ إن ذلك ـ من موجبات الفسق الشرعي والعرفي، والأخلاقي وما إلى ذلك.

فما معنى أن يقال: إنه لم يصدر منه سوى أنه قد ظن أمراً، بسبب خوف اعتراه، ثم ظهر عدم صحة ظنه؟!

سرية خالد إلى قوم من خثعم:

عن خالد بن الوليد: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعثه إلى أناس من خثعم، فاعتصموا بالسجود، فقتلهم، فوداهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» نصف الدية، ثم قال: أنا بريء من كل مسلم أقام مع المشركين لا تراءى ناراهما[1].

ونقول:

١ ـ ماذا كان يضير خالد بن الوليد لو أنه تثبّت من إسلام هؤلاء الذين يعتصمون بالسجود؟!.. فإنه سوف لا يخسر شيئاً، ولا يفوته قتلهم لو كانوا مستحقين للقتل..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٧ عن الطبراني في الكبير ج٤ ص١٣٤ وقالوا: إن رجال الرواية ثقات وعمدة القاري ج١٣ ص٢٧٧ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج١ ص٤٠٢ و٤٠٣ والفتح السماوي للمناوي ج٢ ص٥٦٦ و٥٦٨.

٢ ـ لماذا لا يكون مصب اهتمام خالد على أخذهم أسرى، ليرى النبي «صلى الله عليه وآله» فيهم رأيه، فلعله يرجح استرقاقهم لينتفع بهم المسلمون، أو يمهلهم ليسمعوا كلام الله، أو يوفر لهم الفرصة ليعيشوا الإسلام في مفاهيمه وقيمه، وفي عقائده وشرائعه، ويقارنوا بينه وبين الشرك الذي هم عليه، ليروا البون الشاسع فيما بينهما، ويكون اختيارهم له مستنداً إلى الحس والمشاهدة القريبة..

٣ ـ على أن من المعلوم: أن المهمة التي كلفه بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليست هي قتل كل من لم يسلم بل كلفه بالدعوة إلى الله تعالى، وكفّ شر من يريد بالإسلام وبالمسلمين شراً، حين يعلن الحرب على الإسلام وأهله.

٤ ـ أما قول النبي «صلى الله عليه وآله»: أنا بريء من كل مسلم أقام مع المشركين، لا تراءى ناراهما، فهو ليس تبرئة لخالد بقدر ما هو إدانة له، فإن نفس اعتصام أولئك القوم بالسجود إظهار للإسلام، وإعلان له، ودلالة واضحة على أنهم أهله، لأن المقصود بترائي ناري المسلمين والمشركين هو: إظهار ما يمكن به التمييز بين الفريقين. والإعتصام بالسجود هو من هذه العلائم التي تحقق هذا التمييز.

وحتى لو كان هناك شك في ذلك، فإن التبيّن والتأكد من الحقيقة ليس بالأمر الصعب، ولا هو بالأمر الرديء والمستهجن والمعيب..

الباب السابع

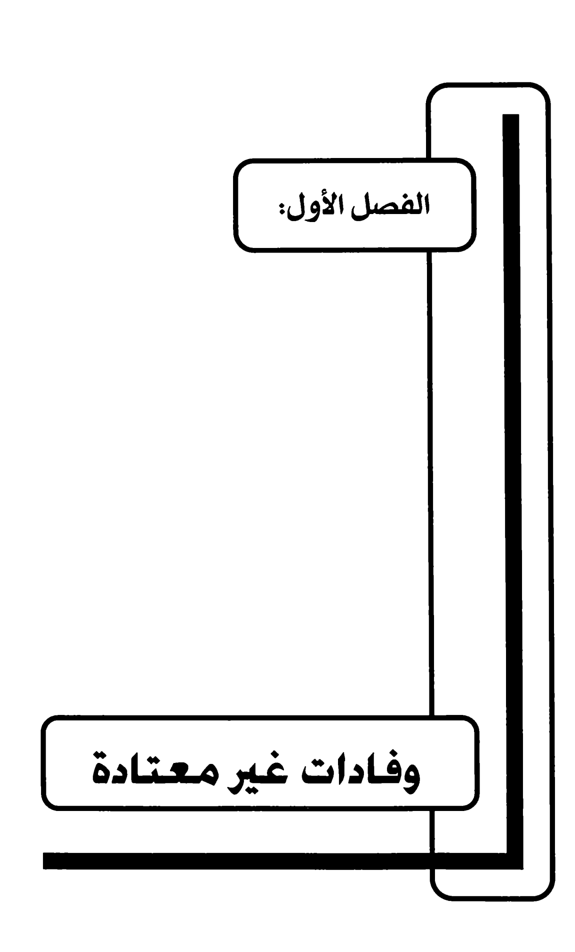
الوفادات على رسول الله ﷺ

الفصل الأول: وفادات غير معتادة
الفصل الثاني: أشخاص عُلم تاريخ وفادتهم
الفصل الثالث: وفادات أشخاص قليلة التفاصيل
الفصل الرابع: ست وفادات شخصية

[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]



الفصل الأول:

وفادات غير معتادة

[illegible]

[illegible]

وفود تحدثنا عنها:

سبق وتحدثنا في كتابنا هذا عن عدد من الوفود على رسول الله «صلى الله عليه وآله» لاقتضاء المناسبة ذلك.. فنحن سوف لا نعيد الحديث عن هذه الوفود اكتفاءً بما ذكرناه عنها سابقاً.. ومن هذه الوفود التي تحدثنا عنها:

١ ـ وفد بني عبس.

٢ ـ وفد بني تميم.

٣ ـ وفد هوازن.

٤ ـ وفد صداء.

٥ ـ وفد بلال بن الحارث في أربعة عشر رجلاً من مزينة.

٦ ـ وفادة عدي بن حاتم.

٧ ـ وفادة كعب بن زهير.

إجتماع الخضر بالنبي صلى الله عليه وآله:

عن عمرو بن عوف: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان في المسجد، فسمع كلاماً من ورائه، فإذا هو بقائل يقول: اللهم أعنّي على ما تنجيني مما خوفتني.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين سمع ذلك: «ألا يضم إليها أختها».

فقال الرجل: اللهم ارزقني شوق الصالحين إلى ما شوقتهم إليه.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لأنس: «اذهب إليه فقل له: يقول لك رسول الله «صلى الله عليه وآله» تستغفر له».

فجاءه أنس فبلغه.

فقال الرجل: يا أنس، أنت رسول رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلي؟

قال: نعم.

قال: اذهب فقل له: إن الله عز وجل فضلك على الأنبياء بمثل ما فضل رمضان على سائر الشهور، وفضل أمتك على سائر الأمم بمثل ما فضل يوم الجمعة على سائر الأيام، فذهب ينظر إليه فإذا هو الخضر «عليه السلام»[1].

وعن أنس، قال: خرجت ليلة مع النبي «صلى الله عليه وآله» أحمل الطهور فسمع [منادياً ينادي، فقال لي: «يا أنس صه» فسكت، فاستمع فإذا هو] يقول: اللهم أعنّي على ما ينجيني مما خوفتني منه.

قال: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لو قال أختها معها».

فكأن الرجل لقن ما أراد النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: وارزقني شوق الصالحين إلى ما شوقتهم إليه».

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «يا أنس، دع عنك الطهور، وائت

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣٦ عن ابن عدي، والبيهقي، وقال في هامشه: ذكره السيوطي في اللآلئ ج١ ص١٦٤ ووضعه والإصابة لابن حجر ج٢ ص٢٥٨.

هذا فقل له: أدعُ لرسول الله أن يعينه على ما ابتعثه الله به، وادع لأمته أن يأخذوا ما أتاهم به نبيهم من الحق».

قال: فأتيته [فقلت: رحمك الله، ادع الله لرسول الله أن يعينه (على ما ابتعثه) به، وادع لأمته أن يأخذوا ما أتاهم به نبيهم من الحق.

فقال لي: ومن أرسلك؟

فكرهت أن أخبره ولم أستأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله». فقلت له: رحمك الله ما يضرك من أرسلني؟ ادع بما قلت لك.

قال: لا، أو تخبرني من أرسلك.

قال: فرجعت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقلت له: يا رسول الله، أبى أن يدعو لك بما قلت له حتى أخبره بمن أرسلني.

فقال: «ارجع إليه فقل له: أنا رسول رسول الله».

فرجعت إليه فقلت له.

فقال لي: «مرحباً برسول [رسول] الله، أنا كنت أحق أن آتيه، اقرأ على رسول الله مني السلام وقل له: الخضر يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن الله تعالى فضلك على النبيين كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور، وفضل أمتك على الأمم كما فضل يو م الجمعة على سائر الأيام».

قال: فلما وليت سمعته يقول: «اللهم اجعلني من هذه الأمة المرشدة المرحومة، المتاب عليها»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣٦ عن الدارقطني في الإفراد، والطبراني في الأوسط، وابن عساكر، وذكره السيوطي في اللآلئ ج١ ص٨٥ وابن الجوزي في الموضوعات ج١ ص١٩٤ والإصابة لابن حجر ج٢ ص٢٥٩.

ونقول:

إن هذه الرواية موضع شك كبير، فلاحظ ما يلي:

ألف: قد ذكرت الرواية الأولى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل أنس بن مالك إلى الخضر ليطلب منه أن يستغفر له.. فنظر إليه أنس، فإذا هو الخضر «عليه السلام»..

ونحن لا نشك في عدم صحة هذه الرواية:

أولاً: إذا كان الخضر «عليه السلام» قد سمع صوت النبي «صلى الله عليه وآله»، وضم لتلك الكلمة أختها، فلماذا لم يكلمه النبي «صلى الله عليه وآله» مباشرة، بل أرسل إليه أنس بن مالك يطلب منه أن يستغفر له..

ودعوى: أنه أراد أن لا يعرِّف الناس أنه «صلى الله عليه وآله» يطلب الإستغفار.. لا تنفع، فإنه «صلى الله عليه وآله» كان يجاهر في مثل هذا الأمر..

ثانياً: من أين عرف أنس بن مالك أن الذي يكلمه هو الخضر «عليه السلام»، فإن أحداً لم يخبره بذلك، فهل كان قد رآه من قبل؟! ومتى؟ وأين؟!

ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» معصوم عن الزلل، لا يحتاج إلى استغفار أحد..

رابعاً: لقد أجابه الخضر «عليه السلام» بأن الله فضل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفضَّل أمته، ليقنعه بأنه لا يحتاج إلى الإستغفار، ولا شك في أن هذا كان معلوماً لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كما كان معلوماً لدى الخضر «عليه السلام»، فلماذا لم يكتف به عن هذا الطلب الذي تعقبه ذلك الرد؟!

خامساً: لماذا بقي الخضر«عليه السلام» بعيداً عن النبي «صلى الله عليه

وآله»، ولم يقترب إليه، ولم يلتق به، بل اكتفى بلقاء أنس؟!.. أليس تذكر الروايات أنه كان يلتقي النبي «صلى الله عليه وآله» في أكثر من مورد ومناسبة؟!

سادساً: قال الصالحي الشامي: «قال الشيخ في النكت البديعات: «أورده البيهقي من طريق عمرو بن عوف المزني، وقال: فيه بشير بن جبلة عن أبيه، عن جده، نسخة موضوعة، وعبد الله بن نافع متروك الخ..»»[1].

٢ ـ أما الرواية الثانية فيرد عليها مع ضعف سندها جميع ما قدمناه آنفاً باستثناء الإيراد الثاني والثالث.

يضاف إلى ما تقدم:

أولاً: ما معنى قوله: إنه «صلى الله عليه وآله» سمع منادياً ينادي: «اللهم أعنّي على ما ينجيني الخ..»؟!

فهل كان الخضر «عليه السلام» يصرخ بدعائه، وينادي به؟!.

وإذا كان ينادي بدعائه، فلماذا سمعه النبي «صلى الله عليه وآله» وحده، ولم يسمعه أنس، حتى اضطر «صلى الله عليه وآله» إلى إسكات أنس ليستكمل سماع ذلك النداء؟!

وهل سمع هذا النداء أحد من المسلمين من أهل المدينة غير أنس، وغير رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!..

وإذا كانوا قد سمعوا ذلك، هل خرجوا لرؤية ذلك المنادي؟ أم أن موقفهم كان هو الإهمال وعدم المبالاة أم غير ذلك؟!..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣٧.

ثانياً: ما معنى قول أنس: فكأن الرجل لقن ما أراد النبي «صلى الله عليه وآله» ؟!

ولماذا لا تكون هذه الكلمات مما يعرف العالمون بها ارتباطها ببعضها، فلا يفصلون بين فقراتها؟!

على أنه ليس في كلام النبي «صلى الله عليه وآله» ما يشير لأنس، ولا لغيره أنه يقصد خصوص الفقرة التي قالها الخضر «عليه السلام»، فلعله قصد بكلمة أختها فقرة أخرى غيرها.

إلا أن يقال: إن هذا هو مقتضى المقابلة مع ما خوّف به في الفقرة الأولى، تقابل ما يخوّف به مع ما يشوّق إليه ويرغّب فيه. على نسق قوله: خوفاً وطمعاً.. فلاحظ.

ثالثاً: ما نسبته الرواية إلى الخضر «عليه السلام» من أنه قال: أنا كنت أحق أن آتيه ليس له مبرر، إذ لماذا ترك الخضر «عليه السلام» العمل بهذا الأولى والأحق.. ولم يعتذر بشيء عن هذا الترك؟!

ولماذا لم يتلافَ هذا التقصير الذي أحس به حتى بعد أن قال هذا القول؟! وقد كان بإمكانه أن يذهب إليه، ويتشرف بلقائه، ويتلافى ما فرط منه.

رابعاً: إن رواية أنس تريد أن تروي لنا نفس ما تضمنته رواية عمرو بن عوف.. مع أن المقارنة بين الروايتين تعطي: أنهما متناقضتان في كثير من فقراتهما..

فإن كان لهذه القضية أصل، فلا شك في أن الأيدي الأثيمة قد نالت منها، وشوّهتها وأفسدتها، حتى بدت عليها معالم التزوير والتحوير، حسبما أوضحناه..

حديث إلياس موضوع:

قال أنس: قال لي إلياس: من أنت؟

قلت: أنا أنس بن مالك خادم رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: فأين هو؟

قلت: هو يسمع كلامك.

قال: «فأته فأقرأه مني السلام، وقل له: أخوك إلياس يقرؤك السلام».

قال: فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخبرته: فجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودنا معه حتى إذا كنا قريباً منه تقدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتأخرت. فتحدثا طويلاً.

وفي لفظ آخر: «حتى جاءه فعانقه، وسلم عليه، ثم قعدا يتحدثان.

فقال إلياس: «يا رسول الله، إني إنما آكل في السنة يوماً، وهذا يوم فطري، فآكل أنا وأنت».

فنزل عليهم من السماء شبه السفرة.

قال ابن أبي الدنيا: فيها كمأة، ورمان، وكرفس.

وقال الحاكم: عليها خبز وحوت وكرفس. فأكلا وأطعماني وصليا، ثم ودعه، وجاءت سحابة فاحتملته. وكنت أنظر إلى بياض ثيابه تهوي به قبل الشام»[1].

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣٥ عن الحاكم، وابن أبي الدنيا وراجع لسان الميزان ج٦ ص٢٩٥ وميزان الإعتدال ج٤ ص٤٤١ و٢٩٥ وفتح القدير للشوكاني ج٤ ص٤١٢ و فتح القدير للشوكاني ج٤ ص٤١٢.

ونقول:

إن هذا الحديث لا يصح، وذلك للأمور التالية:

ضعف سند الحديث:

بالنسبة لسند هذا الحديث نكتفي هنا بما ذكره الصالحي الشامي، فقد قال: الحديث في سنده يزيد بن يزيد الموصلي التيمي [مولى لهم]. قال ابن الجوزي والذهبي: إنه حديث باطل، واتهما به يزيد. قال الذهبي: أما استحى الحاكم من الله تعالى أن يصحح مثل هذا الحديث؟!

وقال في تلخيص المستدرك: هذا موضوع، قبح الله من وضعه، وما كنت أحسب أن الجهل يبلغ بالحاكم أن يصحح مثل هذا، وهو مما افتراه يزيد الموصلي.

قلت: كما أن البيهقي ذكره في الدلائل وقال: هذا الذي روي في هذا الحديث في قدرة الله جائز، وما خص الله به رسوله من المعجزات يثبته، إلا أن إسناد هذا الحديث ضعيف بما ذكرته ونبهت على حاله.

ورواه ابن شاهين، وابن عساكر بسند فيه مجهول عن واثلة بن الأسقع أطول مما هنا، وفيه ألفاظ منكرة. وعلى كل حال لم يصح في هذا الباب شيء.

قال الشيخ في النكت البديعات: أخرجه الحاكم، والبيهقي في الدلائل وقال: إنه ضعيف[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣٥.

وفد الجن:

وذكروا: أن وفد الجن جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سنة إحدى عشرة من النبوة[1]، فعن الزبير بن العوام قال: صلى بنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلاة الصبح في مسجد المدينة، فلما انصرف قال: «أيكم يتبعني إلى وفد الجن الليلة»؟

فخرجت معه حتى خنست عنا جبال المدينة كلها، وأفضينا إلى أرض، فإذا رجال طوال كأنهم الرماح، مستثفرين ثيابهم من بين أرجلهم. فلما رأيتهم غشيتني رعدة شديد ة حتى ما تحملني رجلاي من الفرق.

فلما دنونا منهم خطّ لي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بإبهام رجله خطا، فقال: «اقعد في وسطه»، فلما جلست ذهب عني كل شيء كنت أجده من ريبة، ومضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيني وبينهم، فتلا قرآناً، وبقوا حتى طلع الفجر، ثم أقبل. فقال: «الحقني».

فمشيت معه فمضينا غير بعيد، فقال لي: «التفت وانظر هل ترى حيث كان أولئك من أحد»؟

فخفض رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الأرض (فتناول) عظماً وروثة، ثم رمي بهما وقال: «إنهم سألوا الزاد، فقلت لهم: لكم كل عظم وروثة»[2].

---

(١) الدر المنثور ج٦ ص٤٥ عن أبي نعيم في دلائل النبوة، والواقدي وعمدة القاري ج٦ ص٣٧ وج١٦ ص٣٠٩ والدر المنثور للسيوطي ج٦ ص٤٥ وتفسير الآلوسي ج٢٦ ص٣٢ وج٢٩ ص٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص٤٤٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣٤ عن أبي نعيم، وقال في هامشه: ذكره الهيثمي =

عن علقمة قال: قلت لابن مسعود: هل صحب النبي «صلى الله عليه وآله» من أحد ليلة الجن؟

قلت: ما صحبه منا أحد، ولكن فقدناه ذات ليلة فالتمسناه في الأودية وفي الشعاب، فقلنا: اغتيل؟ استطير؟ ما فعل؟ فبتنا بشر ليلة بات بها قوم.

فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء.

فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم.

فقال: «إنه أتاني داعي الجن، فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن».

قال: فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم.

وسألوه الزاد فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما كان لحماً، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم»

قال: «فلا تستنجوا بهما، فإنهما زاد إخوانكم من الجن».

وقال الشعبي: وكانوا من جن الجزيرة[1].

= في المجمع ج١ ص٢١٥، وقال: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن، والبحار ج٦٠ ص٢٩٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص٦٠ وراجع: السيرة الحلبية ج٢ ص٦٤.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣٤ عن أحمد، والترمذي، ومسلم، والدر المنثور ج٦ ص٤٤ عنهم وعن عبد بن حميد، والبحار ج٦٠ ص٢٩٤ وراجع: صحيح مسلم ج٢ ص٣٦ وسنن الترمذي ج٥ ص٥٩ وسنن الكبرى للبيهقي ج١ ص١٠٩ وضعيف سنن الترمذي للألباني ص٤١٥ وتفسير البغوي ج ٤ ص١٧٤ وأحكام القرآن لابن العربي ج٤ ص٣١٦ وتفسير القرطبي ج١ ص٣١٥ وج١٩ ص٤ و٦ وتفسير إبن كثير ج٤ ص١٧٦ وأضواء البيان للشنقيطي ج٤ ص١٢١.

عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «بت الليلة أقرأ على الجن واقفاً بالحجون»[1].

وقوله: إنه لم يكن مع النبي «صلى الله عليه وآله» أصح مما رواه ابن جرير على الزهري قال: أخبرنا أبو عثمان بن سنة ـ بفتح المهملة وتشديد النون ـ الخزاعي أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لأصحابه وهو بمكة: «من أحب منكم أن يحضر الليلة أثر الجن فليفعل». فلم يحضر معهم أحد غيري.

قال: فانطلقنا فإذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطاً ثم أمرني أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى إذا قام فافتتح القرآن [فجعلت أرى أمثال النسور تهوي وتمشي في رفرفها، وسمعت لغطاً وغمغمة، حتى خفت على النبي «صلى الله عليه وآله»، وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣٤ عن ابن جرير، وقال في هامشه: أخرجه الطبري في التفسير ج٢٦ ص٢١، وأحمد في المسند ج١ ص٤١٦، وذكره ابن كثير في التفسير ج٧ ص٢٧٥ وفي (ط دار المعرفة ـ بيروت) ج٤ ص١٧٧ وراجع: مسند أحمد ج١ ص٤١٦ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٤٧٤ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٢٢٤ و٢٢٥ وموارد الظمآن للهيثمي ج٥ ص٤٤٨ وكنز العمال ج٦ ص١٤٤ وجامع البيان للطبري ج٢٦ ص٤٣ وتفسير ابن كثير ج٤ ص١٧٧ والدر المنثور للسيوطي ج٦ ص٤٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣٥ عن ابن جرير، وقال في هامشه عن: المستدرك للحاكم ج٢ ص٥٠٣ وعن دلائل النبوة (١٢٩). وراجع: البحار ج٦٠ ص٢٩٥=

وقال أبو نعيم: كان إسلام الجن ووفادتهم على النبي «صلى الله عليه وآله» كوفادة الإنس فوجاً بعد فوج، وقبيلة بعد قبيلة، بمكة، وبعد الهجرة.

عن ابن مسعود قال: إن أهل الصفة أخذ كل رجل منهم رجلاً، وتركت، فأخذ بيدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومضى إلى حجرة أم سلمة، ثم انطلق بي حتى أتينا بقيع الغرقد، فخط بعصاه خطاً ثم قال: «اجلس فيها ولا تبرح حتى آتيك».

ثم انطلق يمشي، وأنا أنظر إليه من خلال الشجر، حتى إذا كان من حيث أراه ثارت مثل العجاجة السوداء، فقلت: ألحق برسول الله «صلى الله عليه وآله» فإني أظن هذه هوازن مكروا برسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليقتلوه، فأسعى إلى البيوت فأستغيث بالناس، فذكرت أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمرني ألا أبرح مكاني الذي أنا فيه.

فسمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرعهم بعصاه ويقول: «اجلسوا». فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح، ثم ثاروا وذهبوا.

فأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: «أولئك وفد الجن، سألوني المتاع والزاد، فمتعتهم بكل عظم حائل، وروثة وبعرة، فلا يجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه الذي كان عليه يوم أكل، ولا روثة إلا وجدوا عليها

= وراجع: مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج١ص٤٤ والدرر لابن عبد البر ص٥٩ وجامع البيان للطبري ج٢٦ ص٤٣ وتفسير البغوي ج٤ ص١٧٣ وتفسير القرطبي ج١٦ ص٢١٢ ووتفسير ابن كثير ج٤ ص١٧٧ وتهذيب الكمال ج٣٤ ص٦٨.

حبها الذي كان يوم أكلت»[1].

ونقول:

قيمة هذه النصوص:

إننا لا نستطيع أن نؤيد صحة النصوص المتقدمة، لأسباب كثيرة مثل:

١ ـ إن أسانيدها تحتاج إلى بحث وتدقيق، لا سيما وأنها لم تُرو عن المعصومين «عليهم السلام»، كما أن في أسانيدها من لا مجال للإطمئنان إلى صدقه، أو إلى ضبطه.

٢ ـ إن رواية علقمة عن ابن مسعود صريحة في نفي حضور أحد من الصحابة مع النبي «صلى الله عليه وآله» ليلة الجن في مكة، فهي تنفي صحة رواية ابن مسعود الأخرى التي تقول: إنه حضرها مع النبي «صلى الله عليه وآله» في مكة، بل هي تنفي صحة رواية حضور الزبير أيضاً، حتى لو صرحت روايته بأن ذلك كان في المدينة، وتنفي صحة رواية حضور ابن مسعود لوفدهم في المدينة أيضاً، وذلك لسبب بسيط، وهو أن العناصر التي اشتملت عليها الروايات كلها متشابهة بدرجة كبيرة، كما يظهر بالمراجعة

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٢ ص٤٤٥ وج٦ ص٤٣٣ عن أبي نعيم، وفي هامشه عن: نصب الراية ج١ ص١٤٥ وعن تفسير ابن كثير ج٧ ص٢٨٢ وفي (ط دارالمعرفة ـ بيروت) ج٤ ص١٨٢ وراجع: صحيح البخاري ج٤ ص٢٤١ وفتح الباري ج٧ ص١٣٢ ومسند الشاميين للطبراني ج٤ص١١٥ وجامع البيان للطبري ج٢٦ ص٤٢ وتفسير الثعلبي ج٩ ص٢١ وتفسير البغوي ج٤ ص١٧٤ وتفسير القرطبي ج١٣ ص١٨٣ وج١٦ ص٢١٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٦٤.

والمقارنة، وذلك يدل على أن الرواة يتصرفون في نص واحد تارة ينسبونه لهذا، وأخرى ينسبونه لذاك، وتارة يجعلونه في هذا البلد، وأخرى في ذاك.

فراجع وقارن لتقف على مدى تأثير الأهواء في صياغة النصوص، وفي محاولات تحريفها.

حديث الجن في القرآن:

أما الآيات القرآنية فقد صرحت بما يشير إلى مجيء نفر من الجن إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» لاستماع القرآن، قال تعالى: **﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾**[1]. ولم تصرح الآيات بأنهم قد كلموا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو أظهروا له أنفسهم، وإن كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد علم بهم، بوحي من الله تعالى، قال تعالى: **﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾**[2].

وهذا المقدار لا يبرر اعتبار ذلك وفادة منهم على رسول الله «صلى الله عليه وآله».. إلا إذا استندنا في ذلك إلى الروايات، لكن المروي منها في مصادر غير الشيعة لا مجال للوثوق به أيضاً. لكثرة وجوه الإختلاف فيه[3] مع سقوط أسانيده عن الإعتبار: ولكثرة ما يرد عليه من مآخذ كما يُعلم بالمراجعة.

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الأحقاف.

(٢) الآيتان ١ و٢ من سورة الجن.

(٣) راجع: الدر المنثور ج٦ ص٤٤ و ٤٥ وراجع المصادر التي سلفت.

روايات الجن في كتب الشيعة:

وعن الروايات حول وفادات الجن، الواردة في كتب الشيعة نقول:

ذكر القمي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» خرج من مكة إلى سوق عكاظ يدعو الناس، فلم يجبه أحد، ثم رجع إلى مكة، فلما بلغ وادي مجنة تهجد بالقرآن في جوف الليل، فمر به نفر من الجن فسمعوا قراءته، فولّوا إلى قومهم منذرين، فجاؤوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأسلموا، وآمنوا. وعلمهم شرائع الإسلام (ونزلت سورة الجن بهذه المناسبة).

وكانوا يعودون إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، في كل وقت، فأمر «صلى الله عليه وآله» علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يعلمهم ويفقههم[1].

وذكر نص آخر عن الإمام الكاظم «عليه السلام»: أن تسعة من جن نصيبين واليمن استمعوا القرآن. فأقبل إليه من الجن أحد وسبعون ألفاً، فاعتذروا له وبايعوه[2].

وتجد في كثير من كتب الحديث المروي عن أهل البيت «عليهم السلام» وكذلك في الكتاب الشريف بحار الأنوار[3] للعلامة المجلسي (رفع الله مقامه) ـ تجد ـ أحاديث كثيرة تتعرض لوفادات كثيرة لأفراد ولجماعات من

---

(١) البرهان (تفسير) ج٤ ص ١٧٧ و ١٧٨ والبحار ج١٨ ص٩٠ وج٦٠ ص٨١ وتفسير القمي ج٢ ص٣٠٠ والتفسير الصافي للكاشاني ج٥ ص١٨ وج٦ ص٤٦١ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٤٣٥ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٢٠.

(٢) البحار ج٦٠ ص٩٧ و ٩٨ عن الإحتجاج وراجع: ج ١٠ ص٤٤ وج ١٦ ص٤١٥ وج١٧ ص٢٩٢.

(٣) راجع: البحار ج ٦٠ ص٤٢ ـ ١٣٠.

الجن على رسول الله، وملاقاتهم له «صلى الله عليه وآله».. وهي مروية عن أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم، وهي أكثر سداداً من الروايات الأخرى.. فياحبذا لو أن كتَّاب السيرة استفادوا من تلك الروايات في تدوينهم للسيرة النبوية الشريفة، فإن أهل البيت أدرى بما فيه، وهم المأمونون على هذا الدين وعلى سيرة سيد المرسلين..

النبي ﷺ مبعوث للإنس والجن:

قال المجلسي «رحمه الله»: «لا خلاف في أن الجن والشياطين مكلفون، وأن كفارهم في النارهم معذبون»[1].

وفي تفسير القمي: سئل العالم «عليه السلام» عن مؤمني الجن يدخلون الجنة؟!

فقال: لا، ولكن لله حظائر بين الجنة والنار، يكون فيها مؤمنو الجن، وفساق الشيعة[2].

وقال العلامة المجلسي «رحمه الله»: «ولا خلاف في أن نبينا «صلى الله عليه وآله» مبعوث إليهم، وأما سائر أولي العزم، فلم يتحقق عندي بعثهم عليهم نفياً أو إثباتاً، وإن كان بعض الأخبار يشعر بكونهم مبعوثين

---

(١) البحار ج ٦٠ ص٢٩١.

(٢) البحار ج٨ ص٣٣٥ وج٦٠ ص٨٤ و٢٩١ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٢٠٣ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص١٩ و ٤٣٧ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٢٠ وج٢٠ ص٤٨ والتفسير الصافي ج٥ ص١٨ وج٦ ص٤٦١ وتفسير القمي ج٢ ص٣٠٠ والتفسير الأصفى ج٢ ص١١٧٠.

عليهم»[١].

ابن مسعود من أهل الصفة:

ذكرت الروايات المتقدمة: أن ابن مسعود كان من أهل الصفة، وورد التصريح بذلك في مصادر أخرى[٢].

غير أننا نقول:

إن علينا أن نأخذ بنظر الإعتبار الأمور التالية:

١ ـ إن الرواية تفيد: أن قضية ابن مسعود أنه كان من أهل الصفة حتى بعد زواج النبي «صلى الله عليه وآله» بأم سلمة، ومن المعلوم: أن زواجها به «صلى الله عليه وآله» قد كان في السنة الرابعة من الهجرة[٣] والذين قالوا أن زواجه منها كان في السنة الثانية مخطئون قطعا لأن زوجها أبو سلمة بن عبد أسد قد جرح في معركة أُحد ومات من جراحاته[٤] ثم تزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد انقضاء عدتها منه.

---

(١) البحار ج٦٠ ص٢٩١.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣٣ وتفسير السمعاني ج٢ ص١٠٧ ونصب الراية ج١ ص٢١٥ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج١ ص٦٤.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٦٩ وعمدة القاري ج٣ ص٢١٦ وفتح الباري ج١ ص٣٢٤.

(٤) تهذيب التهذيب ج١٢ ص٤٠٥ وسير أعلام النبلاء ج١ ص١٥٠ والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص١٠٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٢١٧ وغيرها.

٢ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» لما قدم المدينة أقطع الدور، لأصحابه وأقطع ابن مسعود في من أقطع[1].

وقال ياقوت: «لما قدم «صلى الله عليه وآله» مهاجراً إلى المدينة أقطع الناس الدور والرباع، فخط لبني زهرة في ناحية من مؤخر المسجد، وكان لعبد الرحمن بن عوف الحش المعروف به. وجعل لعبد الله وعقبة ابني مسعود الهذليين الخطة المشهورة بهم عند المسجد»[2].

وقد حدد المؤرخون موضع دار ابن مسعود، وأنها مقابل أول باب للمسجد من أبواب الشام مما يلي المشرق.

وجعلوا في موضع دار ابن مسعود الدار المعروفة بدار المضيف. وهي إلى جنب دار أبي الغيث ابن المغيرة، التي جعلوا في موضعها الرباط المعروف برباط الظاهرية والشرشورة[3].

---

(١) المعجم الكبير ج١٠ ص٣٧٤ والمبسوط ج٣ ص٢٧٤ وجواهر الكلام ج٣٨ ص٥٥ والأم للشافعي ج٤ ص٥٠ وعن الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ق١ ص١٠٧ وراجع ص١٠٨ وراجع: معجم البلدان ج٥ ص٨٦ ومسالك الأفهام، كتاب إحياء الموات ووفاء الوفاء ج٢ ص٧١٨ وبيل الأوطار للشوكاني ج٦ ص٥٩ ومكاتيب الرسول للاحمدي ج١ ص٣٥٥ ومجمع الزوائد ج٤ ص١٩٧ والمعجم الأوسط للطبراني ج٥ ص١٦٣ وامعجم الكبير للطبراني ج١٠ ص٢٢٢.

(٢) وفاء الوفاء ج٢ ص٧١٨ ومعجم البلدان ج٥ ص٨٦.

(٣) راجع: وفاء الوفاء ج٢ ص٦٩٥ و ٧٢٨ وكانت تدعى دار القراء وخلاصة الوفا باخبار دار المصطفى ج١ ص١٧٠ و ٢٢٠.

٣ ـ الصفة: مكان في مؤخرة المسجد النبوي مظلل، أعد لنزول الغرباء فيه، ممن لا مأوى لهم ولا أهل، وأهل الصفة هم أناس فقراء لا منازل لهم، فكانوا ينامون في المسجد لا مأوى لهم غيره[1].

وفي بعض النصوص: لا يأوون على أهل ولا مال، ولا على أحد[2].

فهل بقي ابن مسعود بلا بيت، وبلا دار، وبلا مال طيلة هذه السنوات؟!

وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أقطعه داراً في أول الهجرة، فلماذا لم يستفد منها في إيجاد محل يأوي إليه؟! في حين أن بناء البيت لا يحتاج إلى بذل أموال، أو استئجار الرجال، بل كان يمكنه هو أن يجمع بعض الحجارة ويبنيها، ثم يسترها بما يجده من سقف أو سواه، ثم يأوي إليه..

على أن لنا سؤالاً آخر، وهو: أين كانت عائلة ابن مسعود، وأخواته، وأمه و.. و.. طيلة هذه المدة هل كانوا معه في الصفة أيضاً؟!

إن ذلك كله يشير إلى أن عدّه من أصحاب الصفة، وكذلك غيره ممن يشبه حاله حال ابن مسعود يبقى غير مفهوم.

---

(١) وفاء الوفاء ج٢ ص ٤٥٣ و ٤٥٤ وميزان الحكمة للريشهري ج٤ ص٣٢٢٦ وفتح الباري ج١١ ص٢٤٤ وعمدة القاري ج٤ ص١٩٨ ومسند ابن راهويه ج١ ص٢٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٥٥.

(٢) وفاء الوفاء ج٢ ص٤٥٥ و مناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» محمد بن سليمان الكوفي ج١ ص٧٣ وسنن الترمذي ج٤ ص٦١ و٦٢ وفتح الباري ج١١ ص٢٤٣ وتحفة الأحوذي للمباركفوري ج٧ ص١٥٠ ورياض الصالحين للنووي ص٢٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٧ ص٣١٩ و٣٢٠.

حفيد إبليس عند النبي ﷺ:

ورووا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان على جبل من جبال تهامة خارج مكة، إذ أقبل شيخ متوكئ على عصا ـ وفي لفظ: بيده عصا ـ فسلم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فرد عليه السلام، وقال: «نغمة الجن ومشيتهم» ـ وفي رواية: «جني ونغمته ـ من أنت»؟

قال: أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ليس بينك وبين إبليس إلا أبوان»؟!

قال: نعم.

قال: «فكم أتى عليك الدهر»؟

قال: قد أفنت الدنيا عمرها إلا قليلاً. كنت ليالي قتل قابيل هابيل غلاماً ابن أعوام، أفهم الكلام، وأمر على الآكام، وآمر بإفساد الطعام، وقطيعة الأرحام، وأُأَرِّش بين الناس، [وأغري بينهم].

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بئس لعمر الله عمل الشيخ المتوسم، والفتى المتلوم».

قال: دعني من اللوم، فقد جرت توبتي على يدي نوح «عليه السلام»، وكنت معه فيمن آمن به من قومه، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني.

وقال: لا جرم، إني على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

وكنت مع هود «عليه السلام» في مسجده مع من آمن به من قومه، فلم

أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني، فقال: لا جرم، إني على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

(وذكرت رواية القمي وغيره: أنه عاتب صالحاً أيضاً على دعائه على قومه).

وكنت أزور يعقوب، وكنت مع يوسف بالمكان المكين.

وكنت ألقى إلياس في الأودية وأنا ألقاه الآن.

وكنت مع إبراهيم خليل الرحمن لما ألقي في النار، فكنت بينه وبين المنجنيق، حتى أخرجه الله منه.

ولقيت موسى بن عمران فعلمني من التوراة وقال لي: إن أنت لقيت عيسى ابن مريم فأقرأه مني السلام.

وكنت مع عيسى فقال: إن لقيت محمداً فأقرئه مني السلام.

وأنا يا رسول الله قد بلغت وآمنت بك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «وعلى عيسى السلام» ـ وفي لفظ: ـ «وعليك يا هامة، ما حاجتك»؟

فقال: موسى علمني من التوراة، وعيسى علمني من الإنجيل، فعلمني من القرآن.

فعلمه رسول الله «صلى الله عليه وآله» سورة المرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، والمعوذتين، وقل هو الله أحد.

وفي لفظ عمر: إذا وقعت الواقعة.

وفي رواية: علمه عشر سور.

وقال له «صلى الله عليه وآله»: «ارفع إلينا حاجتك يا هامة، ولا تدع

زيارتنا».

وقال عمر بن الخطاب: فقبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولم ينعه إلينا، ولسنا ندري أحي هو أو ميت[1].

ونقول:

لقد ذكر البعض هذا الحديث في جملة الوفود على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولا يخالجنا شك في كونه من الأحاديث الموضوعة، فتابعناه وذكرناه، لكي نؤكد للقارئ الكريم على هذه الحقيقة، مستدلين عليها بما يلي:

أولاً: لقد حكم غير واحد على هذا الحديث بأنه مكذوب أو ضعيف، وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات، فراجع[2].

ثانياً: إن هذه الرواية تتضمن الإساءة لأنبياء الله سبحانه وتعالى، وتنسب إليهم الخطأ والندم عليه.

ثالثاً: إنها تنسب الخطأ أو الجهل، أو الظلم إلى الله تبارك وتعالى.. لأن

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣٨ و ٤٣٩ عن ابن الجوزي في الموضوعات واللآلي المصنوعة، والنكت البديعات، وعن عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، والعقيلي في الضعفاء، وابن مردويه في التفسير، وأبي نعيم في حلية الأولياء والدلائل، والبيهقي في الدلائل، والمستغفري في الصحابة، وإسحاق بن إبراهيم المنجنيقي، والفاكهي في كتاب مكة، والبحار ج٦٠ ص٣٠٣ و ٨٣ ـ ٨٤ وج٣٨ ص٥٤ ـ ٥٧ وج٢٧ ص١٤ ـ ١٧ وج١٨ ص٨٤ عن أسد الغابة وعن تفسير القمي وبصائر الدرجات ص٢٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣٩.

إغراق قوم نوح وإهلاك قوم هود وصالح، إذا كان خطأً، فإما أن يكون الله تعالى كان جاهلاً بهذا الخطأ، فنسبته ذلك إلى الله تبارك وتعالى جريمة عظمى، ومعصية كبرى..

وإما أن يكون تعالى قد علم بالخطأ في حقهم، ثم فعله، فذلك ظلم منه سبحانه لهم.. وهو ينافي ألوهيته، وتؤدي نسبته إلى العزة الإلهية إلى الكفر بالله سبحانه، فإذا كان هود ونوح قد اعتقدا بأن قومهما قد ظُلِمُوا بما جرى عليهم، فذلك يعني أنهما ينسبان إلى الله تبارك وتعالى، إما الظلم أو الجهل.. وهذا يؤدي إلى نسبة الكفر لهذين النبيين الكريمين العظيمين.

رابعاً: إذا كان حفيد إبليس قد عرف خطأ نوح وهود في دعائهما على قومهما، ولم يعرفا هما ذلك، فإنه يكون أحق بالنبوة منهما، وأولى بالتقدم عليهما.

خامساً: إن ظاهر كلام حفيد إبليس هو: أنه قد كرر عتابه لنوح وهود، حتى فاز بما يريد، وأنهما «عليهما السلام» لم يقبلا منه إلا بعد لأي.. فلماذا احتاج حفيد إبليس إلى تكرار العتاب لهما؟ هل لأن حجته لم تكن كافية؟! أم أنهما رفضا الإعتراف بالخطأ على سبيل العناد واللجاج؟! وهل يستحق اللَجوج العنيد مقام النبوة؟!

إن حفيد إبليس قد ادَّعى أنه كان مع هود في مسجده مع من آمن من قومه[1]، مع أن الآيات القرآنية تقول: إن قوم هود قد هلكوا عن بكرة أبيهم

---

(١) البحار ج٢٧ ص١٦ وبصائر الدرجات ص١١٨ ومدينة المعاجز ج١ ص١٢٨ وجامع احاديث الشيعة للبروجردي ج١٤ ص٣٣٠ وكنز العمال ج٦ ص١٦٥=

ولم ينج منهم إلا هود وأهله، باستثناء امرأته فإنها هلكت مع من هلك.

فكيف يدعي حفيد إبليس أنه كان مع هود جماعة مؤمنون من قومه؟!

إضافات على الرواية المتقدمة:

وقد أضافت النصوص المروية في كتب الشيعة: أنه لما طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعلمه شيئاً من القرآن قال «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» علِّمه، فقال هام: يا محمد، إنا لا نطيع إلا نبياً أو وصي نبي، فمن هذا؟

قال: هذا أخي، ووصيي، ووزيري، ووارثي علي بن أبي طالب.

قال: نعم، نجد اسمه في الكتب إليَّا، فعلمه أمير المؤمنين، فلما كانت ليلة الهرير بصفين جاء إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»[1].

ونقول:

أولاً: هناك زيادة طويلة ذكرها في رواية روضة الكافي، وفيها ما يناقض هذا الذي ذكر آنفاً، حيث صرحت: بأن النبي «صلى الله عليه وآله»

= وضعفاء العقيلي ج١ ص٩٩ وطبقات المحدثين بأصبهان لابن حبان ج٣ ص ٢٦٧ والموضوعات لابن الجوزي ج١ ص٢٠٧ وميزان الإعتدال ج١ ص١٨٧ ولسان الميزان ج١ ص٣٥٦ والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص١١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٨٦.

(١) تفسير القمي ج١ ص٣٧٦ وتفسير الصافي للكاشاني ج٣ ص١٠٧ والبحار ج٦٠ ص٨٤ وج٢٧ ص١٤ و ١٦ وج١٨ ص٨٤ عن تفسير القمي وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٨.

سأل حفيد إبليس إن كان يعرف وصيه، فقال: إذا نظر إليه يعرفه بصفته واسمه الذي قرأه في الكتب.

فقال له: انظر، فنظر في الحاضرين، فلم يجده فيهم.

وبعد حديث طويل سأله فيه النبي «صلى الله عليه وآله» عن أوصياء الأنبياء «عليهم السلام»، وأجابه، ووصف له علياً «عليه السلام»، ثم جاء علي «عليه السلام» فعرفه بمجرد أن وقع نظره عليه.

ثم تذكر الرواية: أن الهام بن الهيم بن لاقيس قتل بصفين(١).

ثانياً: إن نفس اعتراض هذا الجني على رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين طلب من علي «عليه السلام» أن يعلمه شيئاً من القرآن يدل على خلل أساسي في إيمانه، لأن الإيمان برسول الله «صلى الله عليه وآله» معناه الطاعة له، والإستسلام لأوامره ونواهيه، ومن يرفض ذلك لا يكون كذلك.

ثالثاً: ما الذي جعل لهذا الجني الحق في أن لا يطيع ما عدا الأنبياء وأوصياءهم، حتى حين يأمرهم الأنبياء والأوصياء بذلك؟ وما الذي يميزه عن غيره من بني جنسه في ذلك؟!

وفود السباع:

١ ـ عن أبي هريرة قال: جاء ذئب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأقعى بين يديه، وجعل يبصبص بذنبه، فقال رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) البحار ج٣٨ ص٥٤ ـ ٥٧ وج٢٧ ص١٥ ـ ١٧ وأشار في هامشه إلى الروضة ص٤١ و ٤٢ وبصائر الدرجات ص٢٧ و الروضة في فضائل أمير المؤمنين لابن جبرئيل القمي ص٢٢٣.

وآله»: «هذا وافد الذئاب، جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئاً».

فقالوا: لا والله يا رسول الله، لا نجعل له من أموالنا شيئاً.

فقام إليه رجل من الناس، ورماه بحجر، فسار وله عواء[1].

٢ ـ وعن حمزة بن أبي أسيد قال: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» في جنازة رجل، فإذا ذئب متفرشاً ذراعيه على الطريق، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هذا معترض فافرضوا له».

قالوا: ما ترى يا رسول الله.

قال: «من كل سائمة شاة في كل عام».

قالوا: كثير، فأشار إلى الذئب أن خالسهم، فانطلق الذئب[2].

٣ ـ عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: بينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» جالس بالمدينة في أصحابه، إذ أقبل ذئب فوقف بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فعوى [بين يديه]، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هذا وافد السباع إليكم، فإن أحببتم أن تفرضوا له شيئاً لا يعدوه إلى غيره، وان أحببتم تركتموه وتحررتم منه، فما أخذ فهو رزقه».

فقالوا: يا رسول الله، ما تطيب أنفسنا له بشيء.

فأومأ إليه النبي «صلى الله عليه وآله» بأصابعه: أن خالسهم، فولى وله

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٤٠ عن سعيد بن منصور، والبزار، وأبي يعلى، والبيهقي، وقال في هامشه: انظر البداية والنهاية ج٦ ص١٦٦.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج٦ ص١٦١ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٤٠ عن أبي نعيم، والبيهقي.

عسلان[١].

٤ ـ عن رجل من مزينة أو جهينة قال: صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الفجر، فإذا هو بقريب من مائة ذئب قد أقعين. [وكانوا] وفود الذئاب.

فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هؤلاء وفود الذئاب، سألتكم أن ترضخوا لهم شيئاً من فضول طعامكم، وتأمنوا على ما سوى ذلك».

فشكوا إليه حاجة.

قال: «فادنوهن». فخرجن ولهم عواء[٢].

٥ ـ عن سليمان بن يسار مرسلاً قال: أشرف النبي «صلى الله عليه وآله» على الحرَّة، فإذا ذئب واقف بين يديه، فقال: «هذا يسأل من كل سائمة شاة». فأبوا، فأومأ إليه بأصابعه، فولى[٣].

طبع الذئاب:

قد يقول قائل: إن افتراس الذئاب للغنم ولغيرها لم يبدأ في زمن النبي «صلى الله عليه وآله»، ويكفي أن نذكر ما تعلل به أخوة يوسف «عليه السلام» لإخفاء مكرهم بأخيهم يوسف حيث ادَّعوا أن الذئب قد أكله، وجاؤوا على

---

(١) البداية والنهاية ج٦ ص١٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٤٠ عن ابن سعد، وأبي نعيم، وقال في هامشه: أخرجه ابن سعد في الطبقات ١ج ق٢ ص٨٦، وأبو نعيم في الدلائل (١٣٣)، وانظر البداية والنهاية ج٥ ص٩٥. والعسلان: هو السرعة وراجع: أسد الغابة ج٢ ص١٧٢ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٥ ص٢٣٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٤٠ عن الدارمي، وابن منيع في مسنده، أبي نعيم.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٤٠ عن الواقدي، وأبي نعيم.

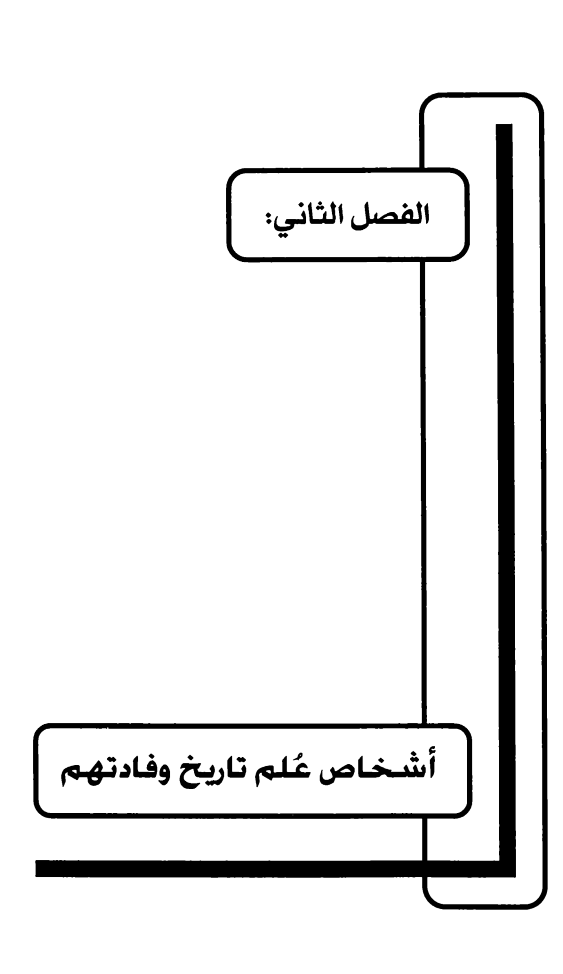
قميصه بدم كذب..

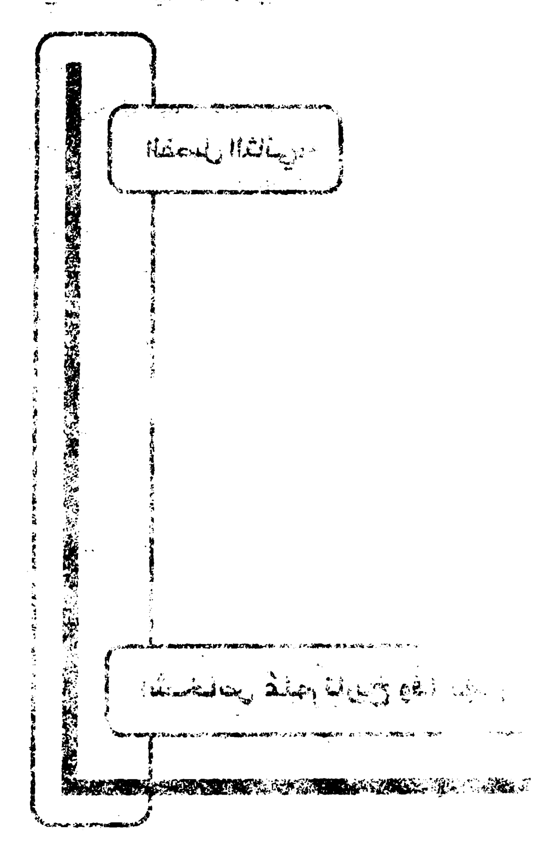
كما أن الذئاب كانت تفترس ما تقدر عليه طيلة سنوات كثيرة بعد بعثة رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل وفادة الذئاب عليه، فما معنى أن تأتي أخيراً هذه الذئاب إليه «صلى الله عليه وآله» لتتقدم بهذا الطلب حتى تخرج بتلك النتيجة التي ذكرتها الروايات السابقة؟!

والجواب: أن كل ذلك صحيح، ولكنه لا يمنع من أن يكون الله سبحانه أراد أن يظهر الكرامة لنبيه «صلى الله عليه وآله» بتكليم السباع له، وظهور معرفته بلغة الحيوانات، وطاعتها له، وتعريف الناس بأن لنبينا «صلى الله عليه وآله» ميزة على كل أنبياء الله «عليهم السلام» الذين سبقوه، تمثلت في عرض تقدمه هذه الذئاب بالتخلي حتى عن طباعها المتأصلة فيها على مدى آلاف السنين، والرضا بما يفرضه الناس لها من نصيب في مواشيهم والتعهد بعدم التعرض لسواه، وذلك إكراماً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتمييزاً له عن جميع البشر..

إختلاف الروايات:

أما هذا الإختلاف الذي يظهر في الروايات المتقدمة.. فيمكن معالجته، بأن من الجائز أن يكون الحدث قد تكرر في المواضع والأزمنة، والحالات المختلفة، وقد حضر في كل مرة أناس غير الذين حضروا في المرات الأخرى، وبذلك نفسر أيضاً الإختلاف في عدد الذئاب التي حضرت، وغير ذلك من أمور وتفاصيل.


الفصل الثاني:
أشخاص عُلم تاريخ وفادتهم


الفصل الثاني

وفادة خفاف بن نضلة:

عن ذابل بن الطفيل بن عمرو الدوسي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قعد في مسجده منصرفه من الأباطح، فقدم عليه خفاف بن نضلة بن عمرو بن بهدلة الثقفي، فأنشد رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

كم قد تحطمت القلوص في الدجى	في مهمه قفر من الفلوات
فل من التوريس ليس بقاعه	نبت من الأسنات والأزمات
إني أتاني في المنام مساعد	من جن وجرة كان لي وموات
يدعو إليك لياليا	ثم احزألَّ، وقال لست بآت
فركبت ناجية أضر بنيها	جمز تجب به على الأكمات
حتى وردت إلى المدينة جاهداً	كيما أراك مفرج الكربات

قال: فاستحسنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: «إن من البيان كالسحر، وإن من الشعر كالحِكَم»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢٩ عن البيهقي في دلائل النبوة، وعن أبي سعيد النيسابوري في شرف المصطفى، ونقله في هامشه عن صحيح مسلم ٤/ ٢٠٥٥ (٧/ ٢٦٧٠) وعن البخاري ١٠/ ٥٣٧ (٦١٤٥) وكنز العمال ج٣ ص٨٦٠.

ونقول:

قد تضمنت هذه الأبيات أمورا: أهمها: أنه يرى أن النبي «صلى الله عليه وآله» مفرج الكربات في الأزمات، وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق، فلا نعيد.

في وفود خشين إليه ﷺ:

عن محجن بن وهب قال: قدم أبو ثعلبة الخشني على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يتجهز إلى خيبر، فأسلم وخرج معه فشهد خيبر، ثم قدم بعد ذلك سبعة نفر من خشين، فنزلوا على أبي ثعلبة، فأسلموا وبايعوا ورجعوا إلى قومهم[1].

الوفد الأول لثقيف:

هناك وفاداتان لأناس من ثقيف، إحداهما: وفادة شخصية، بمعنى: أن الوافدين لم يكونوا مبعوثين من قبل قومهم، ولا يتكلمون باسمهم، بل هم يعلنون البراءة منهم، والعداء لهم، ويقطعون صلتهم بهم.

وهي وفادة رجلين قدما على رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل إسلام ثقيف، بل ربما قبل فتح مكة أيضاً، كما قد يستفاد من تشدد ذينك الرجلين في قطع صلتهما بقومهما، وإظهار براءتهما منهم، فقد قالوا:

كان أبو المليح بن عروة، وقارب بن الأسود قدما على رسول الله «صلى

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٣٤ عن ابن سعد، عن الواقدي، والإصابة ج٤ ص٣٠ والطبقات الكبرى ج١ ص٣٢٩ وج٧ ص٤١٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٦ ص١٠٠.

الله عليه وآله» قبل وفد ثقيف، حين قتل عروة بن مسعود يريدان فراق ثقيف، وألا يجامعاهم على شيء أبداً، فأسلما، فقال لهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «توليا من شئتما».

فقالا: نتولى الله ورسوله[1].

أي أنهما قد وطّنا النفس على قطع أية علاقة مع معسكر الكفر والشرك، حتى لو لزم من ذلك البراءة من الأهل والعشيرة.. ولأجل ذلك أفسح «صلى الله عليه وآله» لهما المجال ليتوليا من شاءا، وتكون بينهما وبينه علاقة الولاء ـ أعني ولاء ضمان الجريرة، ليمكن التوارث بينهما، فاختارا ولاء الله ورسوله..

وإنما يصح ولاء ضمان الجريرة فيما إذا لم يكن للمضمون وارث.

وفود ضمام بن ثعلبة:

روي عن الزهري وثابت، وشريك بن عبد الله كلاهما عن أنس، وابن عباس ما ملخصه ومضمونه:

أن أنس في رواية ثابت قال: «نهينا في القرآن أن نسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن شيء. كان يعجبنا أن نجد الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله ونحن نسمع».

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٩٧ وعيون الأثر ج٢ ص٢٧٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٦٨ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٣٠ والإصابة ج٥ ص٣٠٦ وأسد الغابة ج٤ ص١٨٧ وج٥ ص٣٠٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٥٠٤ والدرر لابن عبد البر ص٢٤٩.

وفي حديث أبي هريرة: «بينا النبي «صلى الله عليه وآله» مع أصحابه متكئاً، أو قال جالسا في المسجد، إذ جاء رجل على جمل، فأناخه في المسجد، ثم عقله».

وفي حديث ابن عباس قال: «بعث بنو سعد بن بكر، ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد، ثم دخل المسجد ورسول الله «صلى الله عليه وآله» جالس في أصحابه، وكان ضمام رجلاً جلداً، أشعر ذا غديرتين، فأقبل حتى انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..».

قال أنس في رواية شريك: «فقال: أيكم محمد»؟ أو «أيكم ابن عبد المطلب؟ والنبي «صلى الله عليه وآله» متكئ بين ظهرانيهم.

فقلنا له: هذا الأبيض المتكئ».

أو قالوا: هذا الأمغر المرتفق.

قال: فدنا منه، وقال: إني سائلك فمشدد عليك، أو فمغلظ عليك في المسألة، فلا تجد عليّ في نفسك.

قال: «لا أجد في نفسي، فسل عما بدا لك».

قال أنس في رواية ثابت: فقال: يا محمد، أتانا رسولك فقال لنا: إنك تزعم أن الله تعالى أرسلك؟

قال: «صدق».

قال: فمن خلق السماء؟

قال: «الله».

قال: فمن خلق الأرض؟

قال: «الله».

قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟

قال: «الله».

فقال: «فأنشدك الله إلهك وإله من قبلك، وإله من هو كائن بعدك».

أو قال: «فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال»، «آلله أمرك أن نعبده وحده، ولا نشرك به شيئاً، وأن ندع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون؟

قال: «اللهم نعم».

قال: «وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا».

قال: «صدق».

قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن تصلي هذه الصلوات الخمس؟

قال: «اللهم نعم».

قال: «وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا».

قال: «صدق».

قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا؟

فقال: «اللهم نعم».

قال: «وزعم رسولك أن علينا صوم شهر في سنتنا».

قال: «صدق».

قال: «وأنشدك الله، آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم نعم».

قال: «وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً».

قال: «نعم».

وفي حديث ابن عباس: «ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة، فريضة الزكاة والصيام، والحج، وشرائع الإسلام كلها، ينشده عن كل فريضة منها كما ينشده عن التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض، وأجتنب ما تنهيني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص».

وفي رواية شريك: «آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر».

وفي حديث أبي هريرة: «وأما هذه الهناة، فوالله إن كنا لنتنزه عنها في الجاهلية».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن صدق ليدخلن الجنة».

وفي حديث أبي هريرة: «فلما أن ولى قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «فقه الرجل».

وقال: «فكان عمر بن الخطاب يقول: «ما رأيت أحداً أحسن مسألة، ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة».

فأتى بعيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به: بئست اللات والعزى.

فقالوا: مه يا ضمام! اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون.

قال: «ويلكم»! إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً

وأنزل عليه كتاباً، فاستنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد ألا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه».

قال: «فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل أو امرأة إلا مسلماً».

زاد ابن سعد: «وبنوا المساجد، وأذنوا بالصلوات».

قال ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة[1].

متى وَفَدَ ضمام:

قال أبو الربيع: اختلف في الوقت الذي وفد فيه ضمام هذا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقيل: سنة خمس، ذكره الواقدي وغيره، وقيل: سنة تسع، (قال الزرقاني: في سنة تسع على الصواب، وبه جزم ابن إسحاق، وأبو عبيدة وغيرهما، خلافاً لما زعم الواقدي أنه سنة خمس كما أفاده

---

(١) راجع ما تقدم كلاً أو بعضاً في المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ عن البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، وأبي داود، والنسائي، وابن ماجة، وأبي القاسم البغوي، وابن سعد، وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٩٢ ـ ٢٠٢ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٢ ص٢١٥ ـ ٢١٧ والإصابة ج٢ ص٢١٠ و ٢١١ ومسند أحمد ج١ ص٢٦٥ وسنن الدارمي ج١ ص١٦٧ والمستدرك للنيسابوري ج٣ ص٥٥ وعمدة القاري ج٢ ص٢٢ والإستيعاب ج٢ ص٧٥٣ وتاريخ المدينة للنميري ج٢ ص٥٢٣ وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٨٤ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٩٠ والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص٧٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٩٧ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٥٥.

الحافظ)[1]. وبه جزم ابن حبيب أيضاً.

ونقول:

أولاً: قال في البداية: وفي سياق حديث ابن عباس ما يدل على أن ضماماً رجع إلى قومه قبل الفتح، لأن العُزَّى هدمها خالد بن الوليد أيام الفتح.

وقد يناقش في ذلك: بأن ذكر العُزَّى بالسوء، حتى بعد هدمها على يد خالد كان كافياً لإحداث الخوف لدى أصحاب النفوس الضعيفة. من الإصابة بالجنون، والجذام، و.. و.. الخ.. فلا يدل ذكرها على أن هذه الحادثة قد حصلت بعد هدمها، ونرد على هذه المسألة: بأن هذا الإحتمال بعيد، لأن العزى لم تستطع أن تدفع الهدم عن نفسها، ولا استطاعت أن توصل لمن تولى هدمها أي سوء. فهل يمكن أن نتوقع منها أن يبتلى من يشتمها بجنون، أو بجذام، أو بغير ذلك؟!

ثانياً: إن ضماماً قد وفد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» سنة تسع، لأن ابن عباس يقول في روايته لما جرى: «فقدم علينا»[2]. فيدل لك على أنه كان حاضراً في هذه المناسبة.

ومن الواضح: أن ابن عباس إنما قدم المدينة بعد فتح مكة.

النهي عن السؤال:

زعم أنس: أن القرآن قد نهاهم عن أن يسألوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن شيء، فكانوا يعجبهم مجيء الرجل من البادية، فيسأله، ويسمعون..

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٩٣ و ١٩٧.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٩٧ عن أحمد والحاكم.

ونقول:

إن ذلك غير مقبول، بل غير معقول..

أولاً: إنهم قد زعموا أن القرآن قد نهاهم عن سؤال النبي «صلى الله عليه وآله»، والذي نهاهم القرآن عنه هو السؤال عن بعض الأشياء التي لو أبديت لهم لساءتهم، فكان يجب أن يصبروا حتى ينزل القرآن ببيانها، لكان خيراً لهم.

ثانياً: لو فرضنا أنهم يزعمون: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد فسر لهم النهي عن توجيه أي سؤال له «صلى الله عليه وآله» فنقول: إن هذا غير معقول، لأن الله تعالى قد أمرهم بسؤال أهل الذكر، فقال: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[1]، فلا معنى لأن ينهاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» عما أمرهم الله تعالى به! وإن كان النهي عن ذلك قد صدر عن غير النبي «صلى الله عليه وآله»، أي أن بعض الصحابة نهاهم عن ذلك، أو فسر لهم النهي القرآني بما يفيد العموم، فالسؤال هو: لماذا أطاعوا ذلك الناهي لهم في أمر يخالف به القرآن؟ بل لماذا لم يشتكوه إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، ليرشده إلى الحق ويحمله عليه؟! أو على الأقل لماذا لم يسألوا النبي «صلى الله عليه وآله» عن صحة ما قيل لهم؟!

ولو فرضنا أنه قيل لهم ذلك، فلماذا لا يأخذون بما روي عنه «صلى الله عليه وآله» من أنه قال: سائلوا، وخالطوا الحكماء، وجالسوا الفقراء[2].

---

(١) الآية ٤٣ من سورة النحل والآية ٧ من سورة الأنبياء.

(٢) البحار ج١ ص١٩٨ عن نوادر الراوندي.

وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: «إنما يهلك الناس لأنهم لا يسألون»[1].

وعنه «عليه السلام»: «إن هذا العلم عليه قفل مفتاحه السؤال»[2].

وكان الإمام السجاد «عليه السلام» إذا جاءه طالب علم قال: مرحباً بوصية رسول الله «صلى الله عليه وآله»[3].

ثانياً: إن في تعليم العلم، وإجابة السائلين مثوبات لا يرغب عنها الإنسان المؤمن؛ فكيف برسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقد روي عنه «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «العلم خزائن، ومفتاحه السؤال، فاسألوا يرحمكم الله، فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل، والمعلم، والمستمع، والمجيب لهم».

وعن الإمام الصادق عن أبيه «عليهما السلام» نحوه[4].

وهناك الأحاديث المثبتة لعقوبة من كتم علماً نافعاً، فعنه «صلى الله عليه

---

(١) البحار ج١ ص١٩٨ عن منية المريد والحدائق الناضرة ج١ ص٧٨ والكافي ج١ ص٤٠ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٩٥.

(٢) البحار ج١ ص١٩٨ عن منية المريد والكافي ج١ ص٤٠ ومنية المريد للشهيد الثاني ص١٧٥ و٢٥٩ والبحار ج١ ص١٩٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص١٠٢.

(٣) سفينة البحار ج٦ ص٣٤٨ والبحار ج١ ص١٦٨ وج٤٦ ص٦٢ و٦٣ والمجموع للنووي ج١ ص٢٧ وروضة الطالبين للنووي ج١ ص٧٤ والخصال للصدوق ص٥١٨ والأمالي للطوسي ص٤٧٨.

(٤) البحار ج١ ص١٩٦ و ١٩٧ عن صحيفة الرضا «عليه السلام»، وعن الخصال.

وآله» قال: من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار(١).

ثالثاً: لماذا يُنهى أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» عن سؤاله، ويباح للأعراب وأهل البادية أن يسألوه؟ ألا يشير ذلك إلى أن الذين نُهُوا عن سؤاله «صلى الله عليه وآله» هم أشخاص بأعيانهم؟!

بل لماذا لا يقال ـ كما أثبتته النصوص ـ: إنه «صلى الله عليه وآله» كان ينهى بعض الناس أو كلهم عن السؤال تعنتاً؟! أو لأجل أنهم كانوا يسألونه «صلى الله عليه وآله» عن أمور لا يصح السؤال عنها مطلقاً، أو إلا حين

---

(١) سفينة البحار ج٦ ص٣٥٨ والتحفة السنية للجزائري ص١١ وأمالي الطوسي ص٣٧٧ ومنية المريد للشهيد الثاني ص٣٦٩ والبحار ج٢ ص٦٨ وج٧ ص٢١٧ والغدير ج٨ ص١٥٣ ومسند أحمد ج٢ ص٢٩٦ و٤٩٩ و٥٠٨ ومجمع الزوائد ج١ ص١٦٣ والمعجم الأوسط للطبراني ج٢ ص٣٨٢ وج٥ ص١٠٨ و٣٥٦ والمعجم الكبير للطبراني ج١١ ص١١٧ والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٥٤ و جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج١ ص٤ و٥ و٣٨ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج١ ص٢٥٤ وكنز العمال ج١٠ ص١٩٦ و٢١٦ وتفسير الصافي ج١ ص١٦٣ وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٥١٨ وتفسير الميزان ج٣ ص٧٥ وتفسير القرآن للصنعاني ج١ ص٦٤ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص١٢٢ وتفسير الرازي ج١ ص١٨٤ والدر المنثور للسيوطي ج١ ص١٦٢ وتفسير الآلوسي ج٢ ص٢٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣٣١ وضعفاء العقيلي ج١ ص٧٤ وج٤ ص١٦٠ والكامل ج٣ ص٤٥٥ وج٤ ص٣١٢ وج٥ ص٢١٢ وج٦ ص٣٤١ وكتاب الضعفاء للأصبهاني ص٥٠ وتاريخ بغداد ج٧ ص٤١٨ وج١٤ ص٣٢٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٣ ص٥٤١ وميزان الإعتدال للذهبي ج٢ ص٥٨٢ وغيرها.

يحين وقتها. إذ لو أجيبوا عنها قبل ذلك كان فيه مضرة عليهم، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللهُ عَنْهَا وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ﴾[1].

وقد قال الخضر لموسى «عليهما السلام»: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾[2]. وفي هذا دلالة على أن هناك أسئلة لا يرى المسؤول مصلحة في الإجابة عليها في وقت أو في مرحلة معينة..

وربما كانوا يسألون عن علم يضرهم علمه، أو يسألون عن علم لا يضرهم جهله، ولا ينفعهم علمه، فقد روي عن النبي «صلى الله عليه وآله» قوله في من وُصِفَ له بأنه علّامة، لعلمه بأنساب العرب، ووقايعها وأيام الجاهلية، وبالأشعار والعربية: «ذاك علم لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه»[3].

وعن الإمام الكاظم «عليه السلام»، أنه قال: «فلا تشغلن نفسك بعلم

---

(١) الآيتان ١٠١ و ١٠٢ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٧٠ من سورة الكهف.

(٣) سفينة البحار ج٦ ص٢٤٤ عن أمالي الصدوق وتحرير الأحكام للحلي ج١ ص٤٠ وعوائد الأيام للنراقي ص٥٥١ والكافي ج١ ص٣٢ والأمالي للصدوق ص٣٤٠ ومعاني الأخبار للصدوق ص١٤١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٧ ص٣٢٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج١٢ ص٢٤٥ ومستطرفات السرائر لابن إدريس الحلي ص٦٢٧ ومشكاة الأنوار للطبرسي ص٢٤٢ وعوالي اللئالي ج٤ ص٧٩ والبحار ج١ ص٢١١ ومعارج الأصول للمحقق الحلي ص٢٣.

ما لا يضرك جهله»[1].

أيكم محمد؟!:

وقد تقدم: أن ذلك الوافد قال: أيكم محمد؟! فدلوه عليه..

وهذا يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يمتاز في مجلسه عن غيره من جلسائه.

وإن نور النبوة، وجلال الإيمان، وإن كان يحتم على كل قادم أن ينشدَّ إليه، وينبهر بإشراقة وجهه، ويؤخذ بهيبته، ويأسره وقاره.

ولكن ذلك لا يعفيه من السؤال عنه، على قاعدة: ﴿..**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**..﴾[2]. لا سيما وأن هؤلاء الوافدين لم يعتادوا على مساواة الرؤساء أنفسهم بعامة الناس..

ولعل علياً «عليه السلام» كان حاضراً، وهو أخو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأثار ذلك لدى ذلك الوافد بعض الإلتباس، فاحتاج إلى تحصيل السكينة عن طريق السؤال..

الرسول ﷺ يتكئ بين أصحابه:

وزعموا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان متكئاً بين أصحابه..

---

(١) سفينة البحار ج٦ ص٢٤٤ عن إعلام الدين وعمدة الداعي للحلي ص٦٨ ومستدرك سفينة البحار للشاهرودي ج٧ ص ٣٤٩ وأعلام الدين في صفات المؤمنين للديلمي ص٣٠٥.

(٢) الآية ٢٦٠ من سورة البقرة.

ونحن نشك في صحة ذلك، فقد روي: أنه «صلى الله عليه وآله» ما اتكأ بين يدي رجل قط[1].

مناشدات ضمام، ثم إسلامه:

وقد قرأنا في النص السابق مناشدات ضمام لرسول الله «صلى الله عليه وآله» واستحلافه له على صدق ما يقول، وأنه أسلم بعد أن أخبره «صلى الله عليه وآله» بصحة ذلك كله..

ونحن وإن كنا نرى أن ثمة قدراً من العفوية لدى أهل البادية، الذين لا يجدون الكثير من الحوافز لديهم للإستفادة من أساليب المكر، أو اتخاذ مواقف التزلف، والمحاباة والرياء، غير أن مما لا شك فيه أن ضمام بن ثعلبة لم يكن ذلك الرجل المغفل والساذج، ولا مجال للإستهانة بالطريقة التي أسلم بها. بل هي أسلوب له دلالات ذات قيمة كبيرة، وأهمية بالغة، حيث إنها عبرت عن صفاء الفطرة، وعن حسن الإدراك، إذ لا شك في أن هذا الرجل لم يجد في هذه التعاليم أي شيء يصادم فطرته، ويرفضه عقله، أو يأباه ضميره ووجدانه، بل هو لم يجد فيها أي غموض أو إبهام يستحق حتى الإستفهام عن معناه أو مغزاه، أو عن مبرراته.

---

(١) راجع: عيون اخبار الرضا ج١ ص١٩٧ والبحار ج٤٩ ص٩١ وموسوعة أحاديث أهل البيت ج٥ ص٢٠٦ وإعلام الورى ج٢ ص٦٣ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٢ ص٢٠٩ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٤٣٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١٥ ص٥٥٦ ومسند الإمام الرضا ج١ ص٤٥ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص١٨٧.

بل غاية ما احتاج إليه هو مجرد تحصيل السكون والطمأنينة إلى مصدر هذه التعاليم، وأنها تنتهي إلى الوحي الإلهي..

وأما عن اكتفاء ضمام بشهادة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، على النحو الذي تقدم، فإننا نقول:

إن هناك عوامل عدة تفرض على ضمام أن ينصاع لما يقرره النبي «صلى الله عليه وآله»، فهو يعرف موقع بني هاشم في الأمة، ومكانتهم في قريش، والعرب، ومكة، ويعرف أيضاً ما كان من عبد المطلب في عام الفيل. بالإضافة إلى معرفته بسيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»منذ طفولته حتى كهولته، ولا شك في أن أحداً لم يكن يجهل معجزات رسول الله «صلى الله عليه وآله» طيلة أكثر من عشرين سنة، والقرآن الكريم معجزة حاضرة لهم في كل زمان ومكان.. بل إن معجزات علي «عليه السلام» ومنها اقتلاعه باب خيبر، وهي الأخرى معجزات للنبي «صلى الله عليه وآله»، ومن دلائل صحة النبوة. ولم يكن ذلك كله ليخفى على أحد في المنطقة العربية بأسرها..

وهذا كله يعطي أن مطلوب ضمام هو الحصول على السكينة والطمأنينة، باتصال النبي «صلى الله عليه وآله» بالله عن طريق جبرئيل من نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بعد أن حصل على القناعات العقلية الكافية، من خلال جميع ما أشرنا إليه وسواه.

اتق الجذام، اتق البرص:

وواضح: أن ما كان يخشاه هؤلاء من اللّات والعُزّى هي أمور حتى لو حصلت فعلاً، فإنه لا يمكن إقامة الدليل على أن لتلك الأصنام صلة بها.

بل إن هذه الوفادة إن كانت قد حصلت بعد فتح مكة، فإن هدم علي «عليه السلام» الأصنام التي كانت في الكعبة، وغيرها مما هدمه «عليه السلام» منها بعد ذلك وعدم حصول أي شيء له طيلة هذه المدة يكفي لإثبات عدم صحة الزعم بقدرة الأصنام على شيء من ذلك.

والمفارقة هي: أن هؤلاء يستندون إلى وهم هنا، وخيال هناك. ولكنهم يرفضون الإنصياع لما تقضي به فطرتهم، وتحكم به عقولهم، ألا وهو التوحيد، وسائر الإعتقادات الحقة، والتعاليم الصحيحة، رغم تأييدها بالمعجزات والكرامات، وكل شواهد الصدق ودلائله.

قدوم ذباب بن الحارث:

عن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي قال: لما سمعوا بخروج النبي «صلى الله عليه وآله» وثب ذباب ـ رجل من بني أنس الله بن سعد العشيرة ـ إلى صنم كان لسعد العشيرة يقال له: فرَّاض، فحطمه، ثم وفد إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وقال:

تبعت رسول الله إذ جاء بالهدى ... وخلفت فرَّاضاً بدار هوان

شددت عليه شدة فتركته ... كأن لم يكن والدهر ذو حدثان

ولما رأيت الله أظهر دينه ... أجبت رسول الله حين دعاني

فأصبحت للإسلام ما عشت ناصراً ... وألقيت فيه كلكلي وجراني

فمن مبلغ سعد العشيرة أنني ... شريت الذي يبقى بآخر فاني[1]

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٢ ص٢١١ وج٦ ص٣٣٨ عن ابن سعد، والإصابة (ط =

وعن عبد الله بن شريك النخعي، قال: كان عبد الله بن ذباب الأَنَسِي مع علي بن أبي طالب «عليه السلام» بصفين، فكان له غَنَاء[1].

وفد واثلة بن الأسقع:

وقالوا: إنه قبل المسير إلى تبوك وفد واثلة بن الأسقع الليثي على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقدم المدينة ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يتجهز إلى تبوك، فصلى معه الصبح، فقال له: «ما أنت؟ وما جاء بك؟ وما حاجتك»؟

فأخبره عن نسبه، وقال: أتيتك لأؤمن بالله ورسوله.

قال: «فبايع على ما أحببت وكرهت».

فبايعه ورجع إلى أهله، فأخبرهم، فقال له أبوه: «والله لا أكلمك كلمة أبداً، وسمعت أخته كلامه، فأسلمت وجهزته.

فخرج راجعاً إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فوجده قد صار إلى تبوك، فقال: من يحملني عقبه وله سهمي؟

= دار الكتب العلمية) ج٢ ص٣٣٦ وج٧ ص١٠٥، وج١ ص٤٨١ عن ابن شاهين، وفي وابن مندة في دلائل النبوة، والمعافي في الجليس، والبيهقي في الدلائل، وابن سعد، وكنزالفوائد للكراجكي ص٩٢، والبحار ج١٨ ص١٠٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٤٢، وأسد الغابة ج٢ ص١٣٦، وأعيان الشيعة ج٨ ص٥٢.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٣٨ عن ابن سعد، والإصابة ج١ ص٤٨١، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٤٢، وأعيان الشيعة ج٨ ص٥٢.

فحمله كعب بن عجرة حتى لحق برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وشهد معه تبوك، وبعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع خالد بن الوليد إلى أكيدر، فغنم، فجاء بسهمه إلى كعب بن عجرة، فأبى أن يقبله، وسوغه إياه وقال: إنما حملتك لله[1].

وفي نص آخر: عن ابن جرير عن واثلة بن الأسقع قال: خرجت من أهلي أريد الإسلام، فقدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في الصلاة، فوقفت في آخر الصفوف وصليت بصلاتهم. فلما فرغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الصلاة انتهى إليّ وأنا في آخر الصلاة. فقال: «ما حاجتك»؟

قلت: الإسلام.

قال: «هو خير لك».

ثم قال: «وتهاجر»؟

قلت: نعم.

قال: «هجرة البادي أو هجرة الباني»؟

قلت: أيهما خير؟

قال: «هجرة الباني أن يثبت مع النبي، وهجرة البادي أن يرجع إلى باديته».

وقال: «عليك بالطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك».

قلت: نعم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٣٧٣ وج٦ ص٤٠٢ عن الطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج١ ص٣٠٥، وتاريخ مدينة دمشق ج٦٢ ص٣٥٣، والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص١٠٦، وأعيان الشيعة ج١ ص٢٤١، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٧٦.

فقدم يده وقدمت يدي.

فلما رآني لا أستثني لنفسي شيئاً، قال: «فيما استطعت».

فقلت: فيما استطعت، فضرب على يدي[1].

وعن واثلة بن الأسقع قال: لما أسلمت أتيت النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال لي: إذهب، فاحلق عنك شعر الكفر، واغتسل بماء وسدر[2].

ونقول:

١ ـ إننا نرتاب فيما ذكرته الرواية الأولى: من أن واثلة قد أسلم حين كان «صلى الله عليه وآله» يتجهز إلى تبوك، فقد ذكروا: أنه كان من أصحاب الصفة، وأنه خدم النبي «صلى الله عليه وآله» ثلاث سنين[3]، وغزوة تبوك إنما كانت في سنة تسع.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣٣ وفي هامشه عن: مجمع الزوائد ج٥ ص٢٥٥ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات، وكنز العمال ج١٦ ص٦٧٦، وتاريخ المدينة للنميري ج٢ ص٤٨٦.

(٢) قاموس الرجال ج٩ ص٢٤٠ عن تاريخ بغداد (ترجمة منصور بن عمار) وفي (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ج١٠ ص٤٢١، وكنز العمال ج١ ص٩٤،تاريخ بغداد ج١٣ ص٧٣، وتاريخ مدينة دمشق ج٦٢ ص٣٥٥، و٣٥٦، وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص٣٨.

(٣) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٦٤٣ وراجع: قاموس الرجال ج٩ ص٢٣٩، والإستيعاب ج٤ ص١٥٦٣، وشرح مسند أبي حنيفة للقاري ص٥٩٠، أسد الغابة ج٥ ص٧٧، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٦ ص٢١٦، والوافي بالوفيات ج٢٧ ص٢٤٣، وتاريخ مدينة دمشق ج٦٢ ص٣٤٧ و٣٤٩، والجرح والتعديل للرازي ج٩ ص٤٧.

٢ ـ إن أمر النبي «صلى الله عليه وآله» واثلة أن يحلق عنه شعر الكفر، يشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يجعلهم يتحسسون قبح ما كانوا عليه، وسوء آثاره حتى على أجسادهم، علماً بأن الآثار على الأرواح والأجساد لا تنحصر بما يتعاطى الإنسان معه من أمور مادية، بل يتجاوز ذلك ليصبح لنفس التصورات، وللإعتقادات التأثير الكبير والعميق على الروح، والنفس، وعلى البدن أيضاً، ولذلك طلب منه أن يحلق عنه شعراً نبت ونما في زمن كفره، لأنه يحمل معه قذارات معنوية، يريد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن ينزهه عنها.

قدوم أسيد بن أبي أناس:

قال ابن عباس: أهدر رسول الله «صلى الله عليه وآله» دم أسيد بن أبي أناس (أو إياس) لما بلغه أنه هجاه، فأتى أسيد الطائف فأقام بها. فلما فتح رسول الله «صلى الله عليه وآله» مكة خرج سارية بن زنيم إلى الطائف، فقال له أسيد: ما وراءك؟

قال: «قد أظهر الله تعالى نبيه ونصره على عدوه، فاخرج يا ابن أخي إليه، فإنه لا يقتل من أتاه».

فحمل أسيد امرأته، وخرج وهي حامل تنتظر، وأقبل فألقت غلاماً عند قرن الثعالب، وأتى أسيد أهله، فلبس قميصاً واعتم، ثم أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسارية بن زنيم قائم بالسيف عند رأسه يحرسه، فأقبل أسيد حتى جلس بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: يا محمد، أهدرت دم أسيد؟

قال: «نعم».

قال: تقبل منه أن جاءك مؤمناً؟

قال: «نعم».

فوضع يد ه في يد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «هذه يدي في يدك، أشهد أنك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأشهد ألا إله إلا الله».

فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجلاً يصرخ: أن أسيد بن أبي أناس، قد آمن، وقد أمَّنه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ومسح رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجهه، وألقى يده على صدره.

فيقال: إن أسيداً كان يدخل البيت المظلم فيضيء.

وقال أسيد:

أأنت الفتى تهدي معداً لربها	**بل الله يهديها وقال لك أشهد**
فما حملت من ناقة فوق كورها	**أبَّر وأوفى ذمة من محمد**
وأكسى لبرد الحال قبل ابتذاله	**وأعطى لرأس السابق المتجرد**
تعلم رسول الله أنك قادر	**على كل حي متهمين ومنجد**
تعلم بأن الركب ركب عويمر	**هم الكاذبون المخلفو كل موعد**
أنَّبوا رسول الله أن قد هجوته	**فلا رفعت سوطي إلي إذا يدي**
سوى أنني قد قلت يا ويح فتنة	**أصيبوا بنحس لا يطاق وأسعد**
أصابهم من لم يكن لدمائهم	**كفيئاً فعزَّت حسرتي وتنكدي**
ذؤيب وكلثوم وسلم وساعد	**جميعاً فإن لا تدمع العين تكمد**

فلما أنشده: «أأنت الذي تهدي معداً لدينها»، قال رسول الله «صلى الله

عليه وآله»: «بل الله يهديها».

فقال الشاعر: «بل الله يهديها وقال لك اشهد»[١].

ونقول:

سارية قائم بالسيف على رأس النبي ﷺ:

ولسنا بحاجة إلى تفنيد ما زعمته الرواية من أن سارية بن زنيم كان قائماً على رأس النبي «صلى الله عليه وآله» بالسيف يحرسه.. فقد ذكرنا بعض ما يفيد في إظهار زيف هذه الإدعاءات في موضع سابق من هذا الكتاب، فراجع..

لمن الشعر؟!:

تقدم: أن الأشعار المذكورة هي لأسيد بن أبي أناس (إياس).

ولكنهم ذكروا في مورد آخر: أنها لأنس بن زنيم[٢].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧١ و ٣٦٥ و ٣٦٦ عن ابن شاهين، عن المدائني، وابن عساكر، والإصابة ج١ ص٤٧ عن المدائني وابن شاهين، وتاريخ مدينة دمشق ج٢٠ ص٢٢، وإسد الغابة ج١ ص٨٩ و٩٠، والوافي بالوفيات ج٩ ص٢٣٨، والإصابة ج٢ ص٣٣٦.

(٢) راجع: الإصابة ج١ ص٦٩ و٣٩٠، وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٦٣، وج٦ ص٢٧١ عن الواقدي، والطبراني، وتصحيفات المحدثين للعسكري ج٣ ص٩٢٩ و٩٣١، وشرح النهج للمعتزلي ج١٧ ص٢٨٢، والوافي بالوفيات ج٩ ص٢٣٧، والبداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٣٥٦، والسيرة النبوية للحميري ج٤ ص٨٧٩، والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٨٩.

وحاول العسقلاني أن يقول: إنه يحتمل وقوع ذلك لهما[١].

غير أننا نقول:

إن ذلك وإن كان ليس مستحيلاً عقلاً لكنه مما لا يتفق عادة، ولا سيما إذا كانت قصيدة مطولة، فإن احتمال أن تكون قد قيلت من قِبَلِ رَجُلين، من دون تغيير يذكر، سفه من القول، ولا مجال لتصور وقوعه، ولا يُقْبَل من أحد الحديث عنه، فضلاً عن الإستناد إليه..

هجاء بني عبد عدي:

تقدم قول أسيد بن أبي أناس (أو إياس):

تعلم بأن الـركـب ركـب عويمر ... هم الكـاذبـون المخلفو كـل موعد

ولم تذكر أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» زجره عن قوله هذا، فكيف سكت «صلى الله عليه وآله» عن هذه الجرأة على قوم مسلمين؟!

قالوا:

أصدق بيت قالته العرب:

قال دعبل بن علي في طبقات الشعراء قوله:

فـما حمـلت من ناقـة فـوق كورها ... أعـف وأوفـى ذمـة مــن محـمـد

هذا أصدق بيت قالته العرب[٢].

---

(١) راجع: الإصابة ج١ ص٤٧ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧١ و ٢٧٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧١ و ٢٧٢، والإصابة ج١ ص٢٧٢، وخزانة الأدب للبغدادي ج٦ ص٤٢٩.

النبي ﷺ لا يقتل من أتاه:

إن نفس أن يظهر للناس أنه «صلى الله عليه وآله» لا يقتل من أتاه، قد أسهم في إقبال الناس على الاستفادة من هذه الحالة في إصلاح أوضاعهم، وإنهاء مقاومتهم لدين الله، وحربهم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلى المسلمين، بل وصيرورتهم له أتباعاً وأعواناً ومناصرين، بعد أن كانوا له أعداءً محاربين ومنابذين.

إكذابهم أنفسهم مطلوب له ﷺ:

إن نفس أن يبحث هؤلاء الذين أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمهم لافترائهم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وصدهم عن سبيل الله عن طريق الأكاذيب، وإكذابهم أنفسهم، وقبولهم بالإدانة على ما اقترفوه من ظلم وبغي في حق أهل الإيمان ـ إن ذلك نفسه ـ كان مطلوباً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، لتطمئن بعض النفوس الضعيفة، ولينقطع أمل من يداجي وينافق ويتآمر، ولكي تزول أية شبهة عن الإسلام وأهله يمكن أن تؤثر على الأجيال اللاحقة.

علم النبي ﷺ بالغيب:

إن من المضحك أن يتصرف أسيد مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أساس أنه «صلى الله عليه وآله» لا يعرفه.. مع أنه «صلى الله عليه وآله» قد أظهر لهم في مفردات تعد بالمئات طيلة أكثر من عشرين سنة أنه مشرف على الغيب، وهو يرفد إيمانهم بالكرامات الباهرة والدلالات الظاهرة وقد

صرح القرآن الكريم: بأن الأنبياء «عليهم السلام» قادرون على إخبار الناس حتى بما يأكلون، وبما يدخرونه في بيوتهم، وبأنه سبحانه قد أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» شاهداً على قومه.. ولهذا البحث مجال آخر.

وفود غسان:

وقدم وفد غسان على النبي «صلى الله عليه وآله» في شهر رمضان سنة عشر، وهم ثلاثة نفر، فأسلموا وقالوا: لا ندري أيتبعنا قومنا أم لا؟ وهم يحبون بقاء ملكهم، وقرب قيصر، فأجازهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بجوائز، وانصرفوا راجعين، فقدموا على قومهم، فلم يستجيبوا لهم، وكتموا إسلامهم[1].

ونلاحظ هنا:

١ ـ أن هؤلاء القوم يرون أن دخولهم في الإسلام يُذهب ملكهم عنهم، مع أن الأمر ليس كذلك، فقد رأينا أنه «صلى الله عليه وآله» يريد للناس المزيد من القوة والشوكة والسعادة، ولم يسلب أحداً ممن أسلم ملكه، بل زاده الإسلام شوكة وعظمة ونفوذاً، وأصبح كل من يدخل منهم في الإسلام يجد في سائر الأمم التي أسلمت عوناً له، وقوة، وعامل ثبات وبقاء..

أما قيصر، فكان يريدهم لنفسه، فهو يريد أموالهم لا ليقسمها في فقرائهم،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩١ عن زاد المعاد وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص٢٢٣، وعيون الأثر ج١ ص٣١٦، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٣٩، وتاريخ مدينة دمشق ج٦٨ ص٩٤، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٧.

ولا ليستفيد منها في إقرار الأمن، وإشاعة العدل، وبناء المجتمعات على القيم، والمثل العليا، كما كان يفعل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل ليصرفها على شهواته وملذاته، ولكي توجب له المزيد من القوة على الظلم والتعدي، وإشاعة الإنحراف، والموبقات والمآثم..

ويريد رجالهم ليكونوا وقوداً لحروبه التي يخوضها لتوسعه ملكه، وبسط نفوذه، وحماية شخصه، وتلبية رغباته، والإستجابة لنزواته.

وأما رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيريدهم مجاهدين لا في سبيل شخصه بل في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين، ينشرون دينه بين عباده.

٢ ـ إن هؤلاء الأشخاص قد كتموا إسلامهم حين رجعوا إلى قومهم، حيث دعوهم فلم يستجيبوا لهم. فيكونون بذلك قد مارسوا مبدأ التقية، الذي يدرك الإنسان بفطرته، وبعقله السديد، ورأيه الرشيد صحته، وصوابيته، تماماً كما فعل عمار بن ياسر حينما استعمل التقية مع المشركين.

فهذا المبدأ إذن هو مما ترشد إليه الفطرة، ويحكم به العقل، وقد أيده القرآن والنصوص الشريفة، فما معنى إنكاره من بعض الذين لا يحتاجون إليه، بعد أن جعلوا أنفسهم أتباع الحكام، ووعاظ السلاطين؟! ثم إنهم حين يحتاجون إليه يمارسونه، ويغوصون فيه إلى الأعماق، كما أظهرته وقائع التاريخ، وقد ذكرنا بعض مفردات ممارستهم للتقية، في أوائل هذا الكتاب.

وفود جرير بن عبد الله البجلي:

عن جرير بن عبد الله البجلي قال: بعث إلي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأتيته، فقال: «ما جاء بك»؟

قلت: جئت لأسلم.

فألقى إلي كساءه وقال: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه».

وقال «صلى الله عليه وآله»: «أدعوك إلى شهادة ألا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأن تؤمن بالله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وتصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم شهر رمضان، وتنصح لكل مسلم، وتطيع الوالي وإن كان عبداً حبشياً»[1].

عن جرير بن عبد الله البجلي قال: لما دنوت من مدينة الرسول «صلى الله عليه وآله» أنخت راحلتي وحللت عيبتي، ولبست حلتي، ودخلت المسجد، والنبي «صلى الله عليه وآله» يخطب، فسلمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فرماني الناس بالحدق، فقلت لجليسي: يا عبد الله، هل ذكر رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن أمري شيئاً؟

قال: نعم، ذكرك بأحسن الذكر، فبينا هو يخطب إذ عرض لك فقال: «إنه سيدخل عليكم من هذا الباب ـ أو قال من هذا الفج ـ من خير ذي يمن، وإن على وجهه لمسحة ملك». فحمدت الله على ما أبلاني[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١١ عن الطبراني، والبيهقي، وابن سعد وقال في هامشه: أخرجه ابن سعد في الطبقات ج٢ ص١١٠، والبحار ج٢١ ص٣٧١، والطبقات المبرى لابن سعد ج١ ص٣٤٧.

وراجع: الإصابة ج١ ص٢٣٢ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٢٣٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١١ عن أحمد، والبيهقي، والطبراني، وراجع: الإصابة ج١ ص٢٣٢ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٢٣٣، وفضائل الصحابة للنسائي ص٦٠، والمستدرك للنيسابوري ج١ ص٢٨٥، =

وروى البزار، والطبراني عن عبد الله بن حمزة، والطبراني عن البراء بن عازب قال: بينا أنا يوماً عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» في جماعة من أصحابه أكثرهم اليمن إذ قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «سيطلع عليكم من هذه الثنية ـ وفي لفظ: من هذا الفج ـ خير ذي يمن، على وجهه مسحة ملك».

فما من القوم أحد إلا تمنى أن يكون من أهل بيته، إذ طلع عليه راكب، فانتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنزل عن راحلته، فأتى النبي «صلى الله عليه وآله» فأخذ بيده وبايعه وقال: «من أنت»؟

قال: جرير بن عبد الله البجلي.

فأجلسه إلى جنبه، ومسح بيده على رأسه ووجهه، وصدره وبطنه، حتى انحنى جرير حياء أن يدخل يده تحت إزاره، وهو يدعو له بالبركة ولذريته، ثم مسح رأسه وظهره وهو يدعو له، ثم بسط له عرض ردائه وقال له: «على هذا يا جرير فاقعد». فقعد معهم ملياً ثم قام وانصرف.

وقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»[1].

= والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ صص٢٢٢، والمصنف ج٧ ص٥٣٨ وج٨ ص٤٥٥، و بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص٣٠٨، والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٨٢، وصحيح ابن خزيمة ج٣ ص١٤٩، وصحيح ابن حبان ج١٦ ص١٧٤، والمعجم الكبير للطبراني ج٢ ص٣٥٣، وكنز العمال ج١٣ ص٣٢٧.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١١ عن أحمد، والبزار، والبيهقي، والطبراني برجال ثقات، وقال في هامشه: أخرجه ابن ماجة (٣٧١٢) والبيهقي في السنن ج٨ ص١٦٨، والطبراني في الكبير ج٢ ص٣٧٠ و٣٢٥، والحاكم في المستدرك=

وعن جرير بن عبد الله البجلي قال: أتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقلت: يا رسول الله، أبايعك على الهجرة.

فبايعني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واشترط عليّ النصح لكل مسلم، فبايعته على هذا.

قال ابن سعد: وكان نزول جرير بن عبد الله على فروة بن [عمرو] البياضي[1].

ما جاء بك؟! تفضح التلاعب بالرواية:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسل إلى جرير، فلما جاءه قال له: ما جاء بك؟

فقد يقال: إن هذا التصرف متناقض، لا يصدر عن النبي «صلى الله

= ج٤ ص٢٩٢، وأبو نعيم في الحلية ج٦ ص٢٠٥، وابن عدي في الكامل ج١ ص١٨١، والمجموع لمحيى الدين النووي ج١٤ ص٤٣، ومستدرك الوسائل للميرزا النوري ج٨ ص٣٩٦، ومستدرك سفينة البحار للشاهرودي ج٩ ص١٠٦، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٨ ص١٥، ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص٣٤، والأحاديث الطوال للطبراني ص٢١، والمعجم الأوسط للطبراني ج٥ ص٢٦٢ و٣٦٩ وج٦ ص٢٤٠، والمعجم الصغير للطبراني ج٢ ص١٢، والاستيعاب ج١ ص ٢٣٧ وج٣ ص٩٢٨، وتاريخ بغداد ج١ ص٢٠١ وج٧ ص٩٧، وأسد الغابة ج١ ص٢٧٩، وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٥٣٢، وغيرها.

وراجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٢٣٣ والإصابة ج١ ص٢٣٢.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٢ عن الطبراني برجال الصحيح، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٤٧.

عليه وآله»، إذ معنى إرساله إليه أنه قد جاء تلبية لدعوته، وأن دعوته له هي السبب في مجيئه، فما معنى أن يسأله عن سبب مجيئه ويقول له: ما جاء بك؟

ويمكن أن يجاب: بأنه لا مانع من أن يدعوه، ولكنه حين يأتيه، لا يكون إتيانه طاعة واستجابة له، بل لداع آخر، فأراد «صلى الله عليه وآله» منه أن يصرح بما دعاه إلى ذلك، ولعله توطئة واستدراج له ليظهر ما يستحق به الأكرام والثناء..

ولكن هذا الجواب، وإن كان صحيحاً في نفسه، ولكن ليس محله هنا، بل الصحيح هو: أن الصالحي الشامي اختار النص المحرَّف الذي أورده البيهقي[1] وفضله على نص آخر، ظاهر البطلان أيضاً، وهو مروي أيضاً عن جرير بن عبد الله البجلي.

قال: «لما بعث النبي «صلى الله عليه وآله» أتيته فقال: ما جاء بك؟! الخ..»[2]. إذ يرد على هذه الرواية:

أولاً: قال العسقلاني: «حصين فيه ضعف»[3]. يضاف إلى ذلك: أن هذا الخبر مروي عن جرير نفسه، الذي يجر النار إلى قرصه..

ثانياً: هناك فاصل كبير بين البعثة وبين وفادة الوفود، يصل إلى عشرين

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٢.

(٢) الإصابة ج١ ص٢٣٢ و٥٨٢، وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١١ وج٩ ص٣٨٨، وأعيان الشيعة ج٤ ص٧٢، ومسند الشهاب لابن سلامة ج١ ص٤٤٥، وكشف الخفاء للعجلوني ج١ ص٧٥، وتهذيب التهذيب ج٢ ص٦٤.

(٣) الإصابة ج١ ص٢٣٢ وفي (ط دارالكتب العلمية) ج١ ص٥٨٢، و وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٢، وأعيان الشيعة ج٤ ص٧٢.

سنة، فقد بعث النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم دعا إلى الله في مكة ثلاث عشرة سنة، ثم قدم المدينة، ثم حارب قريشاً وغيرهم، ثم فتح مكة في أواخر سنة ثمان، ثم وفدت عليه الوفود مع أن جريراً لم يكن قد اسلم طيلة هذه المدة، فقد جزم ابن عبد البر بما روي عن جرير نفسه، بأنه أسلم قبل وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» بأربعين يوماً[1].

وجزم الواقدي: بأن جريراً وفد على النبي «صلى الله عليه وآله» سنة عشر في شهر رمضان[2].

وحتى لو كان قد وفد عليه قبل ذلك، وقبل سنة سبع، فإن حديثه عن أنه قد وفد على النبي «صلى الله عليه وآله» حين البعثة يبقى بلا مبرر معقول أو مقبول.

وأجاب العسقلاني عن ذلك: بأن المقصود به المجاز. أي لما بلغنا بعثة النبي «صلى الله عليه وآله»، فلعله بلغه ذلك في سنة سبع أو ثمان أو تسع أو عشر، أو يحمل على المجاز بالحذف أي لما بعث «صلى الله عليه وآله»،

---

(١) الإصابة ج١ ص٢٣٢ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٢٣٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٢، و تهذيب التهذيب ج٢ ص٦٤، والذريعة للطهراني ج٨ ص٥١، و أعيان الشيعة ج٤ ص٧٢، وتاج العروس ج١٤ ص٤٤.

(٢) الإصابة ج١ ص٢٣٢، وفتح الباري ج١ ص١٩٣ وج٧ ص٩٩، و عمدة القاري ج١٥ ص١٤٤، و شرح مسند أبي حنيفة للقاري ص٦٦، و إرواء الغليل للألباني ج١ ص١٣٩، و الإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص٣٥، و الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج١ ص٢٩١، والمعارف لابن قتيبة ص٢٩٢.

وجرى كذا وكذا منه ذلك الوقت إلى سنة عشر أتيته الخ..»[1].

ونقول:

إنه كلام لا يصح أيضاً، أما بالنسبة لحمل الكلام على المجاز. فلأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حارب المشركين واليهود، وغزا الروم في تبوك، ومؤتة، وأرسل السرايا في مختلف الجهات قبل سنة عشر، فلا يعقل أن لا تصل أخبار بعثته إلى بجيلة إلا بعد اثنتين أو ثلاث وعشرين سنة. أو قبل وفاته «صلى الله عليه وآله» بأربعين يوماً.

وأما بالنسبة للمجاز في الحذف فهو مجاز مخل بإفهام المعنى هنا، فلا يصار إليه، ولا يصح الإعتماد عليه في بيان المقاصد.

الإيمان بالقدر وطاعة الأمراء:

وذكرت الروايات التي رواها جرير لنفسه:

أولاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دعاه ليؤمن بالقدر خيره وشره.. ومن المعلوم: أن مراد التيار الأموي بهذا النوع من التعابير هو ما ينتهي إلى الإعتقاد بالجبر الإلهي، حسبما أشرنا إليه في موضع آخر من هذا الكتاب..

وأما إذا كان المراد بهذه العبارة هو ما يصيب الإنسان بسبب أمور خارجة عن اختياره، كالذي يصيبه بسبب الكوارث الطبيعية، مثل الزلازل ونحوها فلا إشكال فيه..

ثانياً: ورد: أن مما أخذه «صلى الله عليه وآله» على جرير أن يطيع الوالي

---

(١) الإصابة ج١ ص٢٣٢، وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٢.

وإن كان عبداً حبشياً، فإن كانت هذه دعوة لطاعة الطواغيت والظالمين فهي تتناقض مع مبادئ الإسلام والقرآن.

وإن كان المقصود هو أن يلزمه بطاعة الإمام الذي يعينه الله ورسوله أياً كان ذلك الإمام، حتى لو كان عبداً حبشياً، فهو كلام صحيح ولا غبار عليه.

غير أن من الواضح: أن ورود هذا الكلام على لسان رجل أعلن رفضه لنهج أهل البيت «عليهم السلام» وخطهم، والتزم بنهج وخط أعدائهم يعطي: أن المطلوب هو تأييد النهج المناوئ لأهل البيت، وتقوية حكومة الظالمين، وإلزام الناس بطاعة جبابرة بني أمية، من خلال ما نسبوه للنبي «صلى الله عليه وآله» من أنه أمرهم بطاعة كل والٍ، ثم اعتبار ذلك من القضاء الإلهي، الذي لا خيار لأحد فيه، ولا مناص منه.

هل ذكر رسول الله ﷺ من أمري شيئاً:

وقد تقدم: أن جريراً سأل جليسه إن كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذكره في خطبته.. وهذا عجيب من جهتين:

إحداهما: أن المفروض: أنه ورد على قوم لا يعرفهم ولا يعرفونه، فما معنى طرحه هذا السؤال على جليسه من دون أن يعرّفه بنفسه.

الثانية: لماذا يتوقع جرير أن يذكره النبي «صلى الله عليه وآله» في خطبته، ويخبرهم بأمره؟ فحتى لو كان هذا الرجل يعظمه كسرى أو قيصر، فإنه لا يتوقع أن يذكره النبي «صلى الله عليه وآله» في خطبته.

إلا أن يقال: لعل القرائن ـ وهو أمر غير بعيد ـ قد دلت جريراً على أن

رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد تقدم إلى الناس فيه بشيء، فقد ذكرت الرواية: أنه «صلى الله عليه وآله» بيّن لهم صفة من يدخل من الباب، وأنه من خير ذي يمن، على وجهه مسحة ملك.

ويمكن أن يعرفوا الداخل بسمات أهل اليمن، وبسمة الملك المذكورة، وعهدهم بصدق رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مضافاً إلى إمكان تقدم ذكر أمور أخرى أدلّ وإن لم تنقلها الرواية، فلما دخلوا نظروا إليه جميعاً، فأحس بأنه قد كان جرى له ذكر بينهم.

جرير لا يستحق هذا الثناء:

قد تضمنت الروايات المتقدمة ثناءً على جرير بن عبد الله البجلي، وأنه «صلى الله عليه وآله» ألقى إليه كساءه، وأنه قال: «إذا جاءكم كريم قوم فاكرموه»، وأنه ذكره بأحسن الذكر، وأن على وجهه لمسحة ملك، وأنه خير ذي يمن الخ..

ونقول:

إن ذلك كله لا يمكن أن يصح، ونعتقد أنه من مصنوعات جرير لنفسه، لأنه في أكثره مروي عنه أو عن أعداء أهل البيت «عليهم السلام»، وخصوصاً أصحاب النزعة الأموية من موظفي معاوية لوضع الأحاديث، في الحط من علي «عليه السلام»، وذم أصحابه وأوليائه، ورفع شأن مناوئيه، وإطراء أعدائه..

والسبب في ذلك: أن جريراً هذا قد فارق علياً «عليه السلام» ولحق

بمعاوية[1].

وقد خرب علي «عليه السلام» داره بالكوفة[2].

ونهى أمير المؤمنين «عليه السلام» عن الصلاة في مسجده[3]، وهو من المساجد الملعونة[4].

---

(١) راجع: مروج الذهب ج٢ ص ٣٧٣ وتذكرة الخواص ص٨٤ والإصابة ج٢ ص٢٣٢، و نيل الأوطار للشوكاني ج١ ص٢٢٣، وشرح النهج للمعتزلي ج٣ ص١١٨ وج٤ ص٧٥.

(٢) راجع: قاموس الرجال ج٢ ص٥٨٥، و بحار الأنوار ج٣٢ ص٣٨١، وشرح النهج للمعتزلي ج٣ ص١١٨، وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٤٤٢، وانساب الأشراف للبلاذري ص٢٧٧، وأعيان الشيعة ج١ ص٤٧١، ووقعة صفين للمنقري ص٦٠.

(٣) الخصال ج١ ص٣٠٠، والكافي ج٣ ص٤٩٠، وروضة الواعظين للنيسابوري ص٣٣٦، والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٥ ص٢٥٠ و (ط دار الإسلامية) ج٣ ص٥٢٠، والبحار ج٩٧ ص٤٣٨.

(٤) تهذيب الأحكام للطوسي ج٣ ص٢٥٠، وتذكرة الفقهاء (ط.ق) للحلي ج١ ص٩٠ و (ط.ج) ج٢ ص٤٢٦، ومنتهى المطلب (ط.ق) للحلي ج١ ص٣٨٧، و نهاية الإحكام للحلي ج١ ص٣٥٤، وكشف الغطاء (ط.ق) للشيخ جعفر كاشف الغطاء ج١ ص٢١٢، والكافي ج٣ ص٤٩٠، وروضة الواعظين للنيسابوري ص٣٣٦، والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٥ ص٢٤٩، و (ط دار الإسلامية) ج٣ ص٥١٩، ومستدرك الوسائل للنوري ج٣ ص٣٩٧ و٣٩٩، والغارات ج٢ ص٤٨٦، وأمالي الطوسي ص١٦٩، وفضل الكوفة ومساجدها للمشهدي ص١٨، والمزار للمشهدي ص١١٨، والبحار ج٨٠ ص٣٦١ وج٩٧ ص٤٣٨، وجامع أحاديث الشيعة للبروجردي ج٤ ص٥٤٣.

وقد بايع هو والأشعث بن قيس ضباً[1].

وكان يبغض علياً «عليه السلام»[2]. وقد مدحه عمر بن الخطاب بقوله: جرير يوسف هذه الأمة[3].

وقدمه عمر في العراق على جميع بجيلة[4].

وقال عمر: ما زلت سيداً في الجاهلية سيداً في الإسلام[5].

---

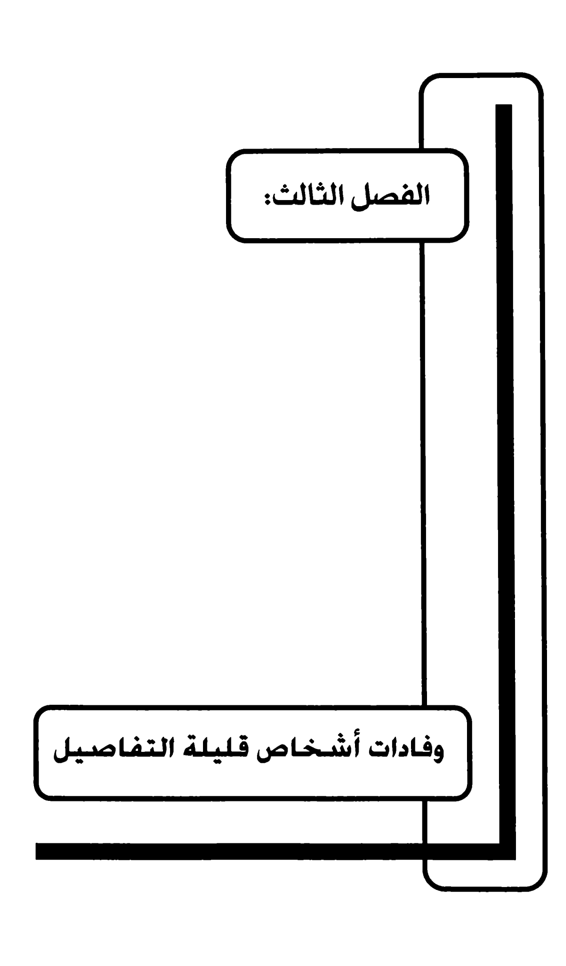
(١) راجع: شرح النهج ج٤ ص٧٥، والبحار ج١٠٩ ص٦٠.

(٢) راجع: قاموس الرجال ج٢ ص٥٨٥، وأعيان الشيعة ج٤ ص٧٥.

(٣) راجع: الإصابة ج١ ص٢٣٢ وأسد الغابة ج١ ص٢٧٩ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٢٣٣، وشرح النهج للمعتزلي ج٣ ص١١٨، وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٥٣٥، والمعارف لابن قطيبة ص٢٩٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص١٨٧، والوافي بالوفيات ج١١ ص٥٨، والبداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص٦١، وتاج العروس ج١٤ ص٤٤.

(٤) الإصابة ج١ ص٢٣٢ وفي (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٥٨٣، وخزانة الأدب ج٨ ص٢٢.

(٥) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٢٣٤ وفي (ط دار الجيل) ج١ ص٢٣٨، وأعيان الشيعة ج٤ ص٧٢.


الفصل الثالث:
وفادات أشخاص قليلة التفاصيل

الفصل الثالث

[illegible]

وفود فروة بن عمرو الجذامي:

وقالوا: بعث فروة بن عمرو الجذامي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» رسولاً بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء، هي فضة، وفرساً يقال له: الظرب، وحماراً يقال له: يعفور، وأثواباً، وقباء مذهباً، فقبل هديته. وأعطى رسوله مسعود بن سعد الجذامي اثني عشرة أوقية فضة[1].

وكان فروة عاملاً لقيصر ملك الروم على من يليه من العرب، وكان منزله مُعان وما حولها من أرض الشام.

فلما بلغ الروم ذلك من أمر إسلامه طلبوه حتى أخذوه، فحبسوه عندهم، فقال في محبسه:

طرقت سليمى موهناً أصحابي ... والروم بين الباب والقروان

صد الخيال وساءه ما قد رأى ... وهممت أن أغفي وقد أبكاني

لا تكحِلِنّ العين بعدي إثمداً ... سلمى ولا تَدْنِنَّ للإتيان

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٩٢، وتاريخ مدينة دمشق ج٥٨ ص٩، والإصابة ج٦ ص٧٨، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٦٢ و٢٨١ وج٧ ص٤٣٥.

ولقد علمت أبا كبيشة أنني وسط الأعزة لا يحص لساني

فلئن هلكت لتفقدن أخاكم ولئن بقيت لتعرفن مكاني

ولقد جمعت أجل ما جمع الفتى من جودة وشجاعة وبيان

فلما أجمعت الروم على صلبه على ماء لهم بفلسطين، يقال له عفراء، قال:

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها على ماء عفرى فوق إحدى الرواحل

على ناقة لم يضرب الفحل أمها مشذبة أطرافها بالمناجل

فزعم الزهري ابن شهاب أنهم لما قدموه ليقتلوه قال:

أبلغ سراة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي ومقامي

ثم ضربوا عنقه، وصلبوه على ذلك الماء، والله تعالى أعلم[1].

ونقول:

دلالات في إسلام فروة:

إن هذا الرجل ـ أعني فروة الجذامي ـ: لم يسلم حين أسلم طمعاً في مال أو مقام، أو جاه، لأن ذلك كان حاصلاً له، بل هو بإسلامه قد خاطر بجاهه، ومقامه، وبحياته أيضاً.. كما ان هذا الرجل لم ير رسول الله «صلى

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩١ عن ابن إسحاق، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٩٢ وراجع: الإصابة ج٣ ص٢١٣ عن ابن إسحاق وابن شاهين، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٨ ص٢٧٣، والإصابة ج٥ ص٢٩٥، والوافي بالوفيات ج٢٤ ص٦، وعيون الأثر ج٢ ص٢٩٧.

الله عليه وآله»، ليمكن أن يتوهم أنه قد تأثر بشخصيته، أو بقوة بيانه، كما أنه لم يكن له طمع بمال قدمه إليه، أو بجاه أو مقام عرضه عليه..

بل جاءته الدعوة الإلهية بكل صفائها، ونقائها، ووضوحها، لا تشوبها أية شائبة، من ترهيب أو ترغيب أو غيرهما، فانصاع لها عقله، ورضيها وجدانه، وانسجمت معها فطرته. وأصبحت عنوان وجوده، وحقيقة شخصيته وكيانه، ووجد أن التفريط بها معناه: التفريط بهويته، وبإنسانيته، ولأجل ذلك آثر أن يصر عليها، وأن يحتفظ بها ولا يساوم عليها، مع أنه كان قادراً على كتمان أمره، والإسرار بدخيلة نفسه..

منطق الغالب هو المغلوب:

واللافت هنا: هو هذه القسوة التي عامل الروم بها عاملهم، حيث إنهم بمجرد معرفتهم بإسلامه طلبوه حتى أخذوه، فحبسوه عندهم، ثم قتلوه، وصلبوه[1].

وهذا معناه:

١ ـ أنه قد جرت مطاردة واسعة، واستنفار عام من قبل الروم لملاحقة هذا الرجل، حتى تمكنوا أخيراً من أخذه.

٢ ـ إننا لم نرهم سألوه عن سبب اعتناقه الإسلام، ولا ناقشوه في صحة هذا الدين..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩٠ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ص١١٥ وفي (ط دار صادر) ج٧ ص٤٣٥، ومعجم ما استعجم ج٤ ص١٢٤٢، والبحار ج٢١ ص٤٠٩.

٣ ـ إن هذا الفعل منهم يشير إلى أنهم يريدون فرض النصرانية على الناس بقوة السيف. فلا صحة لما يزعمونه من أن دينهم دين سلام ومحبة، وتسامح.. وليس لهم أن يتهموا الإسلام بأنه دين القهر، والعنف، وأنه إنما انتشر بالسيف وبالأكراه!!

فإن الإسلام هو الذي أطلق القاعدة الشاملة لكل عصر ومصر، ولكل دين ونحلة ولجميع الفئات والأقوام ومختلف الشرائح، والتي تقول: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِالله قَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[1].

وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد حارب بعض الأقوام، فإنما حاربهم دفاعاً عن النفس..

على أنه ليس لمن تقدم له الأدلة والبراهين الفطرية والعقلية، ويظهر عجزه عن مواجهتها، حيث تكون أمامه أظهر من الشمس، وأبين من الأمس ـ ليس له ـ أن يرفض الخضوع لها، استكباراً منه وعتواً.. وإلا سقطت المعايير، واختل نظام الحياة، ولا بد أن يسقط الناس معها في هوة سحيقة من الظلم والفوضى، وضياع الحقوق في ظل حكومة الأقوياء، والجبارين، والمستكبرين..

٤ ـ إن صلبهم لفروة بعد قتله يدل على أنهم أرادوا أن يجعلوا منه عبرة ورادعاً لكل من يمكن أن يمر في خياله أو يخطر على باله أن يفكر بالإسلام كخيار له في هذه الحياة. فالتفكير، بل وحتى تخيل هذا الأمر ممنوع على

---

(١) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

الناس تحت وطأة صولة الجبارين، وبقوة السيف، لا بقوة الدليل، ولا بسلطان البرهان..

وفود رجل من عنس:

عن رجل من عَنْس بن مالك، من مَذْحج، قال: كان منا رجل وفد على النبي «صلى الله عليه وآله»، فأتاه وهو يتعشى فدعاه إلى العشاء، فجلس. فلما تعشى أقبل عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «أتشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله»؟

فقال: أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

فقال: «أراغباً جئت أم راهباً»؟

فقال: أما الرغبة فوالله ما في يديك مال، وأما الرهبة فوالله إني لببلد ما تبلغه جيوشك، ولكني خوفت فخفت، وقيل لي: آمن بالله فآمنت.

فأقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» على القوم، فقال: «رب خطيب من عنس».

فمكث يختلف إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم جاء يودعه، فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اخرج». وبتته أي أعطاه شيئاً، وقال: «إن أحسست شيئاً فوائل إلى أدنى قرية» فخرج فوعك في بعض الطريق، فوأل إلى أدنى قرية، فمات رحمه الله واسمه ربيعة.

وعند الطبراني: اسمه ربيعة بن رواء العنسي[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٨٩ عن ابن سعد، والطبراني، والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ص١٠٦ والإصابة ج١ ص٥٠٨ وفي (ط دار الكتب =

ونقول:

١ ـ لم تذكر الرواية لنا تاريخ هذا الوفد على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

٢ ـ قد تضمنت هذه الرواية إقرار العنسي أمام النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه لم يسلم رهباً ولا رغباً..وإنما أسلم حين ظهر له أن ثمة ما يدعو إلى الخوف من الآخرة، فحكم عليه عقله بلزوم اتخاذ سبيل الإحتياط والحذر، فأطاع عقله، ولم يتأثر بما يمليه عليه هواه من تقليد الأباء، والتزام ما ألفه واعتاده، لأن الآباء قد يخطئون، والإلف قد يكون لما فيه شر وفساد، والعادة لا تدل على الحق..

٣ ـ إن إيمانه بالله لم يكن إيماناً بشيء كان متردداً فيه، بل كان إيماناً بشيء اقتنع به، وانتقل من قناعاته تلك إلى تحصيل قناعات أخرى، مثل أنه لم يخلقه عبثاً، وأنه لا بد أن يكلفه بما يحقق الهدف من خلقته، وأن لا يرضى بمخالفة أوامره، وإهمال تكاليفه. وأنه لا بد من مثوبة وعقوبة، وسوف ينظر إلى نفسه ليريها موقعها من أوامره وزواجره وما ينتظرها من عقوبة ومثوبة.. فرأى أنه لا يستطيع أن يطمئن إلى مصيره، فإن ثمة أموراً جعلته يخاف معها على نفسه.. ولذلك رأى نفسه مضطراً إلى الإيمان بما اقتنع به فكرياً فآمن بالله، وشهد للنبي يالعبودية والرسالة، وواصل سيره باتجاه الحصول على ما يوجب له السلام والأمان في الدنيا والآخرة.

= العلمية) ج٢ ص٣٨٧، وراجع: مجمع الزوائد ج٩ ص٣٩٤، والمعجم الكبير للطبراني ج٥ ص٦٦، وأسد الغابة ج٢ ص١٦٨.

٤ ـ غير أن هذه الرواية قد تضمنت دعوى أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال للعنسي: رب خطيب من عنس، ونحن لا نجد أي تناسب لهذه الكلمة مع قول العنسي وفعله، فهو لم يخطب، بل أخبر عن إيمانه وسببه، كما أننا لم نتأكد من وجود أية شهرة للعنسيين في الخطابة..

إلا أن يقال: قد يكون عدم اشتهار العنسيين بالخطابة، هو الذي دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى قوله: رب خطيب من عنس ـ أي عنس التي لا خطابة فيها يظهر منها خطيب.. فلاحظ.

وفود جعدة:

عن رجل من بني عقيل قال: وفد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الرقاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب. وأعطاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالفلج ضيعة، وكتب لهم كتاباً وهو عندهم[1].

وفود الحجاج بن علاط السلمي:

عن واثلة بن الأسقع قال: سبب إسلام الحجاج بن علاط أنه خرج في ركب من قومه إلى مكة، فلما جن عليه الليل وهو في واد موحش مخوف، فقال له أصحابه: قم يا أبا كلاب فخذ لنفسك ولأصحابك أماناً.

فقام الحجاج بن علاط يطوف حولهم يكلؤهم ويقول: أعيذ نفسي، وأعيذ صحبي، من كل جني بهذا النقب، حتى أؤوب سالماً وركبي.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٤ عن طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٤٦ ومجموعة الوثائق السياسية ص٣١٨.

فسمع قائلاً يقول: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾[1].

فلما قدم مكة أخبر بذلك قريشاً، فقالوا: «صبأت والله يا أبا كلاب» إن هذا فيما يزعم محمد أنه أنزل عليه.

فقال: والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معي.

فسأل عن النبي «صلى الله عليه وآله»، فقيل له: بالمدينة.

فأتاه، فأسلم[2].

ولا ندري مدى صحة هذه الرواية التي تفرد بها واثلة بن الأسقع، مع العلم بأنها مما تتوافر الدواعي على نقله، ولا سيما من أولئك الذين سمعوا ما سمعه ابن علاط. وقد عجزت الروايات عن نسبة ذلك إلى ابن علاط نفسه، مع أن هذا الأمر هو سبب إسلامه..

والحال أن الرواة ينقلون لنا ما هو أبسط من ذلك بمراتب.

وفود فروة بن مسيك:

قال ابن إسحاق، ومحمد بن عمر: قدم فروة بن مسيك المرادي وافداً

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الرحمن.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٢١ عن ابن أبي الدنيا في الهواتف، وابن عساكر، والبحار ج٦٠ ص٢٩٩ وكنز العمال ج١٣ ص٣٤٨ وأسد الغابة ج١ ص٣٨١ والهواتف لابن أبي الدنيا ص٣٨ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج١ ص٣٢٥ والإصابة (دار الكتب العلمية) ج٢ ص٢٩ والوافي بالوفيات للصفدي ج١١ ص٢٤٥ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٤ ص٣٢ وأعيان الشيعة ج٤ ص٥٦٥.

على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مفارقاً لملوك كندة، ومتابعاً للنبي «صلى الله عليه وآله»، وقال في ذلك:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت ... كالرجل خان الرجل عرق نسائها

قربت راحلتي أؤم محمداً ... أرجو فواضلها وحسن ثرائها

ثم خرج حتى أتى المدينة، وكان رجلاً له شرف، فأنزله سعد بن عبادة عليه، ثم غدا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو جالس في المسجد، فسلم عليه ثم قال: يا رسول الله، أنا لمن ورائي من قومي.

قال: «أين نزلت يا فروة»؟

قال: على سعد بن عبادة. وكان يحضر مجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» كلما جلس، ويتعلم القرآن، وفرائض الإسلام وشرائعه.

وكان بين مراد وهمدان قُبَيْلَ الإسلام وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا، حتى أثخنوهم في يوم يقال له: يوم الردم. وكان الذي قاد همدان إلى مراد، الأجدع بن مالك في ذلك اليوم.

قال ابن هشام: الذي قاد همدان في ذلك اليوم ابن حريم الهمداني.

قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم»؟

قال: يا رسول الله، من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم ولا يسوؤه ذلك؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً».

وفي ذلك اليوم يقول فروة بن مسيك:

مررن على لفات وهن خوص ... ينازعن الأعنة ينتحينا
فإن نَغلِب، فغلابون قدماً ... وإن نُغلَب، فغير مغلبينا
وما إن طبنا جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا
كذاك الدهر دولته سجال ... تكر صروفه حينا فحينا
فبينا ما نسر به ونرضى ... ولو لبست غضارته سنينا
إذ انقلبت به كرات دهر ... فألفيت الألى غبطوا طحينا
فمن يغبط بريب الدهر منهم ... يجد ريب الزمان له خؤونا
فلو خلد الملوك إذا خلدنا ... ولو بقي الكرام إذا بقينا
فأفنى ذلكم سروات قومي ... كما أفنى القرون الأولينا

واستعمل رسول الله «صلى الله عليه وآله» فروة بن مسيك على مراد، وزبيد ومذحج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

ونقول:

يستوقفنا في حديث فروة أمور، نذكر منها:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩٢ و ٣٩٣ عن ابن إسحاق، والواقدي، وفي هامشه عن البداية والنهاية ج٥ ص٧١، وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٩٢، والبداية والنهاية ج٥ ص٨٣، وإمتاع الأسماع ج٢ ص٩٨ وج٩ ص٣٧٨، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٠٤، وعيون الأثر ج٢ ص٢٩٠، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٣٧، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٩.

إن من الشعر لحكمة:

إن الشعر المنسوب لفروة بن مسيك يشير إلى أن هذا الرجل كان يملك عقلاً، وحكمة، وبعد نظر، وأن التجارب قد حنكته، وتقلبات الزمان قد علمته، وهذبته..

ولأجل ذلك يقال: إن الإمام الحسين «عليه السلام» قد تمثل بنفس هذه الأبيات في واقعة كربلاء[1]، لأنها تعطي صورة واقعية صادقة عن حركة الدهور، وتقلبات الأزمان..

يوم الردم في كلام النبي ﷺ:

وقد لاحظنا: أنه «صلى الله عليه وآله» يسأل فروة بن مسيك عن يوم الردم إن كان قد ساءه.

والسؤال هو: لماذا يطرح النبي «صلى الله عليه وآله» هذا السؤال؟! أليس تأثر الرجل بما يصيب قومه من نكبات أمراً طبيعياً؟!

ونجيب: بأنه «صلى الله عليه وآله» لم يسأله عما بقى لذلك اليوم من آثار حزن في قلبه، بل سأله هذا السؤال الذي لا يحتاج إلى جواب، توطئة لما يريد أن يقوله بعد ذلك، أي أنه أراد من فروة بن مسيك أن يستحضر صورة ما جرى ليتمكن «صلى الله عليه وآله» من طرح العلاج الذي كان ضرورياً..

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٧ واللهوف ص٥٤ وعن تاريخ ابن عساكر ج٤ ص٣٣٤.

فإنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يبني مجتمعاً متعاوناً، ومتراحماً، ليعيش الأخوّة في أعمق معانيها، وهذا غير ممكن إلا باستلال الأحقاد من القلوب، وتطهير النفوس، والعقول من الوساوس والتزيينات الشيطانية..

ولأجل ذلك: نجده «صلى الله عليه وآله» يبادر إلى بلسمة الجرح من خلال التنويه بقيمة العوض الأسمى والأبقى الذي حصل عليه قوم فروة بن مسيك، معتبراً أن الله قد زادهم في الإسلام خيراً مما أصيبوا به يوم الردم، وقد كان سبب هذا العطاء هو نفس ما جرى عليهم في ذلك اليوم..

والذي يبدو لنا هو: أن هؤلاء القوم قد تصرفوا بحكمة وأناة، ولم ينساقوا وراء ردات الفعل، فصبروا، وكفوا أيديهم عن الأبرياء، فاستحقوا أن يعوضهم الله عن ذلك بمزيد من الخير والفضل الذي حباهم به في الإسلام..

وفد عامري، وكلبي:

قال عبد عمرو بن جبلة بن وائل بن الجلاح الكلبي: شخصت أنا وعاصم ـ رجل من بني رقاش من بني عامر ـ حتى أتينا النبي «صلى الله عليه وآله»، فعرض علينا الإسلام، فأسلمنا.

وقال: «أنا النبي الأميّ الصادق الزكي، والويل كل الويل لمن كذبني وتولى عني وقاتلني، والخير كل الخير لمن آواني ونصرني، وآمن بي وصدق قولي، وجاهد معي».

قالا: فنحن نؤمن بك ونصدق قولك، وأنشأ عبد عمرو يقول:

أجبت رسول الله إذ جاء بالهدى ... وأصبحت بعد الجحد بالله أوجرا

ووَدعت لذات القداح وقد أرى بها سدكا عمري وللهو أهدرا

وآمنت بالله العلي مكانه وأصبحت للأوثان ما عشت منكرا[1]

ونقول:

ويستوقفنا هنا ما يلي:

النبي ﷺ أمي، صادق، زكي:

لقد وصف النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه بالأوصاف المذكورة، وليس يريد بهذا الثناء على نفسه، بقدر ما يقصد به الإعلام، أو فقل التذكير بما شاع وذاع عنه، من أنه أمين وصادق، وزكي.

فإن الأمية تشير إلى: أنه لم يقرأ كتب من مضى، لكي يتهم بأنه قد أخذ منها..

والصدق الذي عرف به، وظهرت لهم دلائله في مطابقة ما أخبر به من غيوب للواقع، يحتم عليهم قبول ما جاء به، وبخوعهم لنبوته..

وأما كونه زكياً، فيشير إلى طهارته وأنه لا ينقاد إلى هواه، ولا تتحكم به شهواته، فلا معنى لأن يتوهم في حقه شيء مما يحاول الظالمون إلصاقه به..

ولذلك رتب «صلى الله عليه وآله» على جامعيته لهذه الأوصاف الثلاثة، نتيجة هي: أن الويل كل الويل لمن كذبه، وتولى عنه، وقاتله. وأن الخير كل الخير لمن أواه ونصره، وآمن به، وصدق قوله، وجاهد معه.. لأن

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٠١ عن ابن سعد في الطبقات (ط ليدن) ج٢ ص٩٢ وفي (ط دار صادر) ج١ ص٣٣٤، والإصابة ج٤ ص٣١٥.

من يكون جامعاً للأوصاف الثلاثة المذكورة يكون صادقاً في دعواه النبوة.. فتكذيبه ومحاربته لابد أن تجلب الويل كل الويل لصاحبها، كما أن الخير كله سيكون من نصيب من صدقه وآمن به وجاهد معه، لأن تلك الصفات تجعل ذلك المتحلِّي مصوناً ومحفوظاً من أي خلل أو خطل، وبعيداً عن التأثر بالأهواء، والإنصياع للآراء الباطلة، والخيالات المضللة..

ما تعهد به عبد عمرو:

وقد تعهد عبد عمرو في شعره رفض الأوثان، وترك شرب الخمر واللهو، وأجاب إلى الإيمان بالله، والإيمان بما جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فأمَّا البنسبة لما تعهد بتركه ورفضه، فمن الواضح: أن عبادة الأوثان أصبحت أمراً معيباً في ذلك المجتمع، الذي استيقظت فطرته، وتنبه عقله، وأدرك مدى سوء ووهن هذا الإعتقاد، وسخف وسقوط، وهجنة هذه العبادة.

أما الخمر، فكان للعرب تعلق خاص بها، حتى إن أعشى قيس قدم إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليسلم، وقد مدحه بقصيدة، فلما كان بمكة أو قريباً منها قيل له: إن محمداً يحرِّم الزنا.

فقال: والله، إن ذلك لأمر ما لي فيه من إرب.

فقيل له: وإنه ليحرم الخمر.

فقال: أما هذه ففي النفس منها لعلالات، ولكني منصرف فأرتوي

منها عامي هذا ثم آتيه أسلم، فمات في عامه ذاك، ولم يوفق للإسلام[1].

كما أنهم يقولون: إن بني تغلب كانوا نصارى، ولكنهم ما كانوا يتعلقون من النصرانية إلا بالزنا وشرب الخمر[2]. بل إن جميع نصارى العرب كانوا كذلك[3].

غير أن من الواضح: أن التجاهر بالزنا لم يكن أمراً محموداً عندهم، وكان ربما يجر عليهم المتاعب، بل المصائب.

ولأجل ذلك نلاحظ: أن الشاعر عبد عمرو اعتبر نفسه مضحياً بتركه لذات قداح الخمر، وهو يتمدح نفسه ويثني عليها من أجل رضاها بذلك..

وفود بني الرؤاس بن كلاب:

عن أبي نفيع طارق بن علقمة الرؤاسي قال[4]: قدم رجل منا يقال له:

---

(١) راجع: الروض الأنف ج٢ ص١٣٦ والبداية والنهاية ج٣ ص١٠١ و١٠٢ و١٠٣ و (ط دار إحياء التراث العربي) ص١٢٧ وسيرة مغلطاي ص٢٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٨٠، والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص ٢٥ ـ ٢٨، والأغاني (ط ساسي) ج ٨ ص٨٥ و ٨٦، والروض الانف ج٢ ص١٣٦، وسيرة مغلطاي ص ٢٥، وتفسير الميزان ج٦ ص ١٣٤، والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٦٢، ومحاضرات الأدباء المجلد الثاني ص٤١٨، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص١٣٥.

(٢) المصنف للصنعاني ج٦ ص٧٢ وج٧ ص١٨٦ والسنن الكبرى ج٩ ص٢٤٨، وأسد الغابة ج١ ص٥٨.

(٣) المصنف للصنعاني ج٦ ص٧٢ و ٧٣ وج٧ ص١٨٦ والسنن الكبرى ج٩ ص٢١٧.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٤٠ عن ابن سعد، وفي هامشه عن طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج٢ ص٦٥ وفي (ط دار صادر) ج١ ص٣٠٠، وراجع: الإصابة ج٣ ص١٣.

عمرو بن مالك بن قيس على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأسلم ثم أتى قومه، فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: حتى نصيب من بني عقيل بن كعب مثلما أصابوا منا.

فخرجوا يريدونهم، وخرج معهم عمرو بن مالك، فأصابوا منهم. ثم خرجوا يسوقون النعم، فأدركهم فارس من بني عقيل يقال له: ربيعة بن المنتفق بن عقيل وهو يقول:

أقسمت لا أطعن إلا فارساً إذا الكماة ألبسوا القلانسا

قال أبو نفيع: فقلت نجوتم يا معشر الرجالة سائر اليوم.

فأدرك العقيلي رجلاً من بني عبيد بن رؤاس يقال له: المحرس بن عبد الله [بن عمرو بن عبيد بن رؤاس]، فطعنه في عضده فاختلها، فاعتنق المحرس فرسه وقال: يا آل رؤاس.

فقال ربيعة: رؤاس خيل أو أناس؟

فعطف على ربيعة عمرو بن مالك فطعنه، فقتله.

قال: ثم خرجنا نسوق النعم، وأقبل بنو عقيل في طلبنا حتى انتهينا إلى تربة، فقطع ما بيننا وبينهم وادي تربة، فجعلت بنو عقيل ينظرون إلينا ولا يصلون إلى شيء، فمضينا.

قال عمرو بن مالك: فأسقط في يدي وقلت: قتلت رجلاً، وقد أسلمت وبايعت النبي «صلى الله عليه وآله»، فشددت يدي في غل إلى عنقي، ثم خرجت أريد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقد بلغه ذلك.

فقال: «لئن أتاني لأضربن ما فوق الغل من يده».

فأطلقت يدي ثم أتيته فسلمت عليه، فأعرض عني، فأتيته عن يمينه،

فأعرض عني، فأتيته عن يساره، فأعرض عني، فأتيته من قبل وجهه، فقلت: «يا رسول الله، إن الرب ليترضى فيرضى، فارض عني رضي الله عنك».

قال: «قد رضيت عنك»[1].

ونقول:

إن هذا الحديث إنما يرويه لنا مالك عن نفسه، ونحن نشك في صحة ما نقله من رضا النبي «صلى الله عليه وآله» عنه، فإنه إن كان قد قتل مشركاً، فلماذا يتوعده «صلى الله عليه وآله» بضرب ما فوق الغل من يده؟! ولماذا يغضب عليه ويعرض عنه، ثم لا يرضى إلا بعد أن قال له الكلام السابق عنه؟!

وإن كان المقتول مسلماً، فإن المطلوب هو قتله قوداً، أو قصاصاً.. وما معنى: أن يرضى عنه لمجرد أنه أتاه من قبل وجهه، مع أنه قد اقترف هذا الذنب العظيم، ألا وهو قتل امرئ مسلم؟!

ولماذا لم يبادر إلى تنفيذ ما كان تعهد به وهو: أن يضرب ما فوق الغل من يده، فهل إطلاق يده يسقط العقوبة الإلهية عنه، ويمنع النبي «صلى الله عليه وآله» من تنفيذ ما تعهد به؟!

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٤٠ عن ابن سعد، وفي هامشه عن طبقات ابن سعد (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٤٥ وفي (ط دار صادر) ج١ ص٣٠١، وراجع: الإصابة ج٣ ص١٣، والآحاد والمثاني للضحاك ج٣ ص١٧٨، والثقات لابن حبان ج٣ ص٢٧٠، وأسد الغابة ج٥ ص١٢، والإصابة ج٤ ص٥٦٠.

وفد زياد بن عبد الله الهلالي:

قالوا: وفد زياد بن عبد الله بن مالك على النبي «صلى الله عليه وآله»، فلما دخل المدينة توجه إلى منزل ميمونة بنت الحارث زوج النبي «صلى الله عليه وآله»، وكانت خالة زياد ـ لأن أمه عزة بنت الحارث ـ وهو يومئذ شاب. فدخل النبي «صلى الله عليه وآله» وهو عندها. فلما رآه رسول الله «صلى الله عليه وآله» غضب فرجع.

فقالت ميمونة: يا رسول الله، هذا ابن أختي.

فدخل إليها ثم خرج حتى أتى المسجد ومعه زياد، فصلى الظهر، ثم أدنى زياداً فدعا له، ووضع يده على رأسه، ثم حَدَّرها على طرف أنفه، فكانت بنو هلال تقول: ما زلنا نعرف البركة في وجه زياد.

وقال الشاعر لعلي بن زياد:

يا بن الذي مسح النبي برأسه ... ودعا له بالخير عند المسجد

أعني زياداً لا أريد سواءه ... من غائر أو متهم أو منجد

ما زال ذاك النور في عرنينه ... حتى تبوأ بيته في الملحد

وفادة قيس بن عاصم:

وقدم قيس بن عاصم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سنة تسع[1].

وروى الطبراني بسند جيد عن قيس بن عاصم قال: قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما رآني قال: «هذا سيد أهل الوبر».

---

(١) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٣ ص٢٣٢.

فلما نزلت أتيته فجعلت أحدثه، فقلت: يا رسول الله، ما المال الذي ليست عليَّ فيه تبعة من ضيف ضافني، أو عيال كثروا عليّ؟

قال: «نعم المال الأربعون، والأكثر الستون، وويل لأصحاب المئين إلا من أعطى من رسلها ونجدتها، وأطرق فحلها، وأفقر ظهرها، [ومنح غزيرتها]، ونحر سمينها، وأطعم القانع والمعتر».

قال: يا رسول الله، ما أكرم هذه وأحسنها، إنه لا يحل بالوادي الذي أنا فيه لكثر ة إبلي.

فقال: «فكيف تصنع بالطروقة»؟

قال: قلت تغدو الإبل ويغدو الناس، فمن شاء أخذ برأس بعير فذهب به.

قال: «فكيف تصنع في الأفقار»؟

قلت: إني لأفقر الناب المدبرة والضرع الصغير.

قال: «فكيف تصنع في المنيحة»؟

قلت: إني لأمنح في كل سنة مائة.

قال: «فمالك أحب إليك أم مال مواليك»؟

قلت: لا، بل مالي.

قال: «إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو أعطيت فأمضيت، وسائره لمواليك».

فقلت: والله لئن بقيت لأقلن عددها[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩٩ و ٤٠٠ عن الطبراني في الكبير ج١٨ ص٣٣٩ =

قال الحسن البصري: فعل والله. فلما حضرت قيساً الوفاة جمع بنيه فقال: يا بني، خذوا عني، فإنكم لن تأخذوا من أحد هو أنصح لكم مني. إذا أنا مت فسوِّدوا أكابركم، ولا تسوِّدوا أصاغركم، فتسفِّهكم الناس وتهونوا عليهم، وعليكم بإصلاح المال فإنه سعة للكريم ويستغنى به عن اللئيم، وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب المرء، وإذا أنا مت فلا تنوحوا عليَّ فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم ينح عليه، وقد سمعته ينهى عن النياحة، وكفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم، وإذا دفنتموني فلا تدفنوني في موضع يطلع عليه أحد، فإنه قد كان بيني وبين بني بكر بن وائل حماسات في الجاهلية، فأخاف أن ينبشوني، فيصيبون في ذلك ما يذهب فيه دينكم ودنياكم.

قال الحسن: نصح لهم في الحياة، ونصح لهم في الممات[1].

تعظيم قيس بن عاصم لماذا؟!:

قد تضمنت النصوص التي نقلناها آنفاً ثناءً من النبي «صلى الله عليه وآله» على قيس بن عاصم، يرويه لنا قيس بن عاصم نفسه، كما أن من يراجع كتب التراجم يجد نصوصاً أخرى تعطيه المزيد من الأوسمة في

= والإصابة ج٣ ص٢٥٣، ومجمع الزوائد ج١٠ ص٢٤٢، وتهذيب الكمال ج٢٤ ص٦٤، وتاريخ المدينة ج٢ ص٥٣١، وراجع إمتاع الأسماع ج٤ ص٣٥٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩٩ والإصابة ج٣ ص٢٥٣ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٣ ص٢٣٤، والمعجم الكبير للطبراني ج١٨ ص٣٤٠، والأحاديث الطوال للطبراني ص٥١، ومجمع الزوائد ج٣ ص١٠٨.

الجاهلية وفي الإسلام، وفيها: أنه حرم الخمر على نفسه في الجاهلية[1]، وأنه سيد أهل الوبر وغير ذلك كثير[2].

ونحن لا نرى في هذا الرجل ما يستحق ذلك كله، ونشك في صحته.. فهذا الرجل كما روى هؤلاء أنفسهم كان يئد بناته، حتى وأد منهنّ ثمانية، كما اعترف به لرسول الله «صلى الله عليه وآله»[3].

---

(١) الإصابة ج٣ ص٢٥٣، وتاريخ المدينة ج٢ هامش ص٥٢٣، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٥.

(٢) راجع: الإصابة ج٣ ص٢٥٣ و ٢٥٤، والمجموع للنووي ج٢ ص١٥٢، ومقاتل الطالبين ص٥٦، وأمالي المرتضى ج١ ص٧٢، والنيسابوري في المستدرك ج٣ ص٦١١، ومجمع الزوائد ج٣ ص١٠٧ وج٩ ص٤٠٤ وج١٠ ص٢٤٢، وفتح الباري ج٥ ص١٢٤، والأدب المفرد للبخاري ص٢٠٣، وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث لإ بن أبي أسامة ص١٥٢، والمفاريد عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» للموصلي ص١٠٦، والأحاديث الطوال للطبراني ص٥٠، والإستيعاب ج٣ ص١٢٩٥، والتمهيد لابن عبد البر ج٤ ص٢١٣، وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٢٨ و١٣٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٩٤ وج٧ ص٣٦، ومعرفة الثقات للعجلي ج٢ ص٢٢١، والثقات لابن حبان ج٣ ص٣٣٨ وج٦ ص٣٢٠، ومشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص٦٨، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٠ ص٣٥٩، وأسد الغابة ج٢ ص٢٣٥ وج٤ ص٢١٩، وتهذيب الكمال ج٢٣ ص٤٤٨ وج٢٤ ص٥٨ و٥٩ و٦١، والإصابة ج٢ ص٥٠٥ وج٥ ص٣٦٧ و٣٦٩، وتهذيب التهذيب ج٨ ص٣٥٧، وغيرها.

(٣) الإصابة ج٣ ص٢٥٣ عن ابن مندة، وراجع هامش الأعلام للزركلي ج٥ ص٢٠٧ نقلاً عن الإصابة: ت ٧١٩٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٤٣٤ والنقـائض، (طبعـة =

وعن عبد الله بن مصعب، قال: قال أبو بكر لقيس بن عاصم: ما حملك على أن وأدت. وكان أول من وأد.

فقال: خشيت أن يخلف عليهن غير كفؤ[1].

وقد ارتد بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، وآمن بسجاح، وكان مؤذنها، وقال في ذلك:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

ثم لما تزوجت سجاح بمسيلمة، وآمنت به آمن به قيس معها. ولما قتل مسيلمة أخذ قيس أسيراً الخ..[2].

بل إنه بعد أن أسلم بلغه أن أحدهم استأذن النبي «صلى الله عليه وآله» بغزوه حين أبطأ في إعلان إسلامه، فقال للنبي «صلى الله عليه وآله»: أما لي سبيل إلى الرجوع؟!

قال: لا.

= ليدن) ١٠٢٣ ورغبة الآمل ج٣ ص١٠ وج٤ ص٩٩ و ٢٣٤ ويؤخذ منه أنه كان يئد بناته في الجاهلية، وج٥ ص١٤٤ و ١٤٨ والمرزباني ص٣٢٤ وحسن الصحابة ص٣٢٩ وخزانة البغدادي ج٣ ص٤٢٨ و ٤٢٩ و ٥٠٩ ومجمع الزوائد ج٩ ص٤٠٤ وسمط اللآلي ٤٨٧ والمحبر ٢٣٨ و ٢٤٨، والتبريزي ج٤ ص٦٨ ومجالس ثعلب ص٣٦.

(١) الإصابة ج٣ ص٢٥٣ عن الزبير بن بكار وفي (ط دار الكتب العلمية) ج٥ ص٣٦٧.

(٢) الأغاني ج١٢ ص١٥٩ و ١٦٠.

قال: لو كان لي إلى الرجوع سبيل لأدخلت على عتبة ونسائه الذل[1].

قدوم أعشى بني مازن:

عن نضلة بن طريف: أن رجلاً منهم يقال له: الأعشى، واسمه عبد الله بن الأعور كانت عنده امرأة يقال لها: معاذة، وخرج في رجب [يمير أهله من هجر، فهربت امرأته بعده ناشزاً عليه، فعاذت برجل منهم يقال له: مطرف بن بهصل المازني، فجعلها خلف ظهره.

فلما قدم لم يجدها في بيته، وأخبر أنها نشزت عليه، وأنها عاذت بمطرف بن بهصل، فأتاه، فقال: يا ابن عم أعندك امرأتي معاذة فادفعها إلي.

قال: ليست عندي، ولو كانت عندي لم أدفعها إليك.

قال: وكان مطرف أعز منه.

قال: فخرج الأعشى حتى أتى النبي «صلى الله عليه وآله» فعاذ به وأنشأ يقول:].

يا مالك الناس وديان العرب ... إني لقيت ذربة من الذرب

غدوت أبغيها الطعام في رجب ... فخلفتني في نزاع وهرب

أخلفت العهد ولظت بالذنب ... وهن شر غالب لمن غلب

[فكتب النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مطرف: «انظر امرأة هذا معاذة فادفعها إليه»].

فأتاه كتاب النبي «صلى الله عليه وآله» فقرئ عليه، فقال: «يا معاذة،

---

(١) الإصابة ج٣ ص٢٥٤ وفي (ط دار الكتب العلمية) ج٥ ص٣٦٩.

هذا كتاب النبي «صلى الله عليه وآله» فيك، وأنا دافعك إليه.

قالت: خذ لي العهد والميثاق، وذمة النبي «صلى الله عليه وآله» ألا يعاقبني فيما صنعت.

فأخذ لها ذلك، ودفعها إليه، فأنشأ يقول:

لعمرك ما حبي معاذة بالذي ... يغيره الواشي ولا قدم العهد

ولا سوء ما جاءت به إذ أذلها ... غواة رجال إذ يناجونها بعدي[1]

ولسنا بحاجة إلى التعليق على هذه الوفادة.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٥ عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند، والشيرازي في الألقاب، وابن أبي خيمة، والحسن بن سفيان، وابن شاهين، وأبي نعيم، وفي هامشه عن البداية ج٥ ص٧٤ ومكاتيب الرسول ج١ ص٢٨٨ عن: الإصابة ج٣ ص٥٥٦ (٨٧١٥) و ج٢ ص٢٧٦ (٤٥٣٥) في عبد الله بن الأعور، وأسد الغابة ج١ ص١٠٢ في ترجمة الأعشى المازني و ج٥ ص٥٤٦ في معاذة، ومسند أحمد ج٢ ص٢٠٢ وأعلام السائلين ص٤٢ ورسالات نبوية ص٢٦٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٥٠ وج٧ ق١ ص٣٧ و (ط دار صادر) ص٥٣ و ٥٤ والإستيعاب ج٢ ص٢٦٦ والبداية والنهاية ج٥ ص٧٤ والوثائق السياسية ص٢٤٢/ ١٢٦ (عن جمع ممن تقدم وعن الفائق للزمخشري في مادة «دين» ولسان العرب مادة «اثب» و «ذرب» و «خلف» وديوان الأعشى المسمى بالصبح المنير ص٢٨٢ و ٢٨٣ مع الحواشي عن المكاثرة للطيالسي ص١٣ وألف باء لأبي الحجاج البلوي ج١ ص٨٣٢ والمقاصد النحوية ج٢ ص٢٨٩ وحسن الصحابة لعلي فهمي ص١١٣ ومعجم الصحابة لابن قانع خطية: ورقة ١١ ومجمع الزوائد ج٤ ص٢٣١.

وفادة أبي حرب:

قال: وقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبو حرب بن خويلد بن عامر بن عقيل، فقرأ عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» القرآن، وعرض عليه الإسلام.

فقال: أما وأيم الله، لقد لقيت الله أو لقيت من لقيه، وإنك لتقول قولاً لا نحسن مثله، ولكني سوف أضرب بقداحي هذه على ما تدعوني إليه وعلى ديني الذي أنا عليه، وضرب بالقداح، فخرج عليه سهم الكفر، ثم أعاده، فخرج عليه ثلاث مرات. فقال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: أبى هذا إلا ما ترى.

ثم رجع إلى أخيه عقال بن خويلد، فقال له: قَلَّ خِيسُك، هل لك في محمد بن عبد الله يدعو إلى دين الإسلام، ويقرأ القرآن، وقد أعطاني العقيق أن أنا أسلمت.

فقال له عقال: أنا والله أخطك أكثر مما يخطك محمد. ثم ركب فرسه، وجر رمحه على أسفل العقيق، فأخذ أسفله وما فيه من عين.

ثم إن عقالاً قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فعرض عليه الإسلام، وجعل يقول له: «أتشهد أن محمداً رسول الله؟

فيقول: أشهد أن هبيرة بن المفاضة نعم الفارس، يوم قرني لبان.

ثم قال: «أتشهد أن محمداً رسول الله»؟

قال: أشهد أن الصريح تحت الرغوة.

ثم قال له الثالثة: «أتشهد»؟

قال: فشهد وأسلم.

قال: وابن المفاضة هبيرة بن معاوية بن عبادة بن عقيل، ومعاوية هو فارس الهرَّار، والهرَّار: اسم فرسه، ولبان: اسم موضع[1].

أبو حرب يُسْلِم استناداً لقداحه:

وأغرب ما قرأناه هنا: أن أبا حرب يعترف بأنه «صلى الله عليه وآله» لقي الله، أو لقي من لقيه، ولكنه لا يُسلم إلا إذا وافقت قداحه على إسلامه..

وهذا يشير إلى خفة وسفه، وقلة عقل، فإن الحق إذا ظهر فهو أحق أن يتبع، وكيف يمكن أن يُجري إنسان سليم العقل قرعة على الحق والباطل، وبين الإيمان الذي ظهرت دلائله ووضحت آياته وبين الكفر الخاسئ البيِّن الغي؟!

وماذا عليه لو أسلم وأخذ العقيق، فإنه يكون قد ربح الدنيا والآخرة.

وأما إعطاء أخيه عقال له أرضاً أوسع من العقيق، فإنه إن أفاده في الدنيا شيئاً، فسيكون ممحوق البركة سيء الآثار، وهو بالتالي إلى فناء وزوال، وسوف يتركه إلى غيره لينتعم به من بعده، ويذهب هو في الآخرة

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٨٤ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٥٠٣ عن: الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٠٢ وفي (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٤٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٩٠ ورسالات نبوية ص١٤٨ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٦٥ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٩٤ والإصابة ج٣ ص٤٢٣ في ترجمة مطرف بن عبد الله بن الأعلم. ومجموعة الوثائق السياسية ص٣١٢ و ٢١٦ عن الطبقات، ورسالات نبوية، وقال: قابل معجم البلدان مادة عقيق، وانظر اشپرنكر ج٣ ص٥١٣.

إلى الجحيم، وإلى العذاب الأليم، والخزي المقيم..

إسلام عقال:

ولست أدري ما أقول في أجوبة عقال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنها أجوبة المهزوم والعاجز عن المواجهة، والباحث عن مهرب، أو لعلها أسئلة من يريد أن يمتحن صبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، علماً بأن الصبر لم يكن من صفات الإنسان العربي الذي يعيش في الصحراء بين الحيوانات المفترسة، أو بين سباع الغارة والقتل، والسلب والنهب، بل هو الرجل النزق، والسريع المبادرة للعنف، وقلَّ أن تجد فيهم حليماً.

معاوية بن حيدة:

عن معاوية بن حيدة قال: أتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلما دفعت إليه قال: «أما إني سألت الله عز وجل أن يعينني عليكم بالسَّنة (المراد سنة القحط) فتحفيكم، وبالرعب أن يجعله في قلوبكم».

فقال معاوية بن حيدة بيديه جميعاً: أما إني خُلِقْتُ هكذا وهكذا، أي لا أؤمن بك ولا أتبعك، فما زالت السَّنة تُحفيني، وما زال الرعب يرعب في قلبي حتى وقفت بين يديك؛ فبالله الذي أرسلك، بماذا بعثك الله به عز وجل؟

قال: «بعثني بالإسلام».

قال: وما الإسلام؟

قال: «شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، أخوان نصيران، لا يقبل الله عز وجل من أحد توبة أشرك بعد

إسلامه».

قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوج أحد منا عليه؟

قال: «يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يُقبح، ولا تُهجر إلا في المبيت».

وفي رواية: ما تقول: في نساءنا؟

قال: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[1].

قال فينظر أحدنا إلى عورة أخيه.

قال: «لا».

قال: فإذا تفرقا.

قال: «فضم رسول الله «صلى الله عليه وآله» إحدى فخذيه على الأخرى، ثم قال: «ههنا تحشرون، ههنا تحشرون، ههنا تحشرون ـ ثلاثاً ـ يعني الشام ـ رُكباناً ومشاة، وعلى وجوهكم. موفون يوم القيامة سبعين أمة، أنتم آخر الأمم، وأكرمها على الله تعالى وعلى أفواهكم الفدام، وأول ما يعرب عن أحدكم فخذه»[2].

ونقول:

إن في هذا الحديث مواضع للنظر، فلاحظ يلي:

---

(١) الآية ٢٢٣ من سورة البقرة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١٣ عن أحمد، والبيهقي، وفي هامشه عن: السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٩٥ ومسند أحمد ج٥ ص٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص٣٧٨، والمعجم الكبير للطبراني ج١٩ ص٤٢٦، وفتح القدير ج٤ ص٥١٣، وتاريخ مدينة دمشق ج١ ص١٧٦ و١٧٨.

أسئلة لا تجد لها جواباً:

قد تضمن هذا النص أموراً عديدة هي مثار أسئلة حقيقية، ولا يمكن المرور عليها مرور الكرام، بل هي تفرض على الإنسان المنصف أن يدير ظهره لنصوص لا تستطيع أن تجيب على ما ينقضها. ونحن نجمل هذه الأسئلة على النحو التالي:

١ ـ ماذا يمثل معاوية بن حيدة من خطورة على مسيرة أهل الإيمان، حتى يواجهه النبي «صلى الله عليه وآله» بهذا الخطاب الذي يعبر عن أن ابن حيدة يمثل موقعاً أساسياً في التحدي المفعم بالبغي على الإسلام وأهله، إلى حد أن النبي «صلى الله عليه وآله» طلب من ربه أن يأخذهم بالرعب وبالسنين حتى تحيفهم (أي تلح عليهم بشدة واستقصاء بالغ).

٢ ـ وحين أصابت السَّنة قريشاً، وهم أعدى أعدائه، إن قريشاً ليس فقط لم تبادر إلى الإسلام، بل هي أصرت على حربه، واستئصال شأفته، ولم يجبرها إلحاح السنين على التخلي عن موقفها، فلماذا يدعو النبي «صلى الله عليه وآله» بإلحاح السنين وهو قد جربها وعرف أن لا أثر لها؟! فهل كان «صلى الله عليه وآله» قد أخطأ التقدير والعياذ بالله، فظن أن للسنين أثراً؟!

٣ ـ وهل كان الله سبحانه يعامل الناس بهذه الطريقة ليجبرهم على قبول دينه؟! وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم يستعمل هذه الوسيلة بالنسبة لجميع الأمم السالفة.. ليوفر على الأنبياء بعضاً من عنائهم؟!

أم أنه فعل ذلك ولم يؤثر شيئاً في السابق، فلماذا عاد في اللاحق إلى وسيلة لا أثر لها؟!

٤ ـ نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يترك قريشاً تكابد الجوع حتى

يضطروا إلى قبول الإسلام والدخول فيه، بل بادر لإرسال المعونات لهم إلى مكة، ولأبي سفيان بالذات[1].

فهل كان غير راغب بإسلامهم آنئذٍ، أم أنه ندم على ما فرط منه. أي أنه كان قد طلب من الله أن يبتليهم بالقحط حتى إذا استجاب الله تعالى له بادر إلى نقضه، بتقديم المعونات ودفع آثار القحط عنهم؟!

٥ ـ لم نفهم ما معنى أن يضم النبي «صلى الله عليه وآله» فخذيه حين سئل عن أنه إذا تفرق الزوجان فما العمل؟!

٦ ـ وقد ذكر أن المحشر والمنشر في الشام..

ونقول:

أولاً: لماذا كان الحشر في الشام ـ كما ذكرته هذه الرواية، ولا يكون في اليمن، أو في فلسطين، أو في غير ذلك من البقاع..

ثانياً: ألا ينافي ذلك ما رووه من أن بيت المقدس هو الذي يكون فيه المحشر والمنشر[2].

٧ ـ والأدهى من ذلك كله أن يكون أول ما يعرب عن كل امرئ فخذه في يوم القيامة، فلماذا لا تعرب عنه يده أو أنفه، أو لسانه أو رأسه، وما إلى ذلك؟!

وقد قال الله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ

---

(١) راجع: تقدمت مصادر ذلك في بعض فصول هذا الكتاب.

(٢) البحار ج٥٧ ص٢٥١ و ٢١٨، ومجمع الزوائد ج٤ ص٦، ومسند أبي يعلى ج١٢ ص٥٢٣.

﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

وقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾[2].

ولنفترض: أن المقصود بالرجل هو: الفخذ (وإن كان ذلك من التحكم غير المقبول) فإننا نقول:

ليس في الآية ما يدل أن الفخذ هو أول من يشهد. بل إن تكلم الأيدي قد ذكر في الآية قبل تكلم الرجلين.

وفود جرم:

إن هناك وفدين من جرم قدما على رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

الوفد الأول: عن مرة الجرمي قال: وفد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجلان منا يقال لأحدهما: الأصقع بن شريح بن صريم بن عمرو بن رياح، والآخر هوذة بن عمرو بن يزيد بن عمرو بن رياح فأسلما. وكتب لهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً[3].

---

(١) الآية ٦٥ من سورة يس.

(٢) الآية ٢٤ من سورة النور.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٠٩ عن ابن سعد وقال في هامشه: أخرجه ابن سعد في الطبقات ج٢ ص٩٩، وفي (ط دار صادر) ج١ ص٣٣٥، ومكاتيب الرسول للأحمدي الميانجي ج١ هامش ص ٢٥٠ نقلاً عن اليعقوبي ج٢ ص٥٥ وراجع تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٤٠٦ والبداية والنهاية ج٣ ص٢٤٧ والبحار ج١٩ص١٧٤ و ١٨٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص١٣٥ والوثائق السياسية ص٢٦٦ / ١٥٨ ـ ألف (عن اليعقوبي، وعن إمتاع الأسماع للمقريزي ج١ =

الوفد الثاني: عن عمرو بن سلمة قال: كنا بحضرة ماء ممر الناس عليه، وكنا نسألهم ما هذا الأمر؟

فيقولون: رجل يزعم أنه نبي، وأن الله أرسله وأن الله أوحى إليه كذا كذا، فجعلت لا أسمع شيئاً من ذلك إلا حفظته، كأنما يُغرى في صدري بغراء، حتى جمعتُ فيه قرآناً كثيراً.

قال: وكانت العرب تلوَّمُ بإسلامها الفتح، يقولون: انظروا، فإن ظهر عليهم فهو صادق، وهو نبي.

فلما جاءتنا وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، فانطلق أبي بإسلام حِوَائنا ذلك، وأقام مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما شاء الله أن يقيم (وتعلموا القرآن، وقضوا حوائجهم).

قال: ثم أقبل فلما دنا منا تلقيناه، فلما رأيناه قال: جئتكم والله من عند رسول الله حقاً، ثم قال: إنه يأمركم بكذا وكذا، وينهاكم عن كذا وكذا، وأن تصلوا صلاة كذا، في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآناً أو نحو ذلك.

قال: فنظر أهل حِوَائنا فما وجدوا أحداً أكثر قرآناً مني الذي كنت أحفظه من الركبان. فدعوني فعلموني الركوع والسجود، وقدموني بين أيديهم، فكنت أصلي بهم وأنا ابن ست سنين.

= ص٥٥) وراجع الطبقات الكبرى ج٢ ق١ ص ٦ وراجع المفصل ج٤ ص٢٥١ و ٢٦٥ و ٢٦٧ و ٣١٢ و ٣٣٩ و ٤٣٢ و ٥٣٢ وج٧ ص٣٥٣ والدرر لابن عبد البر ص٦٤ والمنتظم ج٣ ص٩٠.

قال: وكان عليّ بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنا است قارئكم؟

قال: فكسوني قميصاً من معقد البحرين.

قال: فما فرحت بشيء أشد من فرحي بذلك القميص"[1].

وفي نص آخر: فقدموني، فصليت بهم، فما شهدت مجمعاً إلا وأنا إمامهم إلى يومنا هذا"[2].

ونقول:

إن لنا بعض البيانات والمؤخذات على ما سبق، فلاحظ ما يلي:

إمام الجماعة بعمر ست سنين:

إن ثمة إشكالاً في صحة ما ذكر آنفاً من أن ذلك الذي كان أكثر تلك الجماعة جمعاً للقرآن، وأصبح إماماً لها. كان بعمر ست سنين، فإن أحداً لا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٠٩ عن البخاري، وابن سعد، وابن مندة، والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص٤٩، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٣٧ وج٧ ص٩٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٠٩ عن ابن سعد، وفي هامشه عن الطبقات الكبرى ج٢ ص٩٩، وأسد الغابة ج٤ ص١١٠ وج٢ ص٣٤٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٣٦ وج٧ ص٨٩، وإرواء الغليل للألباني ج١ ص٢٢٩، وعون المعبود ج٢ ص٢٠٨، وفتح الباري ج٨ ص١٩، والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٩٢و ٢٢٥، وسنن أبي داوود ج١ ص١٤١، ومسند أحمد ج٥ ص٧١، والمصنف ج١ ص٣٧٩، وكنز العمال ج٨ ص٢٦٥.

يرضى بأن يأتم بصبي عمره ست سنين.. والمتوقع هو: أن يراجع الناس النبي «صلى الله عليه وآله» قبل أن يقدموا على هذا الأمر..

ولم يكن هؤلاء الذين أسلموا لتوهم من أهل التقوى والإنقياد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى حد أن يطيعوه في مثل هذا الأمر الذي تأباه نفوسهم.

ستر العورة في الصلاة واجب:

لو فرضنا أن أحداً يجهل أن ستر العورة مطلوب في الصلاة، فإن من المعلوم: أن أحداً لا يستطيع كشفها، من ناحية الأدب الإجتماعي، فكيف يرضى أولئك القوم بأن يؤمهم من تنكشف عورته حين صلاته بهم؟!

على أن ما يحتاج إلى تفسير هنا هو: حضور النساء للجماعة، ثم رؤيتهن لعورة الإمام حال الركوع والسجود، مع أن المفروض هو: أنهن في هاتين الحالتين لا يقدرن على رؤية الإمام حتى لو تعمدن ذلك، خصوصاً إذا لاحظنا صغر حجمه، إذا كان بعمر ست سنوات، وكانت هناك صفوف من الرجال تفصل النساء عنه.. وتحجبهم بالتالي عن رؤيته في حالتي الركوع والسجود.

إلا إذا فرض أن النساء لم يكنّ في جملة المصلين..

متى تعلَّم الجرميون القرآن؟!:

وقد ذكر آنفاً: أن وفد جرم عادوا إلى قومهم، فسألوا عن الأقرأ للقرآن فوجدوا: أن سلمة بن قيس الجرمي هو الأكثر جمعاً، فقدموه فصلى بهم، وكان إمامهم..

فقد يقال: إذا كانت جرم لم تسلم بعد، فلماذا يتعلم الناس فيها القرآن؟ ويشيع ذلك فيهم، حتى يحتاج إلى معرفة الأكثر أخذاً له..

وقد يجاب: بأن هذا الوفد قد جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وعاد من عنده بعد ظهور الإسلام في قبيلة جرم..

وهو جواب غير دقيق، فقد صرح عمرو بن سلمة بأنه قد حفظ القرآن في أيام الشرك حيث كانوا على ماءٍ ممر الناس عليه، فكانوا يسألونهم عن هذا الأمر، فكانوا يجيبونهم ويقرأون عليهم بعض الآيات، فكان عمرو بن سلمة يحفظ من ذلك أكثر من غيره.

أكثرهم قرآناً يؤم جماعتهم:

وسواء قلنا بصحة ما ذكروه حول ذلك الغلام أو بعدم صحته، فإن ذلك لا يمنع من أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد قرر أن إمام القوم أكثرهم جمعاً للقرآن، وذلك على قاعدة: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»، واستجابة لواجب الحث والتشجيع على حفظ القرآن، والإهتمام بجمعه، غير أن سؤالاً قد يطرح هنا، وهو: أن الناس كانوا آنئذٍ بحاجة إلى معرفة أحكام دينهم، مقدمة للإلتزام والعمل بها، فلماذا لم يأمرهم بتقديم الأفقه والأعرف بأحكام دينه؟!

ويمكن أن يجاب: بأن القرآن أساس الدين، وحصنه الحصين، وفيه كل معارف الدين، في عقائده، وشرائعه، وأحكامه، ومفاهيمه، وأخلاقياته، وسياساته، وعِبره وعظاته، وغير ذلك مما لا بد منه للإنسان المسلم والمؤمن..

على أن نفس ربط الإنسان بالله، وشعوره بأن الله هو الذي يتكلم معه،

يجعله أكثر شعوراً بحقيقته وحجمه، ويدعوه للتواضع أمام عظمة الله، ويدفع عنه الشعور بالكبر، والخيلاء، ويجعله يشعر بأنه محاسب، ومسؤول، ولا يستطيع أن يخفى شيئاً من أفعاله، أو أقواله، أو نواياه..

ومن شأن هذا أن يزيد في انقياده، وعبوديته، وسعيه لاستكمال ما يحتاج إليه لنيل رضا الله تبارك وتعالى، والفوز بدرجات القرب منه. على أن الإستكثار من القرآن، وجمعه، وقراءته، لا بد أن يفتح أمام الإنسان أبواباً عديدة للسؤال، والإستقصاء عن الكثير الكثير من المعارف التي لولا قراءته للقرآن، لم تخطر له على بال، ولم تمر له في خيال.

ومع غض النظر عن ذلك كله.. فإن هذا الحكم النبوي لا بد أن يعطي الأمثولة الرائعة لتطبيق المعايير الإسلامية والإيمانية، حين يصبح أصغر القوم إمامهم، لا لأجل مال جمعه، أو وصل إليه، ولا لأجل دنيا أصابها، أو جاه ظفر به، وإنما لأنه سار في طريق رضا الله سبحانه، ونال المعارف التي تيسّر له التقوى، وتوصله إلى مقامات القرب والزلفى.

ثم إن ذلك يذكي الطموح لدى الآخرين ليدخلوا الحلبة، وليستبقوا الخيرات، والباقيات الصالحات، لا ليستبقوا المآثم والموبقات.

وفود جعفي:

وقالوا: كانت قبيلة جعفي يحرمون أكل القلب في الجاهلية، فوفد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجلان منهم: قيس بن سلمة بن شراحيل، وسلمة بن يزيد، وهما أخوان لأم، وأمهما مليكة بنت الحلو. فأسلما. فقال لهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»: **«بلغني أنكم لا تأكلون القلب»**.

قالا: نعم.

قال: «فإنه لا يكمل إسلامكما إلا بأكله».

ودعا لهما بقلب، فشوي، ثم ناوله سلمة بن يزيد، فلما أخذه أرعدت يده، فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كله».

وكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لقيس بن سلمة كتاباً نسخته:

«كتاب من محمد رسول الله لقيس بن سلمة بن شراحيل، أني استعملتك على مران ومواليها، وحريم ومواليها، والكُلاب ومواليها، [من أقام الصلاة، وآتى الزكاة، وصدّق ماله وصفاه].

[**قال الكلاب:** أود، وزبيد] وجزء ابن سعد العشيرة، وزيد الله بن سعد، وعائذ الله بن سعد، وبنو صلاءة من بني الحارث بن كعب..

ثم قالا: يا رسول الله، إن أمنا مليكة بنت الحلو كانت تفك العاني، وتطعم البائس، وترحم المسكين، وإنها ماتت وقد وأدت بنية لها صغيرة، فما حالها؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الوائدة والموؤدة في النار».

فقاما مغضبين.

فقال: «إلي فارجعا».

فقال: «وأمي مع أمكما».

فأبيا، ومضيا وهما يقولان: والله، إن رجلاً أطعمنا القلب، وزعم أن أمنا في النار لأهل ألَّا يتبع. وذهبا. فلما كانا ببعض الطريق لقيا رجلاً من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» معه إبل من إبل الصدقة، فأوثقاه، وطردا الإبل.

فبلغ ذلك النبي «صلى الله عليه وآله» فلعنهما فيمن كان يلعن في قوله: «لعن الله رعلاً، وذكوان، وعصية، ولحيان، وابني مليكة بن حريم، ومران»[1].

وفادة أبي سبرة:

وقالوا: وفد أبو سبرة وهو يزيد بن مالك بن عبد الله الجعفي على النبي «صلى الله عليه وآله» ومعه ابناه: سبرة وعزيز. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعزيز: «ما اسمك»؟

قال: عزيز.

قال: «لا عزيز إلا الله، أنت عبد الرحمن». فأسلموا.

وقال أبو سبرة: يا رسول الله، إن بظهر كفي سلعة قد منعتني من خطام راحلتي.

فدعا له رسول الله «صلى الله عليه وآله» [بقدح، فجعل يضرب به على السلعة، ويمسحها، فذهبت، فدعا له رسول الله «صلى الله عليه وآله»] ولابنيه.

وقال له: يا رسول الله، أقطعني وادي قومي باليمن، وكان يقال له: حردان. ففعل[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٤ و ٣١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج١ ص٣٢٤ ـ ٣٢٦، والكافي ج٨ ص٧١، والبحار ج٢٢ ص١٣٧ وج٥٧ ص٢٣٢، ومستدرك البيسابوري ج٤ ص٨٢، والدر المنثور ج٣ ص٢٨٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٢٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٥ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ص٩٠، وفي (ط دار صادر) ج١ ص٣٢٦.

ونقول:

كنا قد ذكرنا في أكثر من موضع: أن الناس كانوا يرون أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا بد أن يكون قادراً على شفائهم من كل عاهة، وأنه ينزل الغيث، ويخبر بالغائبات وما إلى ذلك، ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» يسجل أي تحفظ على فهمهم هذا، بل هو يستجيب إلى ما كانوا يطلبونه منه في هذا السياق.. وقد ذكر آنفاً بعض ما يرتبط بذلك. ويبقى أن نشير هنا إلى ما يلي:

لا يكمل إسلامه إلا بأكل القلب:

قد يناقش البعض بأنه لا يجد وجهاً للقول المنسوب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» للجعفيين: «لا يكمل إسلامكما إلا بأكل القلب»، ثم شوى لهما قلباً وأطعمهما منه..

ونجيب: بأن المقصود أن تحريم أي شيء مما أحله الله تعالى معناه: أن ثمة نقصاً في إسلام من يحرم ذلك، وتمام الإسلام وكماله إنما هو بالتسليم التام، والقبول بكل ما جاء به النبي «صلى الله عليه وآله».. ولا يريد «صلى الله عليه وآله» أن يقول: إن لأكل القلب خصوصية في الإسلام.

وقد كان لا بد من أن يرفع الحرج الناشئ عن رواسب الجاهلية، فلأجل ذلك أطعمهما فعلاً من قلب شواه لهما.. فإن من السهل على الإنسان أن يعلن قبوله بالشيء، ولكنه حين يواجه به، ويريد أن يصدق قوله بفعله تجده يصد عن ذلك، وتأبى نفسه الإنصياع..

ولذلك أرعدت يد سلمة بن يزيد حين ناوله النبي «صلى الله عليه

وآله» القلب المشوي ليأكله.. ولو أنه «صلى الله عليه وآله» لم يواجهه بهذا الأمر، فلربما يؤدي التزامه بأمر الجاهلية إلى أن يستقر هذا الأمر الخاطئ في داخل نفسه من جديد، ولربما يضاف إليه أمور جاهلية أخرى، إلى أن ينتهي به الحال إلى العودة إلى ما كان عليه قبل إسلامه..

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة:

وقد زعمت الرواية المتقدمة: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أخبر ذينك الرجلين بأن أمهما في النار، بعد أن أطعمهما القلب، فلما غضبا أضاف أمه «صلى الله عليه وآله» إلى أمهما، فحكم عليها أنها في النار أيضاً استرضاءً لهما، ولكنهما لم يقبلا منه وذهبا..

ولسنا بحاجة إلى القول: بأن أساس الرواية مشكوك، فإن هذه الطريقة التي نسب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» أنه عامل بها ذينك الرجلين، ليست من مصاديق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بل هي قد أدت إلى تنفير هذين الرجلين من الإسلام، وصدودهما عنه، رغم زعمهم أنه «صلى الله عليه وآله» قد واساهما بنفسه بإضافة أمه إلى أمهما، فلاحظ الفقرة التالية:

الموؤودة في النار، وأمي مع أمكما:

قد ذكر النص المتقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «الوائدة والموؤودة في النار، فقام قيس بن سلمة، وقيس بن يزيد وهما مغضبان، فقال «صلى الله عليه وآله»: وأمي وأمكما في النار».

ونقول:

إننا لا نرتاب في كذب هذه المزعمة، وذلك لما يلي:

أولاً: قد تقدم في الجزء الثاني من هذا الكتاب في فل: «بحوث تسبق السيرة» إثبات إيمان آباء النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد ألف السيوطي كتباً ورسائل في إثبات ذلك، مثل كتاب: التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الجنة. ونشر العلميين المنيفين، وغير ذلك. فراجع ما ذكرناه هناك..

ثانياً: إنه لا ريب في أن العقل يقبح عقوبة البريء، البالغ العاقل، فهل يمكن أن يرضى بتعذيب الأبرياء من الأطفال؟ فكيف إذا كانوا صغاراً لا يملكون من الإدراك ما يصحح مؤاخذتهم بشيء؟!

ثالثاً: إن الآيات قد صرحت: بأنه لا عذاب على الولدان، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهَ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً، إِلَّا المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾**[1].

رابعاً: روي عن ابن عباس في الموؤودة قوله: «فمن زعم أنهم في النار فقد كذب»[2].

---

(١) الآيتان ٩٧ و ٩٨ من سورة النساء.

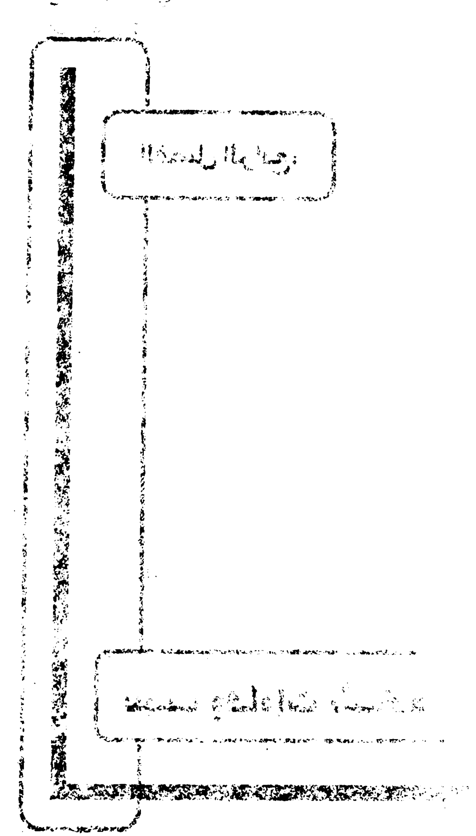
(٢) الدر المنثور ج٦ ص٣١٩ عن عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وتفسير ابن أبي حاتم ج١٠ ص ٣٤٠٤ و٣٤٠٦، وتفسير إبن كثير ج٤ ص٥٠٩.

خامساً: عن النبي «صلى الله عليه وآله»: «رفع القلم عن ثلاثة: الصبي، والمجنون، والنائم» ونحوه غيره[1].

---

(١) راجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٧٣ وكنز العمال ج٣ ص٥٩ وتذكرة الخواص ص١٥٧ والمناقب للخوارزمي ص٤٨ وسنن أبي داود ج٤ ص١١٤ و ١٤٠ وفرائد السمطين ج١ ص٦٦ وذخائر العقبى ص٨١ والغدير ج٦ ص١٠٢ وسنن ابن ماجة ج١ ص٦٥٩ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٥٩ و ج٤ ص٣٨٩ وجامع الأصول ج٤ ص٢٧١ وتيسير الوصول ج٢ ص٨ والرياض النضرة ج٣ ص١٤٤ وحاشية الحفنى على الجامع الصغير ج٢ ص٢٥٨ ومصباح الظلام ج٢ ص١٣٦ وفتح الباري ج١٢ ص١٢١ وعمدة القاري ج٢٣ ص٢٩٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٢٦٤ وإرشاد الساري ج٤ ص١٤ وج١٠ ص٩ عن البغوي، وأبي داود، والنسائي، وابن حبان، وفيض القدير للمناوي ج٤ ص٣٥٧ وصحيح البخاري (كتاب المحاربين: باب لا يرجم المجنون ولا المجنونة).


الفصل الرابع:
ست وفادات شخصية



١ـ وفادة أبي رزين لقيط بن عامر:

عن لقيط بن عامر قال: خرجت أنا وصاحبي نهيك بن عاصم [بن مالك بن المنتفق] (لانسلاخ رجب)[1] حتى قدمنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً، فقال: «يا أيها الناس، ألا إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام لتسمعوا الآن، ألا فهل من امرئ قد بعثه قومه فقالوا: اعلم لنا ما يقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟ ألا ثمّ رجل لعلَّه أن يلهيه حديث نفسه، أو حديث صاحبه، أو يلهيه ضال؟! ألا وإني مسؤول هل بلغت؟ ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا».

فجلس الناس، وقمت أنا وصاحبي، حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت: يا رسول الله، ما عندك من علم الغيب؟

---

(١) الإصابة ج٣ ص٥٧٩ و ٣٣٠، ومسند أحمد ج٤ ص١٣، والمستدرك للنيسابوري ج٤ ص٥٦٠، ومجمع الزوائد ج١٠ ص٣٣٨، وما روي في الحوض والكوثر للقرطبي ص١٥٣، و كتاب السنة لابن أبي عاصم ص٢٨٦، والمعجم الكبير للطبراني ج١٩ ص٢١١، وجزء بقي بن مخلد لابن بشكوال ص١٥٣، وأسد الغابة ج٥ ص٤٤، والإصابة ج٦ ص٣٧٦.

فضحك، فقال: «لعمر الله» وهز رأسه، وعلم أني أبتغي سقطه، فقال: «ضنَّ ربك عز وجل بمفاتيح خمسة من الغيب لا يعلمها إلا الله». وأشار بيده.

فقلت: وما هي يا رسول الله؟

فقال: «علم المنية، قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم ما في غد وما أنت طاعم غداً ولا تعلمه، وعلم المني حين يكون في الرحم قد علمه ولا تعلمونه، وعلم الغيث يشرف عليكم آزلين مسنتين، فيظل يضحك قد علم أن غوثكم قريب».

قال لقيط: قلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً يا رسول الله.

قال: «وعلم يوم الساعة».

قلت: يا رسول الله، إني سائلك عن حاجتي فلا تعجلني.

قال: «سل عما شئت».

قال: قلت يا رسول الله: علّمنا مما لا يعلم الناس، ومما تعلم، فإنَّا من قبيلٍ لا يصدقون تصديقنا أحداً، من مذحج التي تدنو إلينا، وخثعم التي توالينا، وعشيرتنا التي نحن منها.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ثم تلبثون ما لبثتم، يتوفى نبيكم ثم تبعث الصائحة، فلعمرو إلهك ما تدع على ظهرها من شيء إلا مات، والملائكة الذين مع ربك، فيصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض قد خلت عليه البلاد، فيرسل ربك السماء تهضب من عند العرش، فلعمرو إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل، ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تخلفه من قبل رأسه، فيستوي جالساً.

فيقول ربك: مهيم ـ لما كان فيه.

فيقول: يا رب، أمس اليوم، ولعهده بالحياة يحسبه حديث عهد بأهله».

فقلت: يا رسول الله، فكيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح، والبلى، والسباع؟

فقال: «أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، أشرقت على الأرض وهي مدرة بالية.

فقلت: لا تحيا هذه أبداً، ثم أرسل ربك عليها، فلم تلبث إلا أياماً حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة، ولعمرو إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض، فتخرجون من الأصواء، ومن مصارعكم، فتنظرون إليه وينظر إليكم».

قال: قلت: يا رسول الله، كيف ونحن ملء الأرض، وهو عز وجل شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟

قال: «أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله عز وجل: الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعة واحدة، [ولعمرو إلهك أقدر على أن يراكم وترونه من أن ترونهما ويريانكم] لا تضارون ـ وفي لفظ: لا تضامون ـ في رؤيتهما».

قلت: يا رسول الله، فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟

قال: «تعرضون عليه بادية له صفحاتكم، لا تخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم، فلعمرو إلهك ما تخطئ وجه أحد منكم قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء.

وأما الكافر فتنضحه، أو قال: فتحطمه بمثل الحمم الأسود.

ثم ينصرف نبيكم، ويتفرق على أثره الصالحون، فتسلكون جسراً من النار، فيطأ أحدكم الجمر، فيقول: حس.

فيقول ربك عز وجل: أوإنه! ألا فتطلعون على حوض نبيكم، لا يظمأ والله ناهله قط، فلعمر إلهك ما يبسط أحد منكم يده الا وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحداً».

قال: قلت يا رسول الله، فبم نبصر يومئذ؟

قال: «بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض، وواجهته الجبال».

قال: قلت: يا رسول الله، فبم نجزى من سيئاتنا وحسناتنا؟

قال: «الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها إلا أن يعفو».

قال: قلت: يا رسول الله، فما الجنة وما النار؟

قال: «لعمرو إلهك إن النار لها سبعة أبواب، ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً، وإن للجنة ثمانية أبواب، ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً».

قال: قلت: يا رسول الله، فعلام نطلع من الجنة؟

قال: «على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من خمر ما بها من صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وفاكهة، ولعمرو إلهك ما تعلمون، وخير من مثله معه أزواج مطهرة».

قال: قلت: يا رسول الله، أولنا فيها أزواج؟! أَوَمنهنّ صالحات؟

قال: «المصلحات للصالحين».

وفي لفظ: «الصالحات للصالحين، تلذّون بهن مثل لذاتكم في الدنيا،

ويلذذن بكم غير أن لا توالد».

قال لقيط: قلت: يا رسول الله، أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه؟

فلم يجبه النبي «صلى الله عليه وآله».

قال: قلت: يا رسول الله، علام أبايعك؟

قال: فبسط رسول الله «صلى الله عليه وآله» يده وقال: «على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وزيال الشرك، فلا تشرك بالله إلهاً غيره».

قال: فقلت: يا رسول الله، وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟

فقبض النبي «صلى الله عليه وآله» يده وظن أني أشترط عليه شيئاً لا يعطينيه.

قال: قلت: نحل منها حيث شئنا، ولا يجني على امرئ إلا نفسه؟

فبسط إليّ يده وقال: «ذلك لك، تحل حيث شئت ولا يجزي عنك إلا نفسك».

قال: فانصرفنا عنه. فقال: «ها إنّ ذين، ها إنّ ذين، من أتقى الناس في الأولى والآخرة».

فقال له كعب بن الخدارية، أحد بني بكر بن كلاب: من هم يا رسول الله؟

قال: «بنو المنتفق أهل ذلك منهم».

قال: فانصرفنا وأقبلت عليه، فقلت: يا رسول الله، هل لأحد ممن مضى من خير في جاهليتهم؟

فقال رجل من عرض قريش: والله إن أباك المنتفق لفي النار.

قال: فلكأنّه وقع حَرٌّ بين جلدة وجهي ولحمي مما قال لأبي، على

رؤوس الناس، فهممت أن أقول: وأبوك يا رسول الله؟ ثم إذا الأخرى أجمل، فقلت: يا رسول الله، وأهلك؟

قال: «وأهلي لعمرو الله، حيث ما أتيت على قبر عامري أو قُرشي أو دَوسي قل أرسلني إليك محمد، فأبشر بما يسوؤك تجر على وجهك وبطنك في النار».

قال: قلت: يا رسول الله، وما فعل بهم ذلك؟ وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا أياه، وكانوا يحسبون أنهم مصلحون.

قال «صلى الله عليه وآله»: «ذلك بأن الله تعالى بعث في آخر كل سبع أمم نبياً، فمن عصى نبيه كان من الضالين ومن أطاع نبيه كان من المهتدين».

مديح وتصحيح:

قال الصالحي الشامي:

رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد المسند، والطبراني.

وقال الحافظ أبو الحسن الهيثمي: أسنادها متصلة ورجالها ثقات. وإسناد الطبراني مرسل، عن عاصم بن لقيط.

وقال في زاد المعاد: «هذا حديث كبير جليل، تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه خرج من مشكاة النبوة، رواه أئمة السنة في كتبهم، وتلقوه بالقبول، وقابلوه بالتسليم والإنقياد، ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحد من رواته».

وسرد «ابن القيم» من رواه من الأئمة، منهم البيهقي في كتاب البعث[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٠٤ و ٤٠٦ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص٢٣٠ ـ ٢٣٣ عن أحمد، وابن معين، وخلق، والنسائي، وابن صاعد، =

ونقول:

قد تضمن الحديث المتقدم مواضع مكذوبة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ونحن نكتفي هنا بالإشارة إلى بعضها، وهي التالية:

تأكيد عقيدة التجسيم:

قد زعمت الرواية المتقدمة: أن الله عز وجل: «يظل يضحك قد علم أن غوثكم قريب.

قال لقيط: قلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً».

وقالت: «فيصبح ربك عز وجل يطوف في الأرض قد خلت عليه البلاد».

وقالت: «..فتخرجون من الأصواء، ومن مصارعكم، فتنظرون إليه، وينظر إليكم».

قال: قلت: «يا رسول الله، كيف ونحن ملء الأرض، وهو عز وجل شخص واحد، ينظر إلينا، وننظر إليه؟!

قال أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله عز وجل: الشمس والقمر آية منه صغيرة، ترونها ويريانكم ساعة واحدة، ولعمرو إلهك أقدر على أن يراكم وترونه من أن ترونها ويريانكم»

وقالت الرواية أيضاً: «فيأخذ ربكم عز وجل بيده غرفة من الماء، فينضح قبلكم».

= وأبي عوانة، والطبراني، وآخرين. وراجع: الإصابة ج٣ ص٣٣٠ وأشار إليه في ص٥٧٩ عن زوائد المسند، وابن شاهين، والطبراني.

تمحلات وتأويلات باردة:

وقد حاول هؤلاء: أن يبعدوا هذا النوع من الروايات عن دائرة التجسيم، فزعموا ـ كما قال في زاد المعاد في قوله «صلى الله عليه وآله»: «فيظل يضحك»، هذا من صفات أفعاله سبحانه وتعالى التي لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته كصفات ذاته، وقد وردت هذه القصة في أحاديث كثيرة لا سبيل إلى ردها، كما لا سبيل إلى تشبيهها وتحريفها، وكذلك قوله: «فأصبح ربك يطوف في الأرض»، هو من صفات أفعاله، كقوله تعالى: **﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾**[1]، وقوله تعالى: **﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾**[2]. وينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا [ويدنو عشية عرفة، فيباهي بأهل الموقف الملائكة]، والكلام في الجميع صراط واحد مستقيم، إثبات بلا تمثيل، وتشبيه وتنزيه بلا تحريف وتعطيل[3].

ومن الواضح: أن هذا كله من قبيل الضحك على اللحى، ونحن نوضح هنا هذا الأمر بعض التوضيح بقدر ما تسمح لنا به المناسبة، فنقول:

إن الحنابلة قد أثبتوا لله صفات وجدت الفرق الأخرى أنها قد أدت بالقائلين بها إلى إثبات صفة الجسمية له تعالى.. ويسمون أنفسهم صفاتية.

فأثبتوا لله تبارك وتعالى يداً، وإصبعاً، وساقين، وقدمين، وعينين، ونفساً، ونواجذ وما إلى ذلك مما وردت به أحاديثهم.. وقد أثبتوها له بما لها

---

(١) الآية ٢٢ من سورة الحجر.

(٢) الآية ١٥٨ من سورة الأنعام.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٣٣ وفي (ط دار الكتب العلمية) ج٦ ص٤٠٥.

من معان حقيقية.

وقالوا: إنه تعالى فوق عرشه في السماوات، وينزل إلى الأرض.

وقد جمع ابن خزيمة في كتابه: التوحيد وإثبات صفات الرب مئات من هذه الأحاديث، ثم اختار منها البيهقي الصحاح والحسان، وحاول تأويلها في كتابه: «الأسماء والصفات» بكثير من التكلف والتعسف. ولو أنه أقر بكذبها لكان أراح واستراح.

ويشير إلى كثرة أحاديث التجسيم، التي يسمونها أحاديث الصفات قول ابن تيمية: «وقد جمع علماء الحديث من المنقول في الإثبات، ما لا يحصي عدده إلا رب السماوات»[1]. وقد بلغ بهم تشددهم في هذه العقيدة، حداً جعلهم ينكرون المجاز، وأطلقوا عليه أنه طاغوت[2].

ولعل أصدق كلمة في التعبير عن واقع ومنحى هذه الأحاديث هو ما وصف به الفخر الرازي كتاب ابن خزيمة، فقد قال وهو يتحدث عن آية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]: «واعلم أن محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية في الكتاب الذي سماه: بـ«التوحيد»، وهو في الحقيقة كتاب الشرك، واعترض عليها، وأنا أذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات، لأنه كان رجلاً مضطرب الكلام، قليل الفهم، ناقص العقل»[4].

---

(١) مجموعة الرسائل ج١ ص١٩٨.

(٢) الرسائل السبعة (الضميمة الثالثة للإبانة) ص٣٦.

(٣) الآية ١١ من سورة الشورى.

(٤) تفسير الفخر الرازي ج٢٧ ص٥٠.

مصدر هذه العقيدة:

ولعل مما سهَّل تقبل الناس لعقيدة التجسيم: أنها كانت منسجمة مع عبادة الأصنام التي كانت شائعة في العرب، فهم وإن كانوا قد اصبحوا يعبدون الله، ولكنهم أعطوه نفس صفات أصنامهم.

يضاف إلى ذلك: أن هذه العقيدة كانت موجودة لدى أهل الكتاب. فالنصارى شبهوا المسيح بالله، وجعلوه الابن، وقالوا: إنه الأقنوم الثالث في الذات الإلهية. وكان في العرب نصارى، وفي الحيرة وفي الشام، وفي نجران[1].

واليهود الذين كانوا أكثر إغراقاً في التجسيم الإلهي، كانوا يقيمون في المدينة المنورة، أو قريباً منها مثل خيبر، وكان لهم وجود قوي في تيماء، وفي وادي القرى. وفي اليمن كان لهم ملوك. وكان العرب مبهورين بهم، خاضعين لهم ثقافياً، وكان لكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وأضرابهم تأثير في إشاعة ثقافة اليهود بواسطة فريق من الناس كانوا يأخذون منهم من دون أي تحفظ، مثل أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومقاتل وغيرهم..

وإذا استثنينا علياً وأهل البيت «عليهم السلام»، وكذلك شيعتهم، فسنجد أن الحكام بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد ساعدوا على ذلك، وكذلك الأمويون والعباسيون.

وأما علي «عليه السلام» «فخطبه في بيان نفي التشبيه (أي التجسيم)

---

(١) فجر الإسلام ص٢٦.

وفي إثبات العدل أكثر من أن تحصى»[1]. وعنه أخذ المعتزلة القول بالتنزيه.

وقد ذكرنا بعض ما يرتبط بهذا الأمر في الجزء الأول من هذا الكتاب.

الأشاعرة وعقيدة التجسيم:

وقد حاول الأشاعرة أن ينأوا بأنفسهم عن عقيدة الصفات (أعني إثبات الأعضاء والحركات) التي التزم بها أهل الحديث بزعامة أحمد بن حنبل، وقبله وبعده.. ولكنهم عادوا ليلتزموا بطرف منه، ووقعوا فيما هربوا منه، حين اثبتوا رؤية الله تعالى في الآخرة..

صفات الأفعال.. والتشبيه:

يبقى أن نشير إلى: أن ما زعمه ابن القيم من التفريق بين الأعضاء، وبين الحركات والأفعال، فقال: إن التجسيم إنما هو فيما كان من قبيل الأول، أما الثاني، فليس منه، ما هو إلا محاولة فاشلة:

أولاً: لأنهم إنما يثبتون له تعالى حركة تلازم صفة الجسمية من حيث كونها حركة له، ولأجل ذلك قال ابن تيمية: إنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كما ينزل هو عن المنبر، ثم نزل ابن تيمية عن منبره[2]. أو أنه تعالى بعد نفخ

---

(١) فضل الإعتزال ص١٦٣.

(٢) راجع: رحلة ابن بطوطة ص٩٠ و (ط أخرى) ج١ ص٥٧ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص٦٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٣ و ٤٢ و ٥٧ عن ابن بطوطة، والقول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع للأصبهاني ص١٤٣ وكشف الإرتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب للسيد محسن الأمين ص٣٨٢ وصفات الله عند =

الصور يطوف في الأرض، قد خلت عليه البلاد[1].

ثانياً: إن الرواية قد تضمنت رؤية الناس لربهم ورؤيته لهم حين يخرجون من مصارعهم حين ينفخ في الصور.

ومن الواضح: أن نظرهم إلى ربهم لابد أن يكون على نحو الحقيقة، كنظره تعالى إليهم، وذلك لا يكون إلا إذا كان في مكانٍ وجهة بعينها، وكان جسماً أيضاً، تماماً كما هو الحال بالنسبة لإشراق الشمس والقمر علينا، ورؤيتنا لهما. حسبما أوضحته الرواية نفسها.

كما أنها قد تضمنت: أن الله سبحانه وتعالى يأخذ بيده غرفة من الماء، فينضح بها قبلكم، ثم هي قد تحدثت عن ضحك الله عز وجل..

وهما حركتان جسمانيتان بالدرجة الأولى، ولا مجال لدفع ظهور الكلام في ذلك إلا بالإلتزام بالمجازات البعيدة، والتأويلات السخيفة الأخرى لكلمة «اليد»، و «غرفة الماء»، و «الضحك» وما إلى ذلك..

= المسلمين لحسين العايش ص٣١ عن علاقة الإثبات والتفويض ص٨٦ و ٨٧ وابن تيمية في صورته الحقيقية لصائب عبد الحميد ص١٨ عن رحلة ابن بطوطة ص٩٥ والدرر الكامنة ج١ ص١٥٤.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٠٤ والفايق في غريب الحديث للزمخشري ج٣ ص٤٠١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٥٧ والدر المنثور ج٦ ص٢٩٣ والبداية والنهاية ج٥ ص٩٥ وكتاب السنة لابن عاصم ص٢٨٧ وتفسير الآلوسي ج١٥ ص١٤٢ وغريب الحديث لابن قتيبة ج١ ص٢٢٨.

قِدَم الصفات:

وقال الصالحي الشامي، تعليقاً على قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «فلعمرو إلهك»، هو قسم بحياة الله تعالى، وفيه دليل على جواز الإقسام بصفاته، وانعقاد اليمين بها، وأنها قديمة، وأنه يطلق عليه منها أسماء المصادر، ويوصف بها، وذلك قدر زائد على مجرد الأسماء، وأن الأسماء الحسنى مشتقة من هذه المصادر دالة عليها[1].

ونقول:

إننا لانريد أن نناقش في صحة جميع الفقرات التي أوردها، غير أننا نكتفي بالقول: إن ما زعمه من قدم صفاته تعالى، إذا انضم إلى ما يزعمونه من أن الصفات زائدة على ذاته تعالى. ثم ما يحتمه ذلك عليهم من الإلتزام بتعدد القديم ـ إن ذلك ـ يجعلنا نستذكر قول الفخر الرازي: «النصارى كفروا لأنهم أثبتوا ثلاثة قدماء، وأصحابنا قد أثبتوا تسعة»[2].

بنو المنتفق من اتقى الناس:

وبعد.. فقد تضمنت الرواية الآنفة الذكر: أن بني المنتفق من أتقى الناس في الأولى، والآخرة..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٠٧.

(٢) نهج الحق (مطبوع ضمن دلائل الصدق) ج١ ص١٦٢، وشرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ج١ ص ٢٣٢ نقلاً عن فخر الدين الرازي.

ونقول:

أولاً: لا ندري لماذا صار بنو المنتفق من أتقى الناس في الأولى والآخرة، ولم يكن بنو هاشم أو أية قبيلة أخرى بهذا المستوى؟!

على أننا لم نجد في هذه القبيلة من هو في مستوى سلمان، أو أبي ذر، أو المقداد، أو عمار، أو أبي الهيثم بن التيهان، أو قيس بن سعد، وغيرهم؟!..

كما أنه لم يشتهر أحد من بني المنتفق بهذه الخصوصية ـ أعني خصوصية التقوى ـ حتى بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بحيث يكون متميزاً على من عداه فيها؟!

ثانياً: لم نفهم المقصود بالأولى والآخرة في قوله «صلى الله عليه وآله»: «من اتقى الناس في الأولى والآخرة..».

فإن كان المقصود بالأولى: الدنيا.. وبالآخرة: الحياة الباقية يوم القيامة.. فما معنى أن يصفهم بالتقوى في الآخرة، مع أنه لا تكليف فيها، لتتحقق فيها الطاعة تارة، والمعصية أخرى؟!

وإن كان المقصود بالأولى: الجاهلية.. وبالآخرة: الإسلام.. فلماذا يكون هؤلاء المشركون من أتقى الناس، ولا يكون بنو هاشم هم الأتقى من كل أحد، فإن بني هاشم كانوا على دين الحنفية، بل كان فيهم الأنبياء والأوصياء، وفقاً للحديث: ما زال الله ينقله من نبي إلى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه عبد الله[1].

---

(١) راجع: الخصال للصدوق ص٤٨٣ ومعاني الأخبار ص٣٠٨ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج٣ ص٩٣ والبحار ج١٥ ص٥ وشجرة طوبى ج٢ ص٢١٠ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٦٨، وراجع: فتوح الشام للواقدي ج٢ ص٢٣.

والحديث في أن عبد المطلب يحشر وعليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك[1]، وأنه كان حجة، وأنه من أوصياء إبراهيم «عليه السلام»[2]، والحديث عن أن أبا طالب كان من الأوصياء، وأن وصايا عيسى «عليه السلام» قد تناهت إليه[3]، وغير ذلك كثير.

ولا نعرف لبني المنتفق شيئاً من ذلك..

ثالثاً: إذا كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرر أن بني المنتفق من أتقى الناس.. فلا يجوز إيذاؤهم بذكر أمواتهم، ولا السكوت عن هذا الإيذاء، فما معنى أن يقول ذلك القرشي: إن المنتفق في النار؟!.. حيث لم يعترض عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنه ليس له أن يقول هذا، لأن ذلك يؤذي الأحياء، وقد نهى «صلى الله عليه وآله» عن مثله.. حسبما

---

(١) راجع: الكافي ج١ ص٤٤٧ وشرح أصول الكافي ج٧ ص١٧١ والبحار ج١٥ ص١٥٧ وج٣٥ ص١٥٦ وج١٠٨ ص٢٠٥ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج١٢ ص٩٢ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج١٤ ص٦٨ والحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب لفخار بن معد الموسوي ص٥٦ وموسوعة التاريخ الإسلامي لليوسفي ج١ ص٢٤٢ والدر النظيم لابن حاتم العاملي ص٤٠ و ٧٩٧ عن كتاب مدينة العلم.

(٢) راجع: الإعتقادات في دين الإمامية للصدوق (طبع المطبعة العلمية، قم سنة ١٤١٢هـ) ص٨٥ و (ط دار المفيد) ص١١٠ والبحار ج١٥ ص١١٧ وج١٧ ص١٤٢ وج٣٥ ص١٣٨ والخصائص الفاطمية للكجوري ج٢ ص٦٢ ومكيال المكارم ج١ ص٣٦٩، والغدير ج٧ ص٣٨٥.

(٣) راجع: المحاسن للبرقي ج١ ص٢٣٥ والبحار ج١٧ ص١٤٢ والغدير ج٧ ص٣٨٥ ونفس الرحمن للطبرسي ص٥١ وإيمان أبي طالب للأميني ص٧٦.

قدمناه في الجزء الثاني من هذا الكتاب..

٢ـ قدوم الجارود بن المعلى، وسلمة بن عياض:

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: قدم الجارود العبدي على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومعه سلمة بن عياض الأسدي، وكان حليفاً له في الجاهلية. وذلك أن الجارود قال لسلمة: إن خارجاً خرج بتهامة يزعم أنه نبي، فهل لك أن نخرج إليه؟ فإن رأينا خيراً دخلنا فيه، فإنه إن كان نبياً فللسابق إليه فضيلة، وأنا أرجو أن يكون النبي الذي بشَّر به عيسى بن مريم.

وكان الجارود نصرانياً قد قرأ الكتب.

ثم قال لسلمة: «ليضمر كل واحد منا ثلاث مسائل يسأله عنها، لا يخبر بها صاحبه، فلعمري لئن أخبر بها إنه لنبي يوحى إليه».

ففعلا. فلما قدما على رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال له الجارود: بم بعثك ربك يا محمد؟

قال: «بشهادة ألا إله إلا الله، وأني عبد الله ورسوله، والبراءة من كل ند أو وثن يعبد من دون الله تعالى، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة بحقها، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾**[1]».

قال الجارود: إن كنت يا محمد نبياً فأخبرنا عما أضمرنا عليه.

فخفق رسول الله «صلى الله عليه وآله» كأنها سنة ثم رفع رأسه، وتحدر

---

(١) الآية ٤٦ من سورة فصلت.

العرق عنه، فقال: «أما أنت يا جارود فإنك أضمرت على أن تسألني عن دماء الجاهلية، وعن حلف الجاهلية، وعن المنيحة، ألا وإن دم الجاهلية موضوع، وحلفها مشدود. ولم يزدها الإسلام إلا شدة، ولا حلف في الإسلام، ألا وإن الفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر دابة أو لبن شاة، فإنها تغدو برفد، وتروح بمثله.

وأما أنت يا سلمة، فإنك أضمرت على أن تسألني عن عبادة الأصنام، وعن يوم السباسب، وعن عقل الهجين، فأما عبادة الأصنام فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[1].

وأما يوم السباسب، فقد أعقب الله تعالى منه ليلة بلجة سمحة، لا ريح فيها، تطلع الشمس في صبيحتها، لا شعاع لها.

وأما عقل الهجين، فإن المؤمنين إخوة تتكافأ دماؤهم، يجير أقصاهم على أدناهم، أكرمهم عند الله أتقاهم».

فقالا: نشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبد الله ورسوله.

وعند ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن الحسن: أن الجارود لما انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كلمه، فعرض عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» الإسلام، ورغَّبه فيه.

فقال: يا محمد، إني كنت على دين، وإني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نعم أنا ضامن أن قد هداك

---

(١) الآية ٩٨ من سورة الأنبياء.

الله إلى ما هو خير منه». فأسلم وأسلم أصحابه.

ثم سأل رسول الله «صلى الله عليه وآله» الحملان، فقال: «والله ما عندي ما أحملكم عليه».

فقال: يا رسول الله، فإن بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس ـ وفي لفظ المسلمين ـ أفنتبلغ عليها إلى بلادنا؟

قال: «لا، إياك و إياها، فإنما تلك حرق النار»..

زاد في نص آخر: فقال: «يا رسول الله، ادع لنا أن يجمع الله قومنا».

فقال: «اللهم اجمع لهم أُلفة قومهم، وبارك لهم في برهم وبحرهم».

فقال الجارود: يا رسول الله، أي المال أتَّخِذ ببلادي؟

قال: «وما بلادك»؟

قال: مأواها وعاء، ونبتها شفا، وريحها صبا، ونخلها غواد.

قال: «عليك بالإبل، فإنها حمولة، والحمل يكون عدداً. والناقة ذوداً».

قال سلمة: يا رسول الله، أي المال أتَّخِذ ببلادي؟

قال: «وما بلادك»؟

قال: مأوا ها سباح، ونخلها صراح، وتلاعها فياح.

قال: «عليكم بالغنم، فإن ألبانها سجل، وأصوافها أثاث، وأولادها بركة، ولك الأكيلة والربا».

فانصرفا إلى قومهما مسلمين.

وعند ابن إسحاق: فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه، وكان حسن الإسلام، صليباً على دينه حتى مات، ولما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينه الأول مع الغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر، قام

الجارود فشهد شهادة الحق، ودعا إلى الإسلام، فقال: أيها الناس، إني أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأُكَفِّر من لم يشهد.

وقال الجارود:

شهدت بأن الله حق (وإنما) ... بنات فؤادي بالشهادة والنهض
فأبلغ رسول الله عني رسالة ... بأني حنيف حيث كنت من الأرض
وأنت أمين الله في كل خلقه ... على الوحي من بين القضيضة والقض
فإن لم تكن داري بيثرب فيكم ... فإني لكم عند الإقامة والخفض
أصالح من صالحت من ذي عداوة ... وأبغض من أمس على بغضكم بغضي
وأدني الذي واليته وأحبه ... وإن كان في فيه العلاقم من بغض
أذب بسيفي عنكم وأحبكم ... إذا ما عدوكم في الرفاق وفي النقض
واجعل نفسي دون كل ملمة ... لكم جُنَّة من دون عرضكم عرضي

وقال سلمة بن عياض الأسدي:

رأيتك يا خير البرية كلها ... نشرت كتاباً جاء بالحق معلما
شرعت لنا فيه الهدى بعد جورنا ... عن الحق لما أصبح الامر مظلما
فنورت بالقرآن ظلمات حندس ... وأطفأت نار الكفر لما تضرما
تعالى علو الله فوق سمائه ... وكان مكان الله أعلى وأكرما

وعن عبد الله بن عباس: أن الجارود أنشد رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين قدم عليه في قومه:

يا نبي الهدى أتتك رجال ... قطعت فدفداً وآلاً فآلا

وطوت نحوك الصحاصح طراً   لا تخـــال الكـــلال فيـه كـلالا
كل دهناء يقصر الطـرف عنهـا   أرقـلـتـهـــا قـلاصنـــاً إرقـــالا
وطوتهـــا الجيـاد تجمح فـيـهـا   بـكـــماة كـــأنـــجـــم تـتـــلالا
تبتغي دفـع بُـؤس يـوم عبـوس   أوجـل الـقـلـب ذكـره ثـم هالا[1]

وقع في العيون: الجارود بن بشر بن المعلى. قال في النور: والصواب: حذف [ابن] يبقى الجارود بشر بن المعلى[2].

إقتراح المعجزة:

والذي نريد لفت النظر إليه في هذه القصة هو: أن المعجزة الخالدة لنبينا الأكرم «صلى الله عليه وآله» هي القرآن الكريم.

كما أن من المعلوم: أنه «صلى الله عليه وآله» بتوجيه من الله تعالى، لم يكن يستجيب لمطالب المشركين التعجيزية. وقد صرح القرآن بذلك، مستدلاً على صحة هذا الموقف بأنه «صلى الله عليه وآله» بشر رسول..

قال تعالى: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٠٣ ـ ٣٠٥ وراجع: الإصابة ج١ ص٢١٦ و ٢١٧، والبحار ج١٨ ص٢٩٤ وج٢٦ ص٢٩٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٠٥.

عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾[1].

ولكننا نراه «صلى الله عليه وآله» يستجيب هنا لما يطلبه الجارود العبدي، وسلمة بن عياض من إخبارهما بما نوياه. فلماذا يستجيب هنا، ويكون لابد من رفض الإستجابة هناك، وفقاً للتوجيه الإلهي؟!

ويمكن أن يجاب: بأن طلبات المشركين التي تحدثت الآيات عنها كانت تهدف إلى الإستفادة من تلبيتها في تضليل الناس، لأن المشركين سيضعونها في سياق إثبات ما يدَّعونه من ضرورة أن يكون الأنبياء من سنخ آخر غير سنخ البشر، وأن البشرية لا تتلاءم مع النبوة، أو في سياق اتهامه «صلى الله عليه وآله» بالسحر والكهانة.

وهذا يوضح لنا سبب أمر الله تعالى نبيه «صلى الله عليه وآله» بأن يقول لهم: ﴿..قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾؟!

ويؤيد ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[2].

ويلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» حين لا يستجيب لطلبهم هذا يوضح للناس: أن هدفهم هو مجرد التعجيز، وليس لديهم نية الإنصياع لمقتضاه لو استجيب لهم، لأن المطلوب إن كان هو رؤية المعجزة، فإن نفس هذا القرآن متضمن لها، فقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ

---

(١) الآيات ٩١ ـ ٩٣ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٧ من سورة الأنعام.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١].

أي أنهم لو رجعوا إلى عقولهم لوجدوا في هذا القرآن ما يدفع عنهم أية شبهة، ويزيل كل ريب ولزالت جميع المبررات لطلباتهم التعجيزية، لو كانوا يريدون أن يجدوا ما يحتم عليهم الإيمان، ويدعوهم إلى البخوع للحق.. كما أنه «صلى الله عليه وآله» قد أظهر لهم من المعجزات ما لا يقل عما يطلبونه منه، فلماذا لم يؤمنوا؟

والخلاصة: أنه لا مجال لأن يستجيب لطلبهم حين تسهم استجابته هذه في تكريس مفهوم خاطئ عن طبيعة النبي والنبوة، أو إذا كان يمكّنهم من التأثير السلبي على بعض السذج أو الغافلين الذين قد لا يتيسر إخراجهم من غفلتهم بسبب عدم إمكان الوصول إليهم، أو لأي سبب آخر، فتستحكم الشبهة لديهم، ويؤدي بهم ذلك إلى الإغراق في الضلال، أو الخروج عن دائرة الإستقامة على طريق الحق والهدى بالكلية.

والأهم من ذلك هو: أن الطلب الذي رُفض، قد تضمن أموراً كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد فعلها، وتحدث القرآن عن بعضها، مثل قضية المعراج إلى السماوات.. كما أنه «صلى الله عليه وآله» وكذلك الأئمة الطاهرون «عليهم السلام» قد فجروا الينابيع، وشق الله القمر لهم نصفين، وردَّ الشمس لعلي «عليه السلام» إلى غير ذلك مما صنعه «صلى الله عليه وآله»، وكذلك صنعه للأنبياء «عليهم السلام» من قبله..

ولكن ما صنعه «صلى الله عليه وآله» من معجزات، منه ما كان بمبادرة

---

(١) الآية ١٠ من سورة الأنبياء.

منه «صلى الله عليه وآله» لمصلحة اقتضت ذلك، ولم يقترحه الناس عليه، ومنه ما كان استجابة لطلب بعض الناس، بهدف تحصيل اليقين بالنبوة..

وربما يكون قد ظهر للنبي «صلى الله عليه وآله»: أن طالب المعجزة كان غير قادر على إدراك إعجاز المعجزة الكبرى الخالدة، وهي القرآن لسبب أو لآخر..

وربما يكون قد ساعد على ذلك طبيعة المطلوب، وحجمه ومداه، فإنهم إنما طلبوا منه أن يخبرهم بما أضمروه لا أكثر.. ولو أنهم كانوا بصدد الجحود والكيد له، لادَّعوا أنهم قد أضمروا غير ما أخبرهم به.

حلف الجاهلية مشدود، ولا حلف في الإسلام:

وقد تقدم: أن حلف الجاهلية مشدود، وأنه لا حلف في الإسلام، ولعلنا قد أشرنا في ثنايا هذا الكتاب إلى أن حلف الجاهلية المشدود هو الحلف القائم على دفع الظلم، وعلى التناصر في الحق، ومواجهة وصد من يريد التعدي، ويسعى في الفساد والإفساد..

ولا يصح أن يتحالف المسلم مع مسلم آخر ضد مسلم ثالث.. لأن الإسلام يمنع من الظلم، و ﴿**يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ**﴾[1]، لأن هذه الآية توجب التناصر ضد الظلم، فيرتفع بذلك موضوع التحالف، إذا كان المراد به التحالف على ظلم الآخرين، والعدوان والبغي عليهم.

---

(١) الآية ٩٠ من سورة النحل.

ليلة القدر في الإسلام:

وقد وصفت الرواية المتقدمة ليلة القدر بأنها: «ليلة بلجة سمحة، لا ريح فيها، تطلع الشمس في صبيحتها، لا شعاع لها..».

غير أن هذا الوصف لا يتطابق مع المروي عن الأئمة الطاهرين من أهل البيت «عليهم السلام»، فقد روى محمد بن مسلم عن أحدهما ـ الباقر أو الصادق «عليهما السلام» ـ قال: «علامتها أن يطيب ريحها، وإن كانت في بردٍ دفئت، وإن كانت في حرٍ بردت، فطابت الخ..»[1].

فإن مفاد هذه الرواية: أن في ليلة القدر ريحاً، ولكنه طيب.

وأما أنها بلجة أو سمحة أو أن الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها، فلم نجده فيما بين أيدينا من روايات عن أهل البيت «عليهم السلام»..

يضاف إلى ذلك: أن المشاهدة المستمرة عبر السنين المتطاولة لليالي شهر رمضان لا تؤيد هذه الأوصاف، ولا سيما فيما يرتبط بالشمس وشعاعها،

---

(١) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٠ ص٣٥٠ و (ط دار الإسلامية) ج٧ ص٢٥٦، والكافي ج٤ ص١٥٧ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص١٠٢، ومنتهى المطلب (ط.ق) للعلامة الحلي ج٢ ص٦٢٦، ومشارق الشموس (ط.ق) للمحقق الخوانساري ج٢ ص٤٤٦، والحدائق الناضرة للبحراني ج١٣ ص٤٤٠، ودعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي ج١ ص٢٨١، ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج٢ ص١٥٩، ومستدرك الوسائل ج٧ ص٤٦٨، وإقبال الأعمال للسيد ابن طاووس ج١ ص١٥٢، والبحار ج٩٤ ص٩، والتفسير الصافي للفيض الكاشاني ج٥ ص٣٥٢ وج٧ ص٥٢١، و تفسير نور الثقلين ج٥ ص٦٢٣، ومنتقى الجمان لصاحب المعالم ج٢ ص٥٧٠.

فإنها لا تكون ذات شعاع في مختلف الأيام التي تكون ليلتها في محتملات ليلة القدر..

فضلاً عن يوم السابع والعشرين من شهر رمضان، فإنه أيضاً لا يختلف عن سائر الأيام في ذلك..

كفاه ضمان رسول الله ﷺ:

وإنه لمن الأمور الهامة جداً أن نقرأ عن الجارود العبدي: أنه يرضى بترك دينه، والدخول في دين آخر اعتماداً على ضمان رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه..

والأهم من ذلك: أنه انتقل إلى دينٍ يدعو إليه نفس الشخص الضامن، ويقدم نفسه للناس على أنه النبي له مع العلم بأن الجارود العبدي لم يكن إنساناً مغفلاً، ولا طائشاً، فإنه كان سيد قبيلة عبد القيس[1]، وسادة القبائل يكونون عادة أكثر وعياً ونباهة من غيرهم..

وهذه القضية إن دلت على شيء فهي تدل على مدى قبول الناس لشخص رسول «صلى الله عليه وآله» من خلال ما عرفوه عنه، وما لمسوه فيه من ميزات إنسانية، ومن صدق والتزام واستقامة على طريق الحق والخير.

وتبقى استفادات أخرى من النص المتقدم نصرف النظر عن ذكرها، فقد تقدم منا بعض ما يشير إليها. ومن ذلك ما نلاحظه من أن الجارود يسأل النبي «صلى الله عليه وآله» عن أي مال يتخذه ببلاده، أي أنه يرى أن

---

(١) الإصابة ج١ ص٢١٦، وإكمال الكمال لابن ماكولا ج٦ ص١٣٤، وتهذيب التهذيب ج٢ ص٤٧، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٢٣٨.

المفروض بالنبي «صلى الله عليه وآله» أن يكون عالماً بمثل هذه الأمور أيضاً، ويستجيب «صلى الله عليه وآله» له على النحو المذكور، ولم يقل له: إن ذلك ليس من اختصاصي.. فراجع.

٣ـ وفادة الحارث بن حسان:

عن الحارث بن حسان البكري قال: خرجت أشكو العلاء الحضرمي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فمررت بالربذة، فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها، فقالت: يا عبد الله، إن لي إلى رسول الله حاجة، فهل أنت مبلغي إليه؟

قال: فحملتها، فأتيت المدينة، فإذا المسجد غاص بأهله، وإذا راية سوداء تخفق، وبلال متقلد السيف بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقلت: ما شأن الناس؟

قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهاً.

قال: فجلست، فدخل منزله، فاستأذنت عليه، فأذن لي. فدخلت فسلمت، فقال: «هل كان بينكم وبين تميم شيء»؟

قلت: نعم، وكانت الدائرة عليهم، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها، فسألتني أن أحملها إليك، وها هي بالباب.

فأذن لها فدخلت.

فقلت: يا رسول الله، إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزاً، فاجعل الدهناء.

فحميت العجوز واستوفزت، وقالت: يا رسول الله، أين يضطر مضرك؟

قال الحارث: قلت: إن مثلي ما قال الأول: معزى حملت حتفها، حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصماً، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد.

قالت هي: وما وافد عاد؟ وهي أعلم بالحديث منه، ولكن تستطعمه.

قلت: إن عاداً قحطوا فبعثوا وافدا لهم. فمر بمعاوية بن بكر. فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر، وتغنيه جاريتان يقال لهما: الجرادتان.

فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مهرة فقال: اللهم إنك تعلم (أني) لم أجئ إلى مريض فأداويه، ولا إلى أسير فأفاديه، اللهم اسق ما كنت تسقيه. فمرت به سحابات سود، فنودي منها: اختر، فأومأ إلى سحابة منها سوداء، فنودي منها: خذها رماداً رمدداً، لا تبق من عاد أحداً.

قال: فما بلغني أنه أرسل عليهم من ريح إلا بقدر ما يجري في خاتمي هذا حتى هلكوا.

قال أبو وائل: وكانت المرأة أو الرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا: لا يكن كوافد عاد[1].

ونقول:

الشكوى من العمال:

قد أظهر هذا النص: كيف أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد فتح أمام الناس أبواب الشكوى من عماله. وهذا أمر هام وحساس للغاية، لأنه مما تقتضيه سنة الإنصاف والعدل، وتوجبه مسؤولية حفظ وصيانة الشأن

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٨ و ٣١٩ عن أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص٩٩.

العام من أي تعدٍ وإفساد، لأن الفساد آفة الدول، ومن موجبات وهنها وسقوطها..

وأما استياء العمال من الشاكين، فهو لا يضر مادام أنه بلا مبرر، وغاية ما يحدثه من أثر هو إفساد علاقتهم ببعض الأفراد، ويقابل ذلك منافع عظمى تبدأ بحفظ أولئك العمال أنفسهم من الإساءة والخطأ، وتنتهي بحفظ الدولة والرعية من الظلم والفساد..

الراية السوداء:

إن الراية التي رآها الحارث بن حسان كانت سوداء، وقد ذكرنا: أن الراية السوداء كانت ترفع حين تكون الحرب مع الكافرين والمشركين..

الإهتمام بأخبار الفئات:

إنه «صلى الله عليه وآله» لم يمهل الحارث حتى يفصح له عن حاجته، بل هو قد بادره بالسؤال عن حالهم مع بني تميم، إن كان قد حصل شيء بين الفريقين، وهذا يفصح عن شدة اهتمام رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمتابعة ما يجري بين الفئات المختلفة، وهو يعرِّف الناس: أنه معنيٌّ جداً بما جرى..

حياد النبي ﷺ:

ويلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يتدخل بين تلك التميمية وبين الحارث بن حسان.. بل اكتفى بالسماع.. ربما لأنه رأى أن ثمة تكافؤاً في الحوار فيما بينهما.. وأن العجوز لم تظلم الحارث حين اعترضت عليه،

لأنها رأت أن جعل الدهناء هي الحاجز بين الفريقين مضر بحال قومها، ربما لأنه يمنعهم من الوصول إلى مواضع يحتاجون إلى الوصول إليها..

ولعلها قد لاحظت أيضاً: أنه بصدد التشفي بقومها حين أضاف بلا مبرر ظاهر قوله: «وكانت الدائرة عليهم»، حيث لم يسأله النبي «صلى الله عليه وآله» عن نتيجة ما جرى، بل سأله عن أصل حدوث شيء..

كما أنه «صلى الله عليه وآله» لم يلاحظ: أن لدى الحارث نوايا سيئة وراء طلبه هذا، فهو إنما أراد أن يحجز بين الفريقين ليحقن الدماء، ولم يكن يقصد الإضرار بتميم فيما يرتبط بمعاشها، أو في حريتها بالتنقل والتقلب في البلاد المختلفة للتجارة أو لسواها..

٤ـ وفود جهينة:

عن أبي عبد الرحمن المدنيّ قال: لما قدم النبي «صلى الله عليه وآله» المدينة وفد إليه عبد العُزَّى بن بدر الجُهَنِيّ، من بني الرَّبعة بن زيدان بن قيس بن جهينة، ومعه أخوه لأمه أبو روعة، وهو ابن عمٍّ له. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعبد العُزَّى: «أنت عبد الله».

ولأبي روعة: «أنت رُعْت العدو إن شاء الله».

وقال: «من أنتم»؟.

قالوا: «بنو غيّان».

قال: «أنتم بنو رشدان». وكان اسم واديهم غَوى، فسمّاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ رُشداً ـ وقال لجبلي جهينة: «الأشعر والأجرد: هما من جبال الجنة، لا تطؤهما فتنة». وأعطى اللواء يوم الفتح عبد الله بن بدر،

وخط لهم مسجدهم، وهو أول مسجد خط بالمدينة[1].

وقال عمرو بن مرة الجهني: كان لنا صنم وكنا نعظمه وكنت سادنه، فلما سمعت برسول الله «صلى الله عليه وآله» كسرته وخرجت حتى أقدم المدينة على النبي «صلى الله عليه وآله»، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وآمنت بما جاء به من حلال وحرام، فذلك حين أقول:

شهدت بأن الله حق وأنني ... لآلهة الأحجار أول تارك

وشمرت عن ساق الأزار مهاجراً ... إليك أجوب الوعث بعد الدكادك

لأصحب خير الناس نفساً ووالداً ... رسول مليك الناس فوق الحبائك

قال: ثم بعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فأجابوه إلا رجلاً واحداً، رد عليه قوله، فدعا عليه عمرو بن مرة فسقط فوه فما كان يقدر على الكلام، وعمي، واحتاج[2].

وعن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «جهينة مني وأنا منهم، غضبوا لغضبي ورضوا لرضائي، أغضب لغضبهم. من أغضبهم فقد أغضبني، ومن أغضبني فقد أغضب الله»[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٦ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى ج١ ص٣٣٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٦ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٣٣ و ٣٣٤، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص٣٤٣، والبداية والنهاية ج٢ في حاشية ص٣٩٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٦ وفي هامشه عن: المعجم الكبير للطبراني ج١٨ ص١٠٨ وج١٩ ص٣١٧، ومجمع الزوائد ج٨ ص٤٨، ومجمع الزوائد ج١٠ ص٤٨، والآحاد والمثاني للضحاك ج٥ ص٣٠، وكنز العمال ج١٢ ص٦٣.

ونقول:

قد تكلمنا في أكثر من مرة عن موضوع تغيير الأسماء، وأشرنا إلى تأثيراتها على الروح والنفس، فلا حاجة إلى الإعادة، غير أننا نشير هنا إلى الأمور التالية:

الأشعر والأجرد من جبال الجنة:

إذا صح أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال عن جبلي جهينة الأشعر والأجرد: «إنهما من جبال الجنة»، فالمفروض أن يصبحا مزاراً للناس للتبرك بهما، أو رؤيتهما، والتقرب إلى الله بالصلاة والدعاء عليهما، تماماً كما كانوا يقصدون ما بين قبره «صلى الله عليه وآله» ومنبره لأجل ذلك، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة»[1]. مع أن هذين الجبلين لا يعرفان،

---

(١) معاني الأخبار ص٢٦٧ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٥٦٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٤ ص٣٤٥ و ٣٦٩ و (ط دار الإسلامية) ج١٠ ص٢٧٠ و ٢٨٨ و ٢٨٩ والمزار لابن المشهدي ص٧٦ والبحار ج٩٧ ص١٩٢ وجامع أحاديث الشيعة ج١٢ ص٢٤٣ و ٢٥٥ و ٢٦١ وقاموس الرجال للتستري ج١٢ ص٣٣٣ وشفاء السقام للسبكي ص٢٨٨ وتطهير الفؤاد لمحمد بخيت المطيعي ص٣ و ١٣٢ وفي عمدة القاري ج٧ ص٢٦٢ و ٢٦٣ نزعة من نزع الجنة، وراجع: مسند أحمد ج٢ ص٤١٢ و ٥٣٤ ومجمع الزوائد ج٤ ص٩ وتأويل مختلف الحديث ص١١٣ ومسند أبي يعلى ج١ ص١٠٩ وج٣ ص٣٢٠ و ٤٦٢ التمهيد لابن عبد البر ج١٧ ص١٧٩ وكنز العمال ج١٢ ص٢٦٠ و ٢٦١ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٦١٩.

ويضطرب الناس في تحديد موقعهما..

مسجد جهينة:

أما دعوى: أن وفادة جهينة على النبي «صلى الله عليه وآله» كانت في أول الهجرة، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد خط لهم مسجدهم، فكان أول مسجد خط في المدينة[1]. فلا نكاد نطمئن لها، لأننا نستبعد وفادة أيٍ من القبائل في هذا الوقت المبكر جداً.

ولأننا لا ندري إن كانت جهينة تسكن في داخل المدينة، لتحتاج إلى مسجد، يخطه لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أم أنها كانت بالقرب منها هي ومزينة، وأسلم وغفار.

أما إن كان المقصود: أنه «صلى الله عليه وآله» اختط لهم مسجداً في منطقتهم خارج المدينة، فلا يكون مسجدهم أول مسجد اختطه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن مسجد قباء كان هو الأسبق في ذلك.

يرضى الله لرضا جهينة، ويغضب لغضبها:

تقدم ثناء النبي «صلى الله عليه وآله» على جهينة بقوله: «جهينة مني وأنا منهم، غضبوا لغضبي ورضوا لرضائي، أغضب لغضبهم. من أغضبهم فقد أغضبني، ومن أغضبني فقد أغضب الله».

وتقدم أيضاً: ثناؤه «صلى الله عليه وآله» على جبلي جهينة: الأشعر

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣١٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٣٣ ومحاضرة الأوائل ص٩٤ عن أوائل السيوطي.

والأجرد، وأنهما من جبال الجنة، لا تطؤهما فتنة..

ونقول:

إننا لا نرتاب في أن ذلك مكذوب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وذلك لما يلي:

أولاً: إن جهينة ـ كما صرح به عكرمة ـ كانت من قبائل النفاق التي تسكن بالقرب من المدينة، كما قال عكرمة في تفسير قوله تعالى: **﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾**[1]. قال: هم جهينة ومزينة، وأسلم وغفار[2].

ثانياً: إن هذا الحديث يدل على عصمة جهينة، لأن من يغضب الله ورسوله لغضبهم، يجب أن يكونوا معصومين في جميع أحوالهم، لأن من يفعل المنكر ويترك المعروف، لا بد أن ينهاه الآخرون عن المنكر، وأن يأمروه بالمعروف، حتى لو غضب من ذلك، ومن يكون كذلك فلا يغضب الله لغضبه، إلا أن يكون الله سبحانه يرضى بفعل المنكر وترك المعروف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً..

ثالثاً: إن ظاهر قوله: «غضبوا لغضبي»: أن جهينة قد غضبت لغضب النبي «صلى الله عليه وآله»، ورضوا لرضاه، وهذا خبر عن أمر حصل، فالسؤال هو: متى غضبت جهينة لغضبه، ورضيت لرضاه «صلى الله عليه

---

(١) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٢٧١ عن ابن المنذر.

وآله»؟ وفي أية قضية كان ذلك؟! وما هي وقائع تلك القضية؟! فإنها لابد أن تكون على درجة كبيرة من الخطورة.

وهل لم يغضب أحد من المسلمين فيها لرسول الله «صلى الله عليه وآله» سوى جهينة؟! فان كان الجواب بالإيجاب، فلماذا لم يذكر في هذا السياق سوى جهينة؟! وإن كان الجواب بالسلب، فلماذا أحجموا عن نصرة نبيهم؟!

جهينة مني، وأنا منهم:

والذي أراه هو: أن هذا المفتري على الله وعلى رسوله، إما أنه كان على درجة من الغباء، أو أن الله سبحانه قد أعمى قلبه، وطمس على بصيرته، على قاعدة ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾[1].

فإن من يريد أن يفتري ويختلق، لابد أن لا يكون ما يختلقه ظاهر الخطل والبطلان.. فلا يصح أن يدعي مثلاً: أن المسك سيء الرائحة، ولا أن يقول: إن الذهب خشب، والتفاحة دجاجة، وما إلى ذلك.. فإن فعل ذلك، فقد سعى إلى حتفه بظلفه، وفضح نفسه بنفسه، وإنما على نفسها جنت براقش[2].

والأمر في هذا الحديث المفترى قد جاء على نفس السياق، إذ لا يمكن

---

(١) الآية ٧ من سورة البقرة.

(٢) فإن قوماً غزاهم عدوهم ليلاً، فلم يجدهم، فعزم على الرجوع، وإذ بكلبة لهم اسمها براقش تنبح، فعرف مكانهم، فأوقع بهم، وقتلت تلك الكلبة أيضاً، فقيلت هذه الكلمة في ذلك.

أن يكون له معنى في هذا المورد، إذ لا يمكن أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» من جهينة، كما لا يمكن أن تكون جهينة منه «صلى الله عليه وآله»..

فإن النبي «صلى الله عليه وآله» ليس من جهينة، لا حقيقية ولا مجازاً، فهو «صلى الله عليه وآله» ليس منها نسباً، وذلك ظاهر. وليس منها بما يمثله من دين ورسالة، لأنها ليس لها أثر يذكر في نشر الإسلام، أو في الدفاع عنه، بل قد تقدم: أن عكرمة يصرح بأنها كانت إحدى القبائل الأربع التي عناها الله تعالى بقوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾.

إبتذال.. وخيانة:

ومهما يكن من أمر، فإن أحداً لا يجهل أن عبارة: «من أغضبها فقد أغضبني، ومن أغضبني فقد أغضب الله»، قد قالها النبي «صلى الله عليه وآله» في حق الزهراء «عليها السلام»، وهذا ما أوجب ما يوجب الطعن على من أغضبها بأنه قد أغضب الله ورسوله، بأنه لا يمكن أن يكون أهلاً لأن يكون في مقام خلافة النبوة؟!

كما أن أحداً لا يجهل: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال في حق الحسين «عليه السلام»، الذي يَبعث النبي «صلى الله عليه وآله» ويُحييه، بإحياء دينه، وإسقاط أطروحة عدوه، وفضحه باستشهاده «عليه السلام»، حيث قال فيه: «حسين مني وأنا من حسين»، فهو من النبي «صلى الله عليه وآله» بكل المعاني، والنبي بما له من صفة النبوة والرسولية من الحسين «عليه السلام».

٥ ـ قدوم وائل بن حجر:

عن وائل بن حجر قال: بلغنا ظهور رسول الله «صلى الله عليه وآله»

وأنا في بلد عظيم، ورفاهة عظيمة فرفضت ذلك، ورغبت إلى الله عز وجل، وإلى رسول الله «صلى الله عليه وآله». فلما قدمت عليه أخبرني أصحابه أنه بشَّر بمقدمي عليهم قبل أن أقدم بثلاث ليال.

قال الطبراني: فلما قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» سلمت عليه فرد علي، وبسط لي رداءه، وأجلسني عليه، ثم صعد منبره وأقعدني معه، ورفع يديه، وحمد الله تعالى، وأثنى عليه، وصلى على النبي «صلى الله عليه وآله»، واجتمع الناس إليه فقال لهم: «يا أيها الناس، هذا وائل بن حجر قد أتاكم من أرض بعيدة، من حضرموت، طائعاً غير مكره، راغباً في الله وفي رسوله، وفي دين بيته، بقية أبناء الملوك».

فقلت: يا رسول الله، ما هو إلا أن بلغنا ظهورك، ونحن في ملك عظيم وطاعة، وأتيتك راغباً في دين الله.

فقال: «صدقت»[1].

وعن وائل بن حجر قال: جئت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: «هذا وائل بن حجر جاء حباً لله ورسوله»، وبسط يده، وأجلسه، وضمه إليه،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣١ عن البخاري في تاريخه، والبزار، والطبراني، والبيهقي، وفي هامشه عن: مجمع الزوائد ج٩ ص٣٧٨ عن الطبراني في الصغير والكبير، وقصص الأنبياء للراوندي ص٢٩٤، وراجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة)، والخرائج والجرائح ج١ ص٦٠، والبحار ج١٨ ص١٠٨ وج٢٢ ص١١٢، ومجمع الزوائد ج٩ ص٣٧٤، وعون المعبود ج٢ ص٢٩٣، والتاريخ الكبير للبخاري ج٨ ص١٧٥، ومشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص٧٧، و تاريخ مدينة دمشق ج٦٢ ص٣٩١، والسيرة الحلبية ج١ ص٣٣٣.

وأصعده المنبر، وخطب الناس فقال: «ارفقوا به، فإنه حديث عهد بالملك».

فقلت: إن أهلي غلبوني على الذي لي.

فقال: «أنا أعطيكه وأعطيك ضعفه».

وقالوا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصعده إليه على المنبر، ودعا له، ومسح رأسه وقال: «اللهم بارك في وائل وولد ولده»[1].

ونودي: الصلاة جامعة، ليجتمع الناس سروراً بقدوم وائل بن حجر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» معاوية بن أبي سفيان أن ينزله منزلاً بالحرة، فمشى معه، ووائل راكب، فقال له معاوية: أردفني خلفك [وشكا إليه حر الرمضاء].

قال: لست من أرداف الملوك.

قال: فألق إلي نعليك.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣١ عن الطبراني، وأبي نعيم، وفي هامشه عن: البداية والنهاية ج٥ ص٧٩، والخرائج والجرائح ج١ ص٦٠، والبحار ج١٨ ص١٠٨ وج٢٢ ص١١٢، ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٣٣٥، والإستيعاب ج٤ ص١٥٦٢، وشرح مسند أبي حنيفة للملا علي القاري ص٤٩٢، والتاريخ الكبير للبخاري ج٨ ص١٧٥، وضعفاء العقيلي ج٤ ص٥٩، والثقات لابن حبان ج٣ ص٤٢٥، ومشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص٧٧، وتاريخ مدينة دمشق ج٦٢ ص٣٩١، وأسد الغابة ج٥ ص٨١، والأعلام للزركلي ج٨ ص١٠٦، والأنساب للسمعاني ج٢ ص٢٣٠، والوافي بالوفيات ج٢٧ ص٢٥٠، وتاريخ ابن خلدون ج٧ ص٣٨٠، وقصص الأنبياء للراوندي ص٢٩٤، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٥٤، والسيرة الحلبية ج١ ص٣٣٣.

قال: لا، إني لم أكن لألبسها وقد لبستها.

قال: إن الرمضاء قد أحرقت قدمي.

قال: امش في ظل ناقتي، كفاك به شرفاً.

(**وقال معاوية**: فأتيت النبي «صلى الله عليه وآله» فأنبأته بقوله، فقال: إن فيه لعيبة من عيبة الجاهلية).

فلما أراد الشخوص إلى بلاده كتب له رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً[1].

ونقول:

أوسمة لوائل بن حجر:

تضمنت النصوص المتقدمة: أوسمة عديدة لوائل بن حجر، مع أننا لا نرى مبرراً لشيء منها، فإننا حين نراجع ما بلغنا عن حياة هذا الرجل لا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣١ و ٤٣٢ وأشار في مكاتيب الرسول ج٣ ص٣٦١ إلى المصادر التالية: شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٩ ص٣٥٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ص٨٣٥ والمعجم الكبير ج٢٢ ص٤٧ والمعجم الصغير ج٢ ص١٤٤ والأموال لابن زنجويه ج٢ ص٦١٩ وأسد الغابة ج٥ ص٨١ والإصابة ج٣ ص٦٢٨ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٦٤٢ والمحاسن للبيهقي ص٢٦٨ والبحار ج١٨ ص١٠٨ والبداية والنهاية ج٥ ص٧٩ و ٨٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ق٢ ص٧٩ و ٨٠ ورسالات نبوية ص٢٨٦ ومجمع الزوائد ج٩ ص٣٧٣ ومعجم البلدان ج٥ ص٤٥٤ ونشأة الدولة الإسلامية ص٢٤٣ وما بعدها، وربيع الأبرار ج٣ ص٤١٤.

نجد فيها شيئاً يستحق الذكر، سوى أنه كان قبل أن يسلم من أقيال حضرموت، ووفد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد أن عزَّ الإسلام، ونصر الله نبيه على الشرك والكفر في المنطقة بأسرها. ثم إنه أسلم، ولم يسهم في شيء في تأييد هذا الدين أو في نصره ونشره. كما أنه لم يكن معروفاً بشيء يميزه، لا في علمه ولا في تقواه، ولا في أي شيء آخر..

ونحن نعلم أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يوزع الأوسمة على الراغبين والخاملين بصورة مجانية، بل هو يمنح الوسام لمستحقيه، باعتباره جزءاً من الواجب، وثمناً لجهد، وسياسة إلهية لاطراد المسيرة الإيمانية بصورة أكثر قوة، وأشد ثباتاً.

بل إن هذه الأوسمة لوائل إذا لم يكن وائل مستحقاً لها، تكون من موجبات التغرير بالناس، في أمره، ولم يكن وائل أهلاً لشيء من ذلك كما سنرى..

وائل بن حجر على منبر الرسول ﷺ:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» صعد منبره، وأقعده معه..

والسؤال هو: هل كان المنبر في مسجد الرسول «صلى الله عليه وآله» يتسع لشخصين؟!

وهل كان وائل هذا من الخطباء، ويريد «صلى الله عليه وآله» أن يعرِّف الناس بخصوصيته هذه؟!

وإذا صح هذا، فما هي الخطبة التي أوردها على الناس من على ذلك

المنبر؟! وهل كان «صلى الله عليه وآله» يعرف الناس بخصوصيات زائريه بهذه الوسائل؟!

أم أنه أراد أن يجعل له الأمر من بعده ويقول للناس: إنه يجلس في مجلسه، ويقوم على منبره؟!

أم أن الأرض ضاقت بالجالسين، فلم يجد مكاناً يجلس فيه مع ضيفه إلا المنبر؟!

إلى غير ذلك من الأسئلة التي لن تجد لها جواباً مقبولاً ولا معقولاً، إلا إذا اعترف أهل الإنصاف بوضع هذه المفتريات، لألف سبب وسبب..

ما الحاجة للبشارة بمقدم وائل:

وقد زعم وائل نفسه ـ وهو يجر النار إلى قرصه ـ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بشَّر الناس قبل ثلاثة أيام بمقدمه..

ولسنا ندري ما هي الفائدة والعائدة من هذه البشارة!! فهل كان وائل سوف يزيل الغمة بمقدمه عن هذه الأمة؟! أو أنه سوف يغني عنهم في شيء من المهمات التي كانت تنتظرهم؟! أو أنه سيكون له دور حاسم في نشر العلم والتقوى بينهم، أو في أي منطقة أخرى تحتاج إلى شيء من ذلك؟!

إننا لا نجد شيئاً من ذلك يبرر هذه البشارة المزعومة بمقدم وائل هذا..

ثم إن وائلاً هو الذي استفاد من الإسلام حين دخل فيه، حيث قال: يا رسول الله، اكتب لي بأرضي التي كانت لي في الجاهلية، وشهد له أقيال حمير، وأقيال حضرموت، فكتب له.

قالوا: وكان الأشعث وغيره من كندة: نازعوا وائل بن حجر في واد بحضرموت، فادَّعوه عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكتب به رسول الله «صلى الله عليه وآله» لوائل[1].

لماذا يكذب وائل؟!:

وإذا كانت وفادة وائل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد جاءت متأخرة أكثر من عشرين سنة على بعثة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد شاعت أخبار النبي «صلى الله عليه وآله»، وذاعت، ولا سيما بعد أن هاجر إلى المدينة، وبدأت الحروب ضده من قبل المشركين واليهود، بل هو قد واجه ملك الروم في مؤتة، وانتشرت سراياه وبعوثه، ودعاته في مختلف البلاد، فما معنى أن يزعم وائل: أنه بمجرد أن بلغه ظهور النبي «صلى الله عليه وآله»، ترك ملكه العظيم وطاعة قومه، وجاءه راغباً في الإسلام..

على أن وائلاً لم يكن ملكاً كما زعم، بل كان من بقية أبناء الملوك كما صرحت به نفس الرواية التي ذكرت الفقرة السابقة.. وهذا تناقض آخر في هذه الرواية المزعومة.

ونص آخر يقول: إنه حديث عهد بالملك، وهذا معناه أنه كان ملكاً، وقد فقده لتوه، فهو حديث عهد به.

ثم إنه يقول: إن أهله غلبوه على الذي له، فكيف نوفق بين هذا كله، وبين قوله: إنه لما سمع بظهور النبي «صلى الله عليه وآله» ترك ملكه وقدم

---

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص٣٦٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٨٧.

على النبي «صلى الله عليه وآله» راغباً في دين الله؟!

في وائل عيبة من الجاهلية:

وعلى كل حال، فإن وائلاً قد أظهر في نفس مقدمه ذاك أنه لا يستحق أي وسام، وليس جديراً بأي ثناء كما دل عليه سلوكه غير الإنساني مع معاوية، حيث لم يرض بإردافه ولا بإعطائه نعله ليتقي بها الرمضاء.. وإنما سمح له بأن يمشي في ظل ناقته وحسب، فلما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك قال: «إن فيه لعيبة من عيبة الجاهلية».

ومعاوية وإن كان هو الأسوأ أثراً في الإسلام، ولكن ذلك لا يبرر هذا التصرف من وائل تجاهه، وهو ينم عن خلال مقيتةٍ وسيئة فيه.. حيث دل على مدى ما يحمله في داخل نفسه من غطرسة وكبر، ومن قسوة، وحب للدنيا..

وائل بن حجر عدو علي عليه السلام:

ولكن مهما صدر عن وائل من سيئات مع معاوية وغيره، فإنه يبقى محبوباً ومنصوراً، وذنبه مغفوراً، وفي جميع أحواله مصيباً ومأجوراً. لأنه ـ كما يقولون ـ كان عند علي «عليه السلام» بالكوفة، وكان يرى رأي عثمان، فقال لعلي «عليه السلام»: إن رأيت أن تأذن لي بالخروج إلى بلادي، وأصلح مالي هناك، ثم لا ألبث إلا قليلاً إن شاء الله حتى أرجع إليك، فأذن له علي «عليه السلام».

فخرج إلى بلاد قومه، وكان قبلاً من أقيالهم، عظيم الشأن فيهم، وكان يرى رأي عثمان، فدخل بسر صنعاء، فطلبه وائل وكتب إليه، فأقبل بسر إلى

حضرموت بمن معه، فاستقبله وائل وأعطاه عشرة آلاف، وأشار عليه بقتل عبد الله بن ثوابة[1].

ثم كان هو الذي حمل حجر بن عدي إلى معاوية بأمر زياد بن أبيه، فكان شريكاً أيضاً في دم هذا العبد الصالح، وبقية الستة الذين استشهدوا معه على يد معاوية بالذات[2].

٦ـ وفود أبي صفرة:

عن محمد بن غالب بن عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة قال: حدثني أبي عن آبائه: أن أبا صفرة قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أن يبايعه، وعليه حلة صفراء، وله طول ومنظر وجمال، وفصاحة لسان، [فلما رآه أعجبه ما رأى من جماله] فقال له: «من أنت»؟

قال: أنا قاطع بن سارق بن ظالم بن عمر بن شهاب بن مرة بن الهقام بن

---

(١) الغارات للثقفي ج٢ ص٦٢٩ ـ ٦٣١ وراجع: البحار (ط كمباني) ج٨ ص٦٧١ و (ط سنة ١٤١٣ هـ) ج٣٤ ص١٦ وسفينة البحار ج٨ ص٤٠٣ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٢٢٨ وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ص٩٤ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري ج٧ ص٤٩، ومكاتيب الرسول ج٣ ص٣٦٢.

(٢) أسد الغابة ج١ ص٣٨٦ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٣٥٦ والكامل في التاريخ ج٣ ص٤٧٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٢٠٠ ـ ٢٠٤ والغدير ج١١ ص٤٧ ـ ٥٠ ومواقف الشيعة ج٢ ص٤٥٨ وتاريخ الكوفة للسيد البراقي ص٣١٩ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٢٣٢.

الجلند بن المستكبر، الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً، أنا ملك ابن ملك.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «أنت أبو صفرة، دع عنك سارقاً وظالماً».

فقال: أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أنك عبده ورسوله حقاً حقاً يا رسول الله، وإن لي ثمانية عشر ذكراً وقد رزقت بأخرة بنتاً سميتها صفرة.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «فأنت أبو صفرة»[1].

ونقول:

نسب الأطهار:

نحب لفت النظر إلى سلسلة الأسماء قاطع، بن سارق، بن ظالم.. وابن مرة، وابن المستكبر الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً..

فإنها سلسلة لا يصح التباهي بها، وليست هذه الأسماء من أسماء الملوك، بل إن السوقة من الناس، والسراق أنفسهم لا يرضون بأن يناديهم أحد باسم سارق ويرونه عيباً وعاراً، فكيف يتباهى به هؤلاء؟! ثم يعتبرون أنفسهم ملوكاً..

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عقلية وذهنية، وأجواء وطموحات وقيم أولئك الناس الذين تعامل معهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسرعان ما جعل منهم أمة رائدة في كل المجالات العلمية والأخلاقية، والحضارية، بهرت الأمم بقيمها، وبسموّ أهدافها، وبنهجها

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٥٢ عن ابن مندة، وابن عساكر، والديلمي، وفي هامشه عن كنز العمال (٣٧٥٧٣)، والإصابة ج٧ ص١٨٥.

الإلهي العظيم..

وأين هذا من نسب أهل بيت الطهارة، والعصمة، الذين كان كل منهم طهراً طاهراً مطهراً، من طهر طاهر مطهر..

المستكبر لم يكن في زمان موسى عليه السلام:

إنه لا شك في أن هذا النسب الذي ذكره وافتخر به لا يمكن أن يصل إلى زمن موسى «عليه السلام»، الذي كان يعيش في زمن ذلك الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً، كما أشارت إليه آيات القرآن الكريم وهي تعرض ما جرى بين موسى والعبد الصالح «عليهما السلام»..

وبذلك يتضح: أن أبا صفرة يقصد شخصاً آخر كان يأخذ كل سفينة غصباً، ولا بد أنه كان يعيش قبل ظهور نبينا «صلى الله عليه وآله» بحوالي قرنين من الزمن.

لماذا كناه بابنته:

وقد صرح هذا الرجل: بأن له ثمانية عشر ولداً ذكراً، وأنه قد رزق آخر الأمر ببنتٍ أسماها صفرة، وإذ بالنبي «صلى الله عليه وآله» يكنيه بأبي صفرة!!

فلماذا اختار «صلى الله عليه وآله» أن يكنيه باسم ابنته، وترك تكنيته باسم أي واحد من أولاده الذكور؟!

قد يكون سبب ذلك: أن العرب كانوا يحتقرون البنت ويمقتونها، ويظلمونها إلى حد أن الرجل منهم كان يدفن ابنته وهي حية حتى لا تشاركه في طعامه، أو خوفاً من أن يلحقه عار بسببها.. وقد تحدث الله تبارك وتعالى

عن نظرتهم لها، وعن جرائمهم هذه في أكثر من آية، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[3].

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً﴾[5].

وقال عز من قائل: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً

---

(١) الآيتان ٨ و ٩ من سورة التكوير.

(٢) الآيتان ٥٧ و ٥٨ من سورة النحل.

(٣) الآيتان ٢١ و ٢٢ من سورة النجم.

(٤) الآية ٢٧ من سورة النجم.

(٥) الآية ٤٠ من سورة الإسراء.

(٦) الآية ١٤٩ من سورة الصافات.

أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[1].

فإذا كانت هذه هي نظرة العرب، ومنهم هذا الرجل إلى المرأة، وإذا كان قد ولد لهذا الرجل ثمانية عشر ولداً ذكراً، فمن الطبيعي أن يعيش حالة لا تطاق من الزهو والكبر، والعنجهية والغرور..

وقد دل على ذلك اعتزازه حتى بما يعد رذيلة، لو لم يكن قد وافق الإسم المسمى «سارق ـ ظالم ـ قاطع ـ مستكبر ـ يأخذ كل سفينة غصباً..».

علماً بأن للأسماء إيحاءاتها، وآثارها على النفوس حين يصل الأمر إلى حد الأنس بالإسم، وتتفاعل معه بصورة إيجابية..

فكان لابد من ترويض هذه النفوس، ومواجهتها بالقيم الإلهية، المنسجمة مع الفطرة، وأحكام العقل، وإفهامهم: أن للأنثى قيمتها عند الله تبارك وتعالى، وأنها تكون أولى بالتقدير، والإحترام من عشرات الرجال إذا كانت تسير في خط الإستقامة دونهم، وأن التقوى هي معيار الكرامة عند الله، ﴿..**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**..﴾[2].

ولأجل ذلك نلاحظ: أن أبا صفرة لم يعترض، ولم يناقش، ولم يستفهم عن طبيعة أو قيمة هذه المعادلة الجديدة التي واجهه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بآثارها ومقتضياتها بصورة عملية..

---

(١) الآيات ١٦ ـ ١٩ من سورة الزخرف.

(٢) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

[illegible]

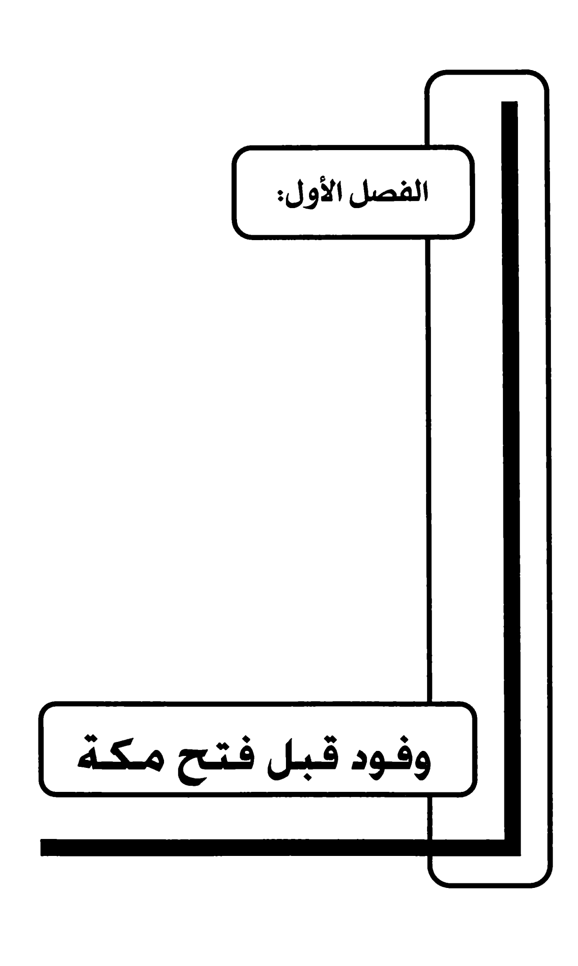
---

(١) [illegible]

(٢) [illegible]

الباب الثامن

وفـــــود لهـــا تـاريـــخ



الفصل الأول:

وفود قبل فتح مكة

[illegible]

[illegible]

وفود جذام:

قالوا: وفد رفاعة بن زيد الجذامي، ثم أحد بني الضبيب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الهدنة قبل خيبر، وأهدى له عبداً وأسلم. فكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً:

«هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد، إني بعثته إلى قومه عامة، ومن دخل فيهم، يدعوهم إلى رسوله، فمن آمن ـ وفي لفظ: فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر. وفي لفظ: من أبى، فله ـ أمان شهرين»[1]. فلما قدم على قومه أجابوه وأسلموا.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٠٧ وراجع: مكاتيب الرسول ج٢ ص٤٦٩ عن المصادر التالية: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٩ والسيرة النبوية لزيني دحلان (بهامش الحلبية) ج٢ ص١٧٦ و ج٣ ص٣١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٦٧ وفي (ط أخرى) ص٢٤٣ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٣٩٥ وفي (ط أخرى) ج٣ ص١٤٠ وأسد الغابة ج٤ ص٣٩٠ في ترجمة معبد بن أكثم وج٢ ص٢٨١ في رفاعة بن زيد و ص١٩٠ في رومان بن بعجة الجذامي، وإعلام السائلين ص٣٩ وجمهرة رسائل العرب ج١ ص٤٥ وصبح الأعشى ج٦ ص٣٨٢ و ج١٣ ص٣٢٣ ورسالات نبوية ص١٥٠ والإصابة ج٣ =

زاد الطبراني قوله: ثم سار حتى نزل حرة الرجلاء. ثم لم يلبث أن قدم دحية الكلبي من عند قيصر حين بعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى إذا كان بواد من أوديتهم يقال له: شنار، ومعه تجارة له أغار عليهم الهنيد بن عوص وابنه عوص بن الهنيد الضلعيان. ثم ذكر ما جرى لدحية، وما تبع ذلك من إرسال النبي «صلى الله عليه وآله» سرية زيد بن حارثة..»[1].

= ص٤٤١ في معبد بن فلان الجذامي وج١ ص٥٢١ و ٥٢٢ في رومان، ومجمع الزوائد ج٥ ص٣٠٩ وقال: رواه الطبراني متصلاً هكذا ومنقطعاً مختصراً عن ابن إسحاق، وحياة الصحابة ج١ ص١٢٤ عن الطبراني، والمغازي لابن إسحاق، والمغازي للواقدي ج٢ ص٥٥٧ والمعجم الكبير للطبراني ج٥ ص٤٦ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٣٥ ومجموعة الوثائق السياسية ص٢٨٠/ ١٧٥ عن جمع ممن تقدم وعن منشئات السلاطين لفريدون بك ج١ ص٣٥، ووسيلة المتعبدين ج٨ ورقة٣١ ـ ب وقال: انظر اشپرنكر ج٣ ص٢٧٩. وراجع: المصباح المضيء ج١ ٢٦٩ وج٢ ص٣٢٢ وأشار إليه في الكامل ج٢ ص٢٠٧ والعبر وديوان المبتدأ لابن خلدون ج٢ ص٨٣٧ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٥٠٥ والبحار ج٢٠ ص٣٧٤ و ٣٧٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٢١٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ق٢ ص٦٧ و ٨٣ وج٧ ق٢ ص١٤٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٩ والمنتظم ج٣ ص٢٥٨.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٠٧ عن ابن سعد والطبراني، وقال في هامشه: أخرجه ابن سعد في الطبقات ج٢ ص١١٧، وذكره الهيثمي في المجمع ج٥ ص٣١٢ وعزاه للطبراني.

وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٨٥ و ٢٦٠ ومكاتيب الرسول ج٢ ص٤٧٢ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص١٤٠ وما بعدها، =

ونقول:

كنا قد تحدثنا عن هذه السرية في موضع سابق من هذا الكتاب فلا حاجة إلى الإعادة.

غير أننا نشير هنا إلى الأمور التالية:

داعيتهم منهم:

قد لاحظنا: أنه «صلى الله عليه وآله» بعث رفاعة بن زيد إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام، فإن الدعوة إذا جاءت من القريب والحبيب، فإنها تكون أوقع في النفس، وأقرب إلى القبول، ولاسيما إذا خلت من احتمالات أن يكون ثمة من يريد أن يجر النار إلى قرصه، ومن احتمال أن يكون له على قومه بذلك أي امتياز سواء في الموقع الإجتماعي، أو في نفوذ الكلمة، أو ما إلى ذلك..

ويتأكد هذا الأمر بجعل النبي «صلى الله عليه وآله» من يقبل دعوة رفاعة ويدخل في الإسلام في حزب الله وحزب رسوله، ولم يدخل رفاعة في هذا الأمر لا من قريب ولا من بعيد.

والحاصل: أنه «صلى الله عليه وآله» قد جعل من يؤمن مرتبطاً بالله

= والبداية والنهاية ج٥ ص٢١٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ق١ ص٦٥ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٠٢ والبحار ج٢٠ ص٣٧٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٦٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٠ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٠٧ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٢ ص١٧٦ والمنتظم ج٣ ص٢٥٨.

وبرسوله مباشرة، فأدخله في فريقهما وحزبهما، وأعطاه شرف الإنتماء لهما، ولم يشر إلى سلطة ولا إلى هيمنة أي كان من الناس على هذا المؤمن، كما أنه لم يتحدث عن تبعية أو طاعة لرفاعة ولا لغيره..

فله أمان شهرين:

وأما إعطاء الأمان شهرين لمن أبى، فلأجل أن الشرك يصادم التوحيد ويتناقض معه، فلا مجال للتعايش فيما بينهما بأي وجه من الوجوه، لأن المشرك يجد نفسه في موقع المحارب للتوحيد، والساعي لإبطاله.. ولأجل ذلك جاء الأمر الإلهي الذي يقول: ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**﴾.

وأما أهل الكتاب فلهم ارتباط بالله تبارك وتعالى، وإن كانوا يخطئون في بعض التفاصيل، كما أن نظرتهم للمسلمين لا تخرج عن هذا السياق.. فلا يرون أنفسهم في موقع المناقض لتوحيد المسلمين، والمحارب له، فيمكن التعايش معهم إن لم يعلنوا الحرب، وهناك قواسم مشتركة أخرى معهم، يمكن من خلالها العمل على تصحيح الخطأ، وتسهل الوصول إلى حلول مرضية، في كثير من الأحيان..

وهم في جميع الأحوال أقل خطراً من المشركين، الذين يريدون هدم الإسلام، وإبطال عقيدة التوحيد من أساسها، واقتلاعها من جذورها..

تاريخ هذه السرية:

إن ذكر زيد بن حارثة في هذا المورد يدل على: أن وفود رفاعة وكتابة النبي «صلى الله عليه وآله» الكتاب له قد كان قبل فتح مكة، وقبل غزوة مؤتة، التي استشهد فيها زيد بن حارثة..

وأما القول: بأن ذلك قد كان في آخر سنة ست أو أول سنة سبع قبل غزوة خيبر أيضاً، استناداً إلى أن إرسال الرسائل إلى الملوك قد كان في تلك الفترة.. فيمكن المناقشة فيه: بأن من الجائز أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل دحية إلى قيصر أكثر من مرة.. كما لا يخفى.

جبرئيل في صورة دحية الكلبي:

وتقدم أنهم يزعمون: أن دحية الكلبي كان جميلاً، وأن جبرئيل كان يأتي إلى النبي «صلى الله عليه وآله» على صورته، وقد قدمنا: أن ذلك لا مبرر له، إذ لماذا لم يكن يأتيه على صورة علي «عليه السلام» الذي كان أحب الخلق إليه؟! مع أن الله تعالى قد كلم نبيه حين المعراج بصوت علي حسبما قدمناه في هذا الكتاب.

وفد دوس:

وقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أربعمائة من دوس، فقال رسول الله: «مرحباً، أحسن الناس وجوهاً، وأطيبهم أفواهاً، وأعظمهم أمانة»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٦٢ وص٣٣٦ عن الطبراني بسند ضعيف، في هامشه قال: أخرجه الطبراني ج١٢ ص٢٢٢ وذكره الهيثمي في المجمع ج١٠ ص٥٠. وراجع: شرح المواهب اللدنية ج٥ ص١٨٥، والمعجم الأوسط للطبراني ج٧ ص٤٧، والمعجم الكبير للطبراني ج١٢ ص١٧٢، وكنز العمال ج١٢ ص٥٨، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٣٨، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٦٢.

قال في زاد المعاد: قال ابن إسحاق: كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدِّث أنه قدم مكة ورسول الله «صلى الله عليه وآله» بها. فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه، وبين المرء وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وإنَّا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه، ولا تسمع منه.

قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً، فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله.

قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» قائم يصلي عند الكعبة، فقمت قريباً منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: وا ثكل أمياه، والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان ما يقول حسناً قبلت، وإن كان قبيحاً تركت.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى بيته، فتبعته حتى إذا د خل بيته، دخلت عليه فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذنيّ بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعنيه، فسمعت قولاً حسناً، فاعرض عليّ أمرك.

فعرض عليّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» الإسلام، وتلا علي

القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام، فادع الله لي أن يجعل لي آية تكون عوناً لي عليهم، فيما أدعوهم إليه.

فقال: «اللهم اجعل له آية».

قال: فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عينيّ مثل المصباح، قلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم.

قال: فتحول، فوقع في رأس سوطي كالقنديل المعلق، وأنا أنهبط إليهم من الثنية حتى جئتهم، وأصبحت فيهم. فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً. فقلت: إليك عني يا أبت، فلست منك ولست مني.

قال: ولم يا بني، بأبي أنت وأمي؟!

قلت: فرق الإسلام بيني وبينك، فقد أسلمت وتابعت دين محمد «صلى الله عليه وآله».

قال: يا بني فديني دينك.

قال: فقلت: اذهب فاغتسل، وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت.

قال: فذهب، فاغتسل، وطهر ثيابه. ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم.

ثم أتتني صاحبتي فقلت لها: إليك عني فلست منك ولست مني.

قالت: لم بأبي أنت وأمي؟

قلت: فرق الإسلام بيني وبينك. أسلمت وتابعت دين محمد «صلى الله عليه وآله».

قالت: فديني دينك.

فقلت: اذهبي، فاغتسلي، ففعلت، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت.

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطأوا عليّ، (وعند آخرين: أجابه أبو هريرة وحده[1])، فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» (في مكة قبل الهجرة أيضاً)، فقلت: يا نبي الله، إنه قد غلبني على دوس الزنا، فادع الله عليهم.

فقال: «اللهم اهد دوساً»[2]. ثم قال: «ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله،

---

(١) شرح المواهب اللدنية ج٥ ص١٨٣ و ١٨٤ عن الطبراني وعن الأغاني من طريق الكلبي، والإصابة ج٢ ص٢٢٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٣٦ و ٣٣٧ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٨٤ و ١٨٥ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٢ ص٢٣٢ و ٢٣٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص١١ ـ ١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٢٣٧ فما بعدها، ودلائل النبوة للبيهقي ج٥ ص٣٦٠ فما بعدها، وكتاب الأم ج١ ص١٨٩، و حلية الأبرار للبحراني ج١ ص٣٠٩، وكتاب المسند للإمام الشافعي ص٢٨٠، ومسند احمد ج٢ ص٢٤٣، وصحيح البخاري ج٣ ص٢٣٥ وج٥ ص١٢٣ وج٧ ص١٦٥، وصحيح مسلم ج٧ ص١٨٠، وفتح الباري ج٦ ص٧٧ وج١١ ص١٢٠، وعمدة القاري ج١٤ ص٢٠٧ وج١٨ ص٣٤ وج٢٣ ص١٩، وتحفة الأحوذي ج٢ ص١٧٢، ومسند الحميدي ج٢ ص٤٥٣، ومسند ابن راهويه ج١ ص١٩، والأدب المفرد للبخاري ص١٣٤، وصحيح =

وارفق بهم».

فرجعت إليهم، فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الله.

ثم قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بخيبر، فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس. ثم لحقنا برسول الله «صلى الله عليه وآله» بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين[1].

وعند الطبراني بسند ضعيف: أنهم أربع مائة[2].

نماذج من تناقضات الروايات:

ونشير هنا إلى نموذج من التناقضات التي تسهل ملاحظتها في روايات هذا الحدث المزعوم، فبعضها يقول: «جئنا خيبر، فنجده قد فتح النطاة، وهو محاصر الكتيبة، فأقمنا حتى فتح الله علينا، فأسهم لنا مع المسلمين»[3].

= ابن حبان ج٣ ص٢٥٩، والمعجم الكبير للطبراني ج٨ ص٣٢٦، وتاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص١٢، وأسد الغابة ج٣ ص٥٥، وسير أعلام النبلاء ج١ ص٣٤٤، والإصابة ج٣ ص٤٢٣، والبداية والنهاية لابن كثير ج٣ ص١٢٤.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٢ ص٤١٨ وج٦ ص٣٣٧ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٨٥ و ١٨٦، والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٢٣٩، وتاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص١٢، وأسد الغابة ج٣ ص٥٥، والبداية والنهاية لابن كثير ج٣ ص١٢٤، والسيرة النبوية للحميري ج١ ص٢٥٨، وعيون الأثر ج١ ص١٨٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٧٥، والسيرة الحلبية ج٢ ص٧٠.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٨٥.

(٣) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٨٥ عن البخاري في التاريخ، وابن خزيمة، والطحاوي، والبيهقي، وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٣٧.

وفي بعضها: «قدمنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقد فتح خيبر، فكلم المسلمين، فأشركنا في سهمانهم»[١].

وتارة تقول: «إن قريشاً حذرت الطفيل من الإتصال بالنبي «صلى الله عليه وآله» والإستماع منه، فحشا أذنه بالكرسف حتى لا يسمع شيئاً».

وأخرى تقول: «إن قريشاً قد طلبت منه ان يتصل بالنبي «صلى الله عليه وآله»، ويَخْبُر حاله»[٢].

وتقدم الإختلاف في عدد الوفد من دوس، هل هم ثمانون، أو سبعون، أو خمسة وسبعون، أو اربع مائة.

والروايات المتقدمة تقول: إن الطفيل هو الذي قدم بالوفد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، رواية أخرى تقول: إن جندب بن عمرو بن حممة الدوسي لما سمع بأمر النبي «صلى الله عليه وآله» جاء بالوفد إليه، وهم خمسة وسبعون رجلاً من قومه، فأسلم وأسلموا. قال أبو هريرة: فكان جندب يقدمهم رجلاً رجلاً[٣].

سرقة فضيلة، أم استعارتها؟!:

ثم إننا قد قرأنا فيما سبق من أجزاء هذا الكتاب: أن إسلام أهل المدينة قد بدأ بإسلام أسعد بن زرارة، وأنه قد جرى لأسعد مع قريش والنبي

____

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٨٥، ومسند أبي داود الطيالسي ص٣٣٨.

(٢) الإصابة ج٢ ص٢٢٦.

(٣) الإصابة ج٢ ص٢٢٦.

«صلى الله عليه وآله» نفس تلك الأحداث التي قرأناها آنفاً منسوبة لأبي الطفيل[1]، لكن قد حاول محبو أبي الطفيل أن يلحقوا بها بعض اللمسات الطفيفة والخفيفة التي اقتضاها وفرضها تبديل الشخصية الحقيقية بشخصية أخرى لا ربط لها بحقيقة ما جرى..

مدائح دوس مشكوكة:

تقول الرواية المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لوفد دوس: «مرحباً أحسن الناس وجوهاً، وأطيبهم أفواهاً، وأعظمهم أمانة».

غير أننا قد ذكرنا حين الحديث عن وفد الأزد أنهم يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال ما يشبه ذلك لوفد الأزد أيضاً.

وقد يقال: إن قبيلة دوس كانت من الأزد أيضاً. فلعلهم قصدوا خصوص الدوسيين من الأزد، وقد يطلق العام ويراد به الخاص.

ولكنه احتمال موهون، فإن التسامح في أحاديث الفضائل غير متوقع، بل المتوقع هو الحرص على التحديد، والتصدي لأي احتمال يوجب الإيهام مهما كان قريباً، فكيف إذا كان غريباً.

ولو سلمنا أن المقصود هو دوس في كلتا الحالتين، فكيف نوفق بين ذلك، وبين ما ذكروه في موضع آخر: من أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال ذلك لوفد جرش، فأي ذلك هو الصحيح؟!

---

(١) راجع: البحار ج١٩ ص٩ وإعلام الورى ص٥٧ عن علي بن إبراهيم.

راوي حديث الطفيل:

وقد يلاحظ على الحديث المتقدم: أنه مروي عن الطفيل نفسه، فيحتمل أنه من حرصه يريد أن يجر النار إلى قرصه، ليكون هو الرابح الأكبر لو صدّق الناس روايته..

أبو الطفيل يطرد أباه:

ثم إننا لم نجد تفسيراً لطرد الطفيل أباه، بقوله: إليك عني يا أبت الخ.. إلا إذا كان عذره هو الجهل الذريع، وسوء الفهم، والخطأ الفاضح في التقدير، وسوء الأدب، فإن أبا الطفيل كان قد أظهر الإسلام قبل مدة وجيزة، ولم يعرف من آدابه وأخلاقياته، ومفاهيمه وشرائعه، وعقائده إلا القليل..

ولكنه عذر موهون، فإن محاسن الأخلاق، وقواعد الأدب لم تكن أموراً يجهلها الإنسان العربي حتى الجاهلي، ولاسيما الأدب مع الأبوين..

ثم إنه إذا كان قد أسلم، فالمفروض فيه هو: أن يُقبل على أبيه، ويعامله برفق، ويظهر له التغير الأخلاقي إلى الأصلح، ويبين له محاسن الإسلام، وموافقته لما تقضي به الفطرة، وما تحكم به العقول، ويصر عليه بقبول الإسلام والإيمان.

أما أن يطرد أباه، الذي يشعر بدالة الأبوة على ولده، ويجرح كبرياءه، فإن ذلك سوء أدب غير مقبول، إذا كان مع شخص غريب، فكيف إذا كان من ولد تجاه والده.

وذلك هو ما فرضه الإسلام على كل مسلم تجاه أي إنسان آخر، حتى لو لم يكن أباً ولا زوجة ولا ولداً، وذلك هو ما تفرضه عليه أحكام الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن المفروض هو: أن يسعى لإقناع ذلك الغير بالحق، وأن يفتح معه باب الحوار الإيجابي الهادئ والرصين على قاعدة: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة..

التفريق بين المسلم وزوجته الكافرة:

وقد رأينا: أن الرواية المتقدمة تقول: إن الطفيل أمر زوجته بالإبتعاد عنه أيضاً، قائلاً لها: إن الإسلام قد فرَّق بينه وبينها، مع أنهم يروون أن آية: ﴿وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾[1]، قد نزلت في المدينة بعد الحديبية بعد الهجرة، فطلّق عمر يومئذٍ امرأتين كانتا له في الشرك[2]. أما قضية الطفيل وزوجته فكانت قبل هجرة النبي «صلى الله عليه وآله» من مكة.

ونحن وإن كنا نعتقد أن الحكم بعدم جواز نكاح المسلم للمشركة كان ثابتاً على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل ذلك، إلا أننا نقول:

---

(١) الآية ١٠ من سورة الممتحنة.

(٢) الدر المنثور ج٦ ص٢٠٥ و ٢٠٧ عن البخاري، وعن ابن مردويه، ونيل الأوطار ج٨ ص١٨٧، ومسند احمد ج٤ ص٣٣١، وصحيح البخاري ج٣ ص١٨٢، والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٢٠، وعمدة القاري ج١٤ ص٥، والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٤٠، والمعجم الكبير للطبراني ج٢٠ ص١٤، وجامع البيان لابن جرير الطبري ج٢٦ ص١٣٠ وج٢٨ ص٩١، والدر المنثور ج٦ ص٢٠٥، وفتح القدير للشوكاني ج٥ ص٢١٧، وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٣٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٣٧٢، والبداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٢٠١، وإمتاع الأسماع ج٩ ص١٣، والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٥.

أولاً: إننا نلزمهم بما ألزموا به أنفسهم.

ثانياً: لعله «صلى الله عليه وآله» لم يكن مكلفاً بإبلاغ هذا الحكم لجميع الناس.. أو لعل الكثيرين كانوا لا يحتاجون إلى هذا الحكم إما لأن نساءهم كُنّ يُسلمن حين يُسلم أزواجهن، وإما لأنهن كُنّ يخترن الإنفصال، والإلتحاق بأهلهن من المشركين..

المطاع في قومه لا يطيعه قومه:

وقد زعم الطفيل لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنه مطاع في قومه، ويريد أن يدعوهم إلى الإسلام، ثم طلب منه أن يدعو الله أن يجعل له آية تعينه عليهم، فجعل له النور في طرف سوطه..

ونقول:

أولاً: اللافت هنا: أن هذا المطاع في قومه، لم يطعه أحد من قومه سوى أبي هريرة كما تقدم!!

رغم أنه كان يحمل إليهم معجزة كانت ماثلة أمامهم ويشاهدونها كلما يحلو لهم!!

فعدم إطاعتهم له مع كل هذه الخصوصيات أمر يثير العجب حقاً..

ثانياً: ما معنى أن يعود الطفيل إلى مكة طالباً من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يدعو على قومه؟![1]. فهل دعا النبي «صلى الله عليه وآله» على غيرهم من أجل ذلك، أم أنه كان يدعو لهم بالهداية ولا يدعو عليهم؟!

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق ج٥ ٢ ص١٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٢٣٧.

ثالثاً: إذا كان مطاعاً في قومه، فلماذا يطلب الآية لهم من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

رابعاً: هل كان من عادة النبي «صلى الله عليه وآله» أن يزود دعاته بآيات من هذا القبيل؟!!

خامساً: ما معنى أن يرفض الطفيل النور الذي حل في جبهته؟! ألم يكن من الأفضل له أن يرضى بما رضيه الله تعالى؟!

أم أنه أدرك أمراً كان خافياً على رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وكيف يخشى أن يظن قومه أن ذلك مثلة فيه؟! وهل يمكن أن نصدق أن قومه كانوا لا يستطيعون التأكد من كون هذا الذي في جبهته ليس مثلة، وإنما هو نور وضعه الله فيها؟!

سادساً: ألا يحق لنا أن نظن بأنه لو صح شيء من هذه القصة، فإن السبب في عدم قبول أحد أن يسلم على يد الطفيل، هو معاملته السيئة لهم، حسبما أشار إليه النبي «صلى الله عليه وآله» حين أمره بأن يعود إليهم ويرفق بهم، وإذا كان أسلوبه مع أبيه وزوجته بتلك الحدة والشراسة فما بالك بالأسلوب الذي كان يعامل به غيرهما..

وفد بني عبد بن عدي:

عن ابن عباس، وغيره قال: قدم وفد بني عبد بن عدي، فيهم الحارث بن وهبان، وعويمر بن الأخرم، وحبيب وربيعة ابنا ملة، ومعهم رهط من قومهم، فقالوا: يا محمد، نحن أهل الحرم وساكنيه، وأعز من به، ونحن لا نريد قتالك، ولو قاتلك غير قريش قاتلنا معك، ولكنا لا نقاتل قريشاً، وإنَّا

لنحبك ومن أنت منه، وقد أتيناك، فإن أصبت منا أحداً خطأً فعليك ديته، وان أصبنا أحداً من أصحابك فعلينا ديته، إلا رجلاً منا قد هرب، فإن أصبته أو أصابه أحد من أصحابك فليس علينا ولا عليك.

فقال عويمر بن الأخرم: دعو ني آخذ عليه.

قالوا: لا، محمد لا يغدِر، ولا يريد أن يُغْدَر به.

فقال حبيب وربيعة: يا رسول الله، إن أسيد بن أبي أناس (إياس) هو الذي هرب، وتبرأنا إليك منه، وقد نال منك.

فأباح رسول الله «صلى الله عليه وآله» دمه.

تاريخ هذا الوفد:

لقد كان هذا الوفد قبل الفتح، إذ قد صرَّحت الرواية: بأنه لما بلغ أسيداً أقوال الوفد أتى الطائف فأقام بها، وبقي فيها إلى أن تم فتح مكة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأخبره سارية بما جرى..

نحن أهل الحرم:

ثم إن من غرائب الأحوال أن يفتخر هؤلاء الناس على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنهم أهل الحرم، وأعز من فيه، مع معرفتهم التامة بالنبي «صلى الله عليه وآله»، وبحسبه ونسبه، وحتى بصفاته الشخصية، وبسيرته الذاتية، كما دلت عليه كلماتهم، فقد قالوا لعويمر: «محمد لا يَغْدِر، ولا يريد أن يُغْدَرَ به»، فاكتفوا بمعرفتهم هذه عن أخذ العهود والمواثيق عليه.

وكيف لا يعرفونه، وهم يدّعون أنهم أهل الحرم، وأعز ساكنيه، والنبي «صلى الله عليه وآله» وسائر آبائه هم سادات هذا الحرم الذين لا يجهلهم أحد..

فكيف استجازوا لأنفسهم أن يقولوا لسادة الحرم، وحفظته ولنبي هو أعظم وأقدس رجل على وجه الأرض، وأعز من في الحرم: إنهم أهل الحرم، وأعز من فيه؟!

وفود مزينة:

عن النعمان بن مقرن قال: قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أربعمائة من مزينة وجهينة، فأمرنا بأمره، فقال القوم: يا رسول الله، ما لنا من طعام نتزوده.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لعمر: «زود القوم».

فقال: يا رسول الله، ما عندي إلا فضلة من تمر، وما أراها تغني عنهم شيئاً.

قال: «انطلق فزودهم».

فانطلق بنا إلى عُلِّيَّة، فإذا تمر مثل البكر الأورق.

فقال: خذوا.

فأخذ القوم حاجتهم. قال: وكنت في آخر القوم، فالتفت وما أفقد موضع تمرة، وقد احتمل منه أربعمائة وكأنا لم نرزأه تمرة [1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١١ عن أحمد، والطبراني، والبيهقي، وأبي نعيم، وفي هامشه عن مسند أحمد ج٥ ص٤٥٥، وراجع: الآحاد والمثاني للضحاك ج٢ ص٣٤٢، وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٤٦٢، وموارد الظمآن للهيثمي ج٧ ص٥٢.

وروى ابن سعد[1] **عن كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده قال:** كان أول من وفد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مضر أربعمائة من مزينة، وذلك في رجب سنة خمس، فجعل لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» الهجرة في دارهم وقال: «أنتم مهاجرون حيث كنتم، فارجعوا إلى أموالكم»، فرجعوا إلى بلادهم.

وعن أبي مسكين، وأبي عبد الرحمن العجلاني قالا: قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفر من مزينة، منهم خزاعي بن عبد نهم، فبايعه على قومه مزينة، وقدم معه عشرة منهم، فيهم بلال بن الحارث، والنعمان بن مقرن، وأبو أسماء، وأسامة، وعبد الله بن بردة، وعبد الله بن درة، وبشر بن المحتفز، وكان منهم دكين بن سعيد، وعمرو بن عوف[2].

قال: وقال هشام في حديثه: ثم إن خزاعياً خرج إلى قومه، فلم يجدهم كما ظن، فأقام، فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» حسان بن ثابت، فقال: «اذكر خزاعياً ولا تهجه».

فقال حسان بن ثابت:

ألا أبلغ خزاعياً رسولاً ... بأن الذم يغسله الوفاء

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١١ وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٣٨ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٧٨ و ١٧٩ ومسند أحمد ج٤ ص٥٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١١ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٣٨.

وأنـك خـير عـثـمان بن عـمـرو　　　وأسـنـاهـا إذا ذكـر الـسـنـاء

وبـايـعـت الرسول وكان خـيراً　　　إلى خـيـر وأداك الـثـراء

فـما يـعـجـزك أو مـا لا تـطـقـه　　　من الأشـيـاء لا تـعـجـز عـداء

قال: وعِدَاء بطنه الذي هو منه.

قال: فقام خزاعي، فقال: يا قوم، قد خصكم شاعر الرجل، فأنشدكم الله.

قالوا: فإنَّا لا ننبوا عليك.

قال: وأسلموا ووفدوا على النبي «صلى الله عليه وآله»، فدفع رسول الله «صلى الله عليه وآله» لواء مزينة يوم الفتح إلى خزاعي، وكانوا يومئذٍ ألف رجل. وهو أخو المغفل أبي عبد الله بن المغفل، وأخو عبد الله ذي البجادين[1].

ونقول:

قد تحدثنا عن وفادة بلال بن الحارث في أربعة عشر رجلاً من مزينة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سنة خمس، في نفس كتابنا هذا في الباب الخامس، في الفصل السادس بعنوان: «متفرقات الأحداث»..

ولذلك فنحن نشير هنا إلى ما لم نشر إليه هناك، فنقول:

١ ـ إن الناس كما أشرنا إليه أكثر من مرة كانوا يرون: أن النبي «صلى الله عليه وآله» مسؤول عن شفاء مرضاهم، وعن حل مشاكلهم، وحتى عن تزويدهم بالطعام.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤١١ و ٤١٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٩٢، والإصابة ج٢ ص٢٣٨، وأعيان الشيعة ج١ ص٢٤٠.

والنبي «صلى الله عليه وآله» لم يحاول أن يعفي نفسه من هذه المسؤولية، رغم أنه لم يكن يملك ما يزودهم به فعلاً، فما كان منه إلا أن بادر إلى التصرف الغيبي، دون أن يستفيد ـ بحسب ظاهر الأمر ـ من الدعاء والابتهال، بل هو قد فعل ذلك على سبيل المبادرة بالأمر الحاسم والجازم.

٢ ـ إن خزاعي بن عبد نهم كان قادراً على إقناع قومه بالإسلام، ولكنه تقاعس عن ذلك لا لعناد، ولا استخفاف، وإنما لظنه أن رفضهم الذي واجهوه به في المرة الأولى يكفي عذراً له، ويجعله في حل من الوفاء بما التزم به..

فأراد «صلى الله عليه وآله» إثارة الحافز لديه، وإفهامه أن ينتظر وفاءه، فأشار إلى حسان ليذكره في شعره، دون أن يهجوه، لأنه لا يستحق الهجاء من جهة، ولأن المطلوب من جهة أخرى هو التحريك والإثارة، لمعاودة المحاولة..

٣ ـ ولسنا نشك في أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان عارفاً بمدى تأثير خزاعي في قومه، وما له من المكانة فيهم، وأنه سيكون قادراً على الوفاء بما أخذه على نفسه، وهكذا كان..

٤ ـ وأما أنه «صلى الله عليه وآله» قد جعل لمزينة الهجرة في دارهم فقد تحدثنا عن موضوع الهجرة في جزء سابق من هذا الكتاب، فراجع ما ذكرناه حين الكلام عن هجرة العباس..

مع ملاحظة: أن مزينة كانت إحدى قبائل النفاق التي كانت حول المدينة، حيث يقال: إنها مقصودة في قوله تعالى: **﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾**[1].

---

(١) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

وفد أشجع:

قدمت أشجع على رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام الخندق، وهم مائة، ورأسهم مسعود بن رخيلة، فنزلوا شعب سلع.

فخرج إليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأمر لهم بأحمال التمر.

فقالوا: «يا محمد، لا نعلم أحداً من قومنا أقرب داراً منك منَّا، ولا أقل عدداً، وقد ضقنا بحربك وبحرب قومك، فجئنا نوادعك». فوادعهم.

ويقال: بل قدمت أشجع بعد ما فرغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» من بني قريظة، وهم سبعمائة، فوادعهم، ثم أسلموا بعد ذلك [1].

دلالة في موادعة أشجع:

إن وفد أشجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» له اهمية، ودلالات ذات قيمة، فقد جاء هذا الوفد بعد انتصارٍ ثمينٍ جداً، حققه النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمون على يد علي أمير المؤمنين «عليه السلام» في كل من الخندق وقريظة على قوى كبيرة وأساسية جداً، وذات فعالية في المنطقة، وهي قريش في مكة، وقريظة في المدينة، وذلك بعد حربي بدر وأُحد، وهما من أهم وأخطر الحروب بالنسبة للمسلمين..

ومن الطبيعي: أن يكون لدى المسلمين حساسية بالغة في هذا الظرف بالذات، فوجود المشركين في المحيط الذي يعيش فيه المسلمون يشكل مصدر تهديد بالغ الخطورة لأمن المسلمين وحتى لمستقبلهم ووجودهم، إذا

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٣ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى ج١ ص٣٠٦.

استطاع اليهود في خيبر، أو المشركون بزعامة قريش أن يستفيدوا من تلك القبائل المنتشرة حول المدينة، وفي سائر المناطق في الجهد الحربي بمختلف أنواعه ومستوياته.

وهذه القبيلة، وإن كانت قد تذرعت بضعفها وبقرب مساكنها لتبرير طلب الموادعة، ولكن ذلك لا يمنع من أن تمارس دوراً خطيراً ـ ولو تجسسياً ـ في ظل هذه الموادعة بالذات، التي تؤمن لها غطاءً كافياً لصرف الأنظار عن وجهة نشاطها وطبيعتها.

من أجل ذلك نقول:

إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد عامل هؤلاء الناس بأخلاق النبوة، حيث ابقاهم بالقرب منه، ولم يتخذ أي إجراء ضدهم، يقوم على اساس استغلال ضعفهم، وخوفهم، لأنه «صلى الله عليه وآله» يريد ان يعطيهم فرصة ليعيشوا التأمل في حركة الأحداث، وفي الرعاية الإلهية لمسيرة أهل الإيمان، مع إبقاء الوضع القائم مع هذه القبيلة تحت السيطرة، في الوقت الذي يكون قد حسم أمر عدم مشاركتها العلنية في أي نشاط عسكري ضد المسلمين. خصوصاً وأن هذه الموادعة تفتح الطريق، وتعطيه الحق بإنزال ضربات حاسمة بحقها، لو أرادت ذلك لأنها تكون قد نقضت عهداً، ومارست خيانةً لعهد هي التي طلبته، وصنعته بملء اختيارها، ومن دون أي إكراه، أو إلجاء.

وفود بني عامر بن صعصعة:

عن ابن عباس، وسلمة بن الأكوع، وابن إسحاق قالوا: قَدِم على

رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفد بني عامر، فيهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس، وجبار بن سلمى (قاتل عامر بن فهيرة ببئر معونة)، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم، [وكان في نية عامر بن الطفيل عدو الله الإعتداء على رسول الله «صلى الله عليه وآله» و الغدر بالنبي «صلى الله عليه وآله»].

وقد قال لعامر بن الطفيل قومه: يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم.

قال: والله، لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، أفأتبع عقب هذا الفتى من قريش؟ ثم قال لأربد: إذا قدمنا على الرجل فسأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعلُهُ بالسيف[1].

وفي حديث ابن عباس: فإن الناس إذا قتلت محمداً لم تزد على أن تلتزم بالدية، وتكره الحرب، فسنعطيهم الدية.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦١ عن ابن المنذر وج١٠ ص٢٦٠، وابن أبي حاتم، وأبي نعيم، وابن مردويه، والبيهقي، والحاكم، وابن إسحاق، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٣٠ و ١٣١، وقرب الاسناد ص٣٢١، والبحار ج١٧ ص٢٢٨ وج٢١ ص٣٦٥، وراجع: حلية الأبرار للبحراني ج١ ص١١٤، والدرر لابن عبد البر ص٢٥٣، وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٩٨، والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٩٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٧٩، والوافي بالوفيات ج٨ ص٢١٦، والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص٦٨، وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٠٠ وج١٢ ص٩٤، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٩٢، وإعلام الورى بأعلام الهدى ج١ ص٢٥٠، وعيون الأثر ج٢ ص٢٧٧، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٠٩، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٦.

قال أربد: افعل.

وانتهى إليه عامر وأربد، فجلسا بين يديه.

قال ابن إسحاق: قال عامر بن الطفيل: يا محمد، خالني[1].

قال: «لا والله، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له».

قال: يا محمد خالني، وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به. ولكن أربد لا يحير شيئاً.

وفي حديث ابن عباس: إن يد أربد يبست على السيف فلم يستطع سله.

قال ابن إسحاق: فلما رأى عامر أربد ما يصنع شيئاً قال: يا محمد خالني.

قال: «لا والله، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له».

وفي حديث ابن عباس: فقال عامر: ما تجعل لي يا محمد إن أسلمت؟

فقال رسول الله «عليه السلام»: «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم».

قال عامر: أتجعل لي الأمر بعدك إن أسلمت؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ليس ذلك لك ولا لقومك، ولكن لك أعنة الخيل».

قال: أنا الآن في أعنة خيل نجد، أتجعل لي الوبر ولك المدر؟

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا».

فلما قاما عنه قال عامر: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً.

---

(١) أي: إجعلني خليلاً.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يمنعك الله عز وجل»[1].

وفي حديث موله بن [كثيف] بن حمل: والله يا محمد، لأملأنها عليك خيلاً جُرداً ورجالاً مُرداً، ولأربطن بكل نخلة فرساً.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم اكفني عامراً».

زاد قوله: «واهد قومه»[2].

وفي رواية أخرى: أنه خيّر النبي «صلى الله عليه وآله» بين ثلاث أن

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦١ وج١٠ ص٢٦٠، وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ج٥ ص٣١٩، وذكره ابن كثير في البداية ج٥ ص٥٧، والهيثمي في المجمع ج٧ ص٤٤، وعزاه للطبراني في الأوسط والكبير بنحوه، والبحار ج٢١ ص٣٦٥، وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٩٨، وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٠٠ وج١٢ ص٩٤، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٩١، وإعلام الورى بأعلام الهدى ج١ ص٢٥٠، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٢٧٧، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٠٩، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٦.

وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٣١، والدر المنثور ج٤ ص٤٦ عن الطبراني في الكبير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في دلائل النبوة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦١ و ٣٦٢ وفي هامشه عن دلائل النبوة ج٥ ص٣٢١ والمعجم الكبير ج٦ ص١٥٥ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٦ والبداية والنهاية ج٥ ص٧٥ وراجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٣١، والدر المنثور ج٤ ص٤٦ عن الطبراني في الكبير، وابن المنذر، وأبي نعيم في دلائل النبوة، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٧٩، وإمتاع الأسماع ج١٢ ص٩٦، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١١٠.

يكون للنبي أهل السهل، ولعامر أهل المدر، او أن يكون له الأمر من بعده، أو يغزوه بألف أشقر وألف شقراء، فطعن في بيت امرأة من بنى سلول، فقال أغدة كغدة البكر في بيت امرأة من بنى فلان الخ..»[1].

قال ابن إسحاق: فلما خرجوا من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال عامر لأربد: ويلك يا أربد، أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك، وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً.

قال: لا أبا لك لا تعجل علي، والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟»[2].

---

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٣٢ عن البخاري وعن البيهقي في الدلائل، والدرر لابن عبد البر ص٢٥٤، وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٩٨، والوافي بالوفيات ج١٦ ص٣٣٠، والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص٦٨، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٩٢، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١١٠، وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٢، وخزانة الأدب للبغدادي ج٣ ص٨١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٢ وج١٠ ص٢٦٠، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٣١، والبحار ج٢١ ص٣٦٥، وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٩٨، والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٩٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٧٩، والوافي بالوفيات ج٨ ص٢١٧، والبداية والنهاية ج٥ ص٦٨، وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٠٠ وج١٢ ص٩٥، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٩٢، وإعلام الورى بأعلام الهدى ج١ ص٢٥٠، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٢٧٨، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١١٠، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٧، وخزانة الأدب ج٣ ص٨٠.

وفي رواية غير ابن إسحاق: إلا رأيت بيني وبينه سوراً من حديد.

وفي رواية: لما أردت أن أسل سيفي نظرت فإذا فحل من الإبل، فاغر فاه بين يدي يهوي إلي، فوالله لو سللته لخفت أن يبتلع رأسي.

وجمع: بأن تكرر الهمِّ صاحبه واحد من هذه الأمور[1].

وفي حديث ابن عباس: فلما خرج أربد وعامر من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى إذا كان بحرّة واقم نزلا، فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير، فقالا: إشخَصا يا عدوا الله عز وجل، لعنكما الله.

فقال عامر: من هذا يا أربد؟

قال: هذا أسيد بن الحضير، فخرجا[2].

وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، قال: مكث رسول الله «صلى الله عليه وآله» يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحاً: «اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت، وابعث عليه داء يقتله». حتى إذا كان بالرقم بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه، فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول. فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول: يا بني عامر أغُدَّة كغُدَّة البكر في بيت امرأة من بني سلول؟[3].

---

(١) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٣١ عن الروض الأنف.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٢ والدر المنثور ج٤ ص٤٦، والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص٧١.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٢ وج١٠ ص٢٦٠، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٣١، والبحار ج٢١ ص٣٦٥، وتاريخ الطبري ج٢ ص٣٩٨، والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٩٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٦٧٩، =

زاد ابن عباس: يرغب عن أن يموت في بيتها.

ثم ركب فرسه فأحضرها، وأخذ رمحه وأقبل يجول، فلم تزل تلك حاله حتى سقط عن فرسه ميتاً[1].

قال ابن إسحاق: ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بني عامر شاتِّين. فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا: ما وراءك يا أربد؟

قال: لا شيء، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله. فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه، فأرسل الله عز وجل عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما.

وفي حديث ابن عباس: حتى إذا كان بالرقم أرسل الله تعالى عليه صاعقة فقتلته.

قال ابن عباس وابن إسحاق: وأنزل الله عز وجل في عامر وأربد: ﴿اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ

= والوافي بالوفيات ج٨ ص٢١٧، والبداية والنهاية ج٥ ص٦٨، وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٠٠ وج١٢ ص٩٥، والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٩٩٢، وإعلام الورى بأعلام الهدى ج١ ص٢٥٠، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٢٧٨، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١١٠، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٧، وخزانة الأدب ج٣ ص٨٠.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦١ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٣٢، والبداية والنهاية ج٥ ص٦٩، وإمتاع الأسماع ج١٢ ص٩٦، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١١٠، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٤٨.

بِمِقْدَارٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[1]»[2].

ونقول:

إن لنا هنا وقفات نوردها فيما يلي:

خوف ابن الطفيل من أربد:

إن عامر بن الطفيل يصرح بأنه كان يخاف من أربد خوفاً عظيماً، مع أنه صاحبه، والمتآمر معه على رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وصدق الله حيث يقول: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾[3]. وإذا كان عامر يخاف من أربد، فهل لا يخاف من علي بن أبي طالب «عليه السلام» قالع باب خيبر، إلا أن يقصد أنه يخاف من مكر أربد به. وإن كان ذلك خلاف ظاهر كلامه، حيث إنه إنما يتكلم عن شجاعة أربد لا عن مكره وغدره.

تاريخ هذه القضية:

قال في البداية: الظاهر: أن قصة عامر بن الطفيل متقدمة على الفتح،

---

(١) الآيات ٨ ـ ١٣ من سورة الرعد.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٣ و ٣٦٤ وفي هامشه عن: مجمع الزوائد ج١٠ ص٥٤ عن الطبراني في الكبير والأوسط، وأبي يعلى، والدر المنثور ج٤ ص٤٦ عن الطبراني في الكبير، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي نعيم في دلائل النبوة.

(٣) الآية ١٤٠ من سورة الحشر.

وإن كان ابن إسحاق والبيهقي قد ذكراها بعد الفتح[١]. وقد قدمنا طائفة من نصوصها المختلفة، وبعض ما يرتبط بها في غزوة بئر معونة، فراجع..

بل إن ذكر سعد بن معاذ فيها يدل على أن قدوم ابن الطفيل كان قبل سنة خمس، لأن سعداً استشهد في غزوة بني قريظة، وذلك ظاهر..

هل النبي ﷺ فتى؟!:

قد يقال: إن عامر بن الطفيل وصف النبي «صلى الله عليه وآله» لأربد بن قيس بأنه فتى، مع أن عُمُرَ النبي «صلى الله عليه وآله» حينئذٍ كان أكثر من ستين سنة، والفتى في اللغة هو الشاب الحدث[٢].

ويمكن أن يجاب: أن كلمة «غلام» تطلق على الكهل، وعلى الشاب فهي من الأضداد[٣].

فكذلك كلمة «فتى»، فإنها وإن كان معناها الشاب الحدث، لكنها قد تستعار فتطلق على العبد حتى لو كان شيخاً[٤].

طموحات عامر بن الطفيل:

إننا نقرأ فيما تقدم: أن عامر بن الطفيل آلى على نفسه أن لا ينتهي حتى تتبع العرب عقبه، أفيتبع عقب هذا الفتى من قريش؟!

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٤ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٣٠.

(٢) راجع: أقرب الموارد ج٢ ص٩٠٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) راجع: أقرب الموارد ج٢ مادة «فتى».

ونقول:

أولاً: لا ندري بماذا يريد عامر بن الطفيل أن يحمل العرب على أن يطأوا عقبه، ويكون هو الزعيم الأوحد لهم. هل يريد أن ينال هذا المقام بعلمه، ومن أين له العلم النافع وهو رجل أعرابي، وقد وصف الله الأعراب بقوله: ﴿**الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[1].

أم باستقامته على جادة الحق، وبإيمانه وتقواه، والقرآن يقول: ﴿**الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً**﴾.

أم بماله الكثير، الذي ينفقه على الناس. وهو أعرابي أيضاً لم يؤثر عنه جود أو كرم، ولم نقرأ اسمه في أسخياء العرب، كحاتم الطائي، وزيد الخيل، وقيس ابن سعد وغيرهم.. وهو أيضاً أعرابي ويقول الله تعالى عن الأعراب: ﴿**وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[2]»[3]. فالأعراب يرون أن الإنفاق في الجهاد للدفاع عن أرواح الناس، وعن أعراضهم وأموالهم، وعن حرياتهم وكراماتهم، أو في سبيل الخير (يرون هذا الإنفاق) مغرماً وخسارة. وبلا فائدة ولا عائدة، فهل ينفقون أموالهم على الفقراء والمحتاجين؟! أم بجاهه العريض، وشهرته الواسعة، وهو لم يكن أشهر من غيره من زعماء العرب

---

(١) الآية ٩٧ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٩٨ من سورة التوبة.

(٣) أقرب الموارد ج٢ ص٨٨٤.

ورجالاتهم؟!

أم بسعيه إلى إثبات إخلاصه وحبه للناس، ونيل ثقتهم به، وهو أعرابي، والله تعالى يقول عن الأعراب: إن منهم مَنْ ﴿يَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

أم بقوته، وبشجاعته.. وكأنه لم يسمع بما صنعه أمير المؤمنين «عليه السلام» بمشركي العرب، في بدر وأحد، وحنين وذات السلاسل، وسوى ذلك، وباليهود من بني النضير، وقينقاع، وقريظة، وخيبر..

وهل من المعقول: أنه لم يبلغه اقتلاع علي «عليه السلام» لباب خيبر.. وغير ذلك مما لا يجهله أحد؟!

وماذا يصنع ابن الطفيل بفرسان العرب، وصناديدها، وفيهم الكثير من الرجال الأشداء، الذين يواجهون الأهوال، ويركبون المخاطر؟!

أم بميزاته وخصائصه الإنسانية وهو الذي يمارس الغدر حتى في نفس هذا المقام، فيتآمر مع أربد بن قيس على قتل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، في حين أنه يواجه خُلق النبوة العظيم، والنبي الكريم، والكرم الهاشمي، والعلم الإلهي، وكل الخصال الحميدة، والمزايا الفريدة في شخص من يريد الغدر به وقتله، وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثانياً: إن عامر بن الطفيل يصرح للناس بما يدل على شدة أنانيته، وغروره وعنجهيته، واحتقاره للناس، وأنه لا ينطلق في مواقفه من أخلاق ومبادئ وقيم، فإنه يتجاهر بقوله: إنه يريد أن يجعل الناس يطأون عقبه،

---

(١) الآية ٩٩ من سورة التوبة.

ويكونون في خدمته، وتحت زعامته.

وفي مقابل ذلك نلاحظ: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» رغم كل تضحياته في سبيل الأمة يقول لهم: **﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**(١).

ورغم شدة العرب عليه «صلى الله عليه وآله» كان يذوب رقة وحناناً، وأسفاً عليهم، حتى إن الله سبحانه يقول له: **﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾**(٢).

ويقول: **﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾**(٣).

ومعنى باخع نفسك: قاتل نفسك.

توقعات ابن الطفيل للمستقبل:

وقد توقع عامر بن الطفيل أن يقتل النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم يرضى الناس بديته، لأنهم يكرهون الحرب. ولم يحسب أي حساب لغضب أهل الإيمان، ونخوتهم، وشدة محبتهم لنبيهم، ولا سيما علي «عليه السلام» قالع باب خيبر، وفاتح حصونها، وقاتل عمرو بن عبد ود، وهازم الأحزاب، ومذل المشركين في بدر وأحد، وحنين وسواها. فهل سيتركه علي «عليه السلام»، وهو الذي فدى النبي «صلى الله عليه وآله» بنفسه ليلة

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

(٢) الآية ٨ من سورة فاطر.

(٣) الآية ٦ من سورة الكهف.

الهجرة، ويدعه يرجع الى بلده سالماً غانماً؟

وهل سيترك الأنصار وسائر أهل المدينة نبيهم يقتل، ثم يرضون بديته.. وهم يرتبطون به برباط الإيمان، ويرون أنفسهم ملزمين بالإنتقام من قتلة الأنبياء، والأوصياء..

وإذا استطاع أن يقتل النبي «صلى الله عليه وآله»، فهل سيرضى العرب المسلمون بابن الطفيل رئيساً لهم، وهل؟ وهل؟ الخ..

النبي ﷺ يرفض خلة ابن الطفيل:

وقد طلب عامر بن الطفيل من النبي «صلى الله عليه وآله» بأن يتخذه خليلاً، وقد رفض النبي «صلى الله عليه وآله» طلبه هذا، إلا أن يسلم، فإن آمن بالله وحده لا شريك، فإنه سيفعل ذلك، فأصرَّ عامر على النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك، فأصر «صلى الله عليه وآله» على الرفض إلا إذا أسلم عامر.

فلو أن عامراً أسلم لفاز بخُلَّة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما فاز بها سعد بن معاذ[1] من قبل.. وزعموا ذلك لعثمان بن عفان أيضاً[2].

وهذا يضع علامة استفهام كبيرة حول حديث: لو كنت متخذاً خليلاً

---

(١) الغدير ج٩ ص٣٤٧ وكنز العمال ج١١ ص٧٢٠ ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج٥ ص٢٣١.

(٢) تاريخ بغداد ج٦ ص٣٢١ والغدير ج٩ ص٣٤٦ و ٣٤٧. وفيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج٥ ص٣٦٨.

لاتخذت أبا بكر خليلاً[1]، من حيث إنه يوجب اتهام أبي بكر بالكفر ـ والعياذ بالله ـ إذ لو كان مسلماً لكان النبي «صلى الله عليه وآله» قبل خلته..

وببيان أكثر تفصيلاً نقول:

إن حديث عامر يدل على أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يتخذ المشرك خليلاً، ولا يلزم من هذا أن يكون كل من لم يتخذه النبي «صلى الله عليه وآله» خليلاً مشركاً، فقد لا يقبل «صلى الله عليه وآله» خلّة مسلم لمانع آخر فيه..

لكن هؤلاء يقولون: إن أبا بكر خير من عامر في سائر صفاته ما عدا الإيمان، فينبغي أن لا يكون فيه مانع آخر عن قبول خلته غير الشرك، ومع ذلك فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يتخذه خليلاً.

وهذا يعني أن النبي «صلى الله عليه وآله» يكون أمام خيارين:

الأول: أن لا يتخذ خليلاً أصلاً، كما قال في حديث أبي بكر، فيرد

---

(١) المصنف للصنعاني ج١٠ عن ابن الزبير، وفي هامشه عن سعيد بن منصور، والغدير ج٩ ص٣٤٧ عن صحيح البخاري ج٥ ص٢٤٣ باب المناقب، وباب الهجرة ج٦ ص٤٤، والطب النبوي لابن القيم ص٢٠٧، والمحلى ج١ ص٣٥ وج٩ ص٢٨٧، ومسند احمد ج١ ص٣٥٩ و٤٠٨ و٤١٢ و٤٣٤ و٤٣٧ و٤٣٩ و٤٥٥ و٤٦٣، وسنن الدارمي ج٢ ص٣٥٣، وصحيح البخاري ج٤ ص١٩١، وصحيح مسلم ج٧ ص١٠٨، والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٢٤٦، وفتح الباري ج٣ ص٤٧، وعمدة القاري ج٤ ص٢٤٤، ومسند أبي داود الطيالسي ص٣٩، والمصنف ج١٠ ص٢٦٣، ومسند ابن راهويه ج١ ص٤١، وكتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم ص٥٦٣، وغيرها كثير فراجع.

سؤال: لماذا إذن قال «صلى الله عليه وآله» لعامر: إنه يتخذه خليلاً إذا آمن بالله وحده؟!

الثاني: أن يتخذ خليلاً إذا انتفت الموانع، وأبرزها الشرك، فير سؤال أيضاً وهو: لماذا قال «صلى الله عليه وآله»: لو كنت متخذاً الخ.. فقرر أنه لم يتخذ أبا بكر ولا غيره خليلاً مع أن أبا بكر خير من عامر عند هؤلاء؟!

وخلاصة الأمر إننا نقول:

إن حديث «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر» مكذوب كما قدمناه في أوائل هذا الكتاب، فراجع حديث المؤاخاة في فصل: «أعمال تأسيسية في مطلع الهجرة».

ولعلهم أرادوا به تكذيب حديث خلة النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»، وتعويض أبي بكر عما لحقه بسبب ذلك. فوضعوا حديث: لو كنت متخذاً خليلاً الخ..

وعن حديث خلة علي «عليه السلام» نقول:

١ ـ أخرج عبد الكريم بن أحمد الرافعي القزويني عن أبي ذر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: لكل نبي خليل، وإن خليلي وأخي علي[1].

٢ ـ روى ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن الإمام الباقر، عن أبيه، عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب «عليهم السلام»؛ قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: علي بن أبي طالب خليفة الله وخليفتي، وخليل الله

---

(١) إحقاق الحق (الملحقات) ج٤٠ ص٢٢٣ عن مفتاح النجا للبدخشي (مخطوط)، وكنز العمال ج١١ ص٦٣٤، وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٥٠.

وخليلي، وحجة الله وحجتي الخ..»[1].

يذكر ابن حضير دون ابن معاذ:

والذي يثير الإنتباه أيضاً: أن الرواية التي ذكرت لحوق سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير لعامر بن الطفيل وأربد من قيس، حيث طردوه ولعنوه.. تقول: أن عامراً سأل عن الرجلين، فأجابه أربد بقوله: هذا أسيد بن الحضير، ولم يذكر سعد بن معاذ..

وذلك يشير إلى أن ثمة رغبة في إعزاز أسيد بن حضير لإيفائه بعض حقه، لأنه ساعد أبا بكر في سعيه للخلافة، وكان إلى جانبه في سقيفة بني ساعدة، ولديه قرابة.. حتى لو كان هذا الإعزاز على حساب شهيد اهتز العرش لموته ألا وهو سعد بن معاذ رحمة الله تعالى..

الأمر ليس لك ولا لقومك:

وقد أجاب النبي «صلى الله عليه وآله» عامر بن الطفيل حين طلب منه أن يجعل له الأمر من بعده: «ليس ذلك لك ولا لقومك».

---

(١) إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٢٩٧ عن مناقب الإمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي، والأمالي للشيخ الصدوق ص٢٧١، ومائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي ص٣٤، وكنز الفوائد للكراجكي ص١٨٥، والعقد النضيد والدر الفريد للقمي ص١٤٨، والصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي ج٢ ص٣٤، والبحار ج٢٦ ص٢٦٣ وج٣٨ ص١٣٧ و١٥١، وبشارة المصطفى للطبري ص٦٠، ونهج الإيمان لابن جبر ص٢١٧.

فلو كان أمر الخلافة بيد البشر، فلماذا يطلبه عامر من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وقد يقال: لعل عامراً قد توهم أن الأمر في الإسلام يشبه ما عرفه من أمر الجاهلية، حيث كانت السلطة تنتقل من السابق إلى اللاحق باختيار السابق له، وجعل الأمر إليه.. ولم يعلم أن الإسلام قد أرجع الأمر إلى الناس وجعله شورى بينهم.

ويجاب: بأنه لو صح لكان يجب على النبي «صلى الله عليه وآله» أن يرجعه إلى الصواب، ويعلمه ما جهله، ويقول له: «إن الأمر ليس لي، فإن رضوا بك واختاروك، فلا مانع لدي»..

ولكنه «صلى الله عليه وآله» قد آيسه منها وأعلن أنه لا حق له ولا لقومه، ولو أنه «صلى الله عليه وآله» اكتفي بالإخبار عن عامر ولم يذكر قومه لأمكن أن يقال: لعله لمعرفته بأنه سوف يموت على الكفر، ولن يصل إلى شيء..

ولكنه حين أضاف إليه قومه، فإن التصريح بحرمانهم كعامر من هذا الأمر يدل على أن الأمر لم يكن بيد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً فضلاً عن أن يكون بيد الناس، وأن الأمر لله تعالى يضعه حيث يشاء، كما قال «صلى الله عليه وآله» لبني عامر بن صعصعة حين عرض عليهم دعوته في مكة، وشرطوا عليه أن يكون لهم من بعده.

غضب ابن الطفيل وتهديده:

ولا يفاجئنا توعد عامر بن الطفيل للنبي «صلى الله عليه وآله» بأن

يملأها عليه خيلاً ورجالاً. فإن هذا الرجل المحب للدنيا والمغرور بنفسه، والذي بلغ غروره حداً جعله يطلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثمناً لإسلامه، وهو: أن يجعله خليفته من بعده، وأن يكون للنبي «صلى الله عليه وآله» المدر وله الوبر.

ومع أنه يرى بأم عينيه كيف أنه «صلى الله عليه وآله» هزم قريشاً، ومشركي العرب، وهزم اليهود أيضاً، وواجه قيصر الروم، ودخلت البلاد والعباد في دينه.

نعم، إنه مع ذلك يتهدد النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه سوف يملأ الأرض عليه خيلاً ورجالاً، والذي قاده إلى ذلك كله هو غروره وحمقه ولا شيء أكثر من ذلك. ولكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يجبه على تهديده باستعراض قوته، ولا بتعداد انتصاراته، بل أوكل الأمر إلى الله سبحانه، لكي يفهمه: أن الله أيضاً معه، ومن ينصره الله فلا غالب له.

الموت الذليل:

وقد جاء الرد الإلهي ليقول لابن الطفيل، وكل من يجاريه في تفكيره وفي تصوراته ليقول لهم: إن هذا الغرور الذي أوصل عامراً إلى موقع البغي والطغيان سوف يثمر لأهله مهانة وذلاً، يكابد آلامه، ويواجهه خزيه في لحظات يرى نفسه عاجزاً عن المواجهة. فإن الخيل والرجال، وامتلاك أعنة خيل أهل نجد لا تدفع عنه الغدة التي ظهرت في عنقه، ولا تجديه في دفع الموت الذليل عنه، حيث مات في بيت سلولية.

وقد عبر هو نفسه عن مرارته البالغة من هذا الواقع الذي أوصله إليه

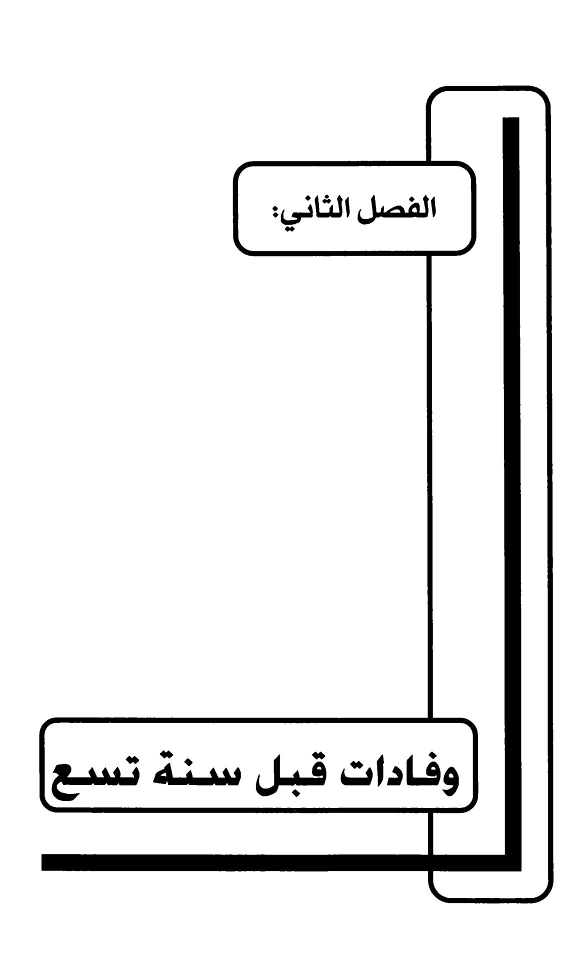
غروره وطغيانه وجحوده.

«**فجعل يمس قرحته في حلقه، ويقول**: يا بني عامر، أغدة كغدة البكر في بيت امرأة من بني سلول»؟!.

الجحود رغم ظهور الآيات:

وقد تقدم: أن أربد بن قيس لم يستطع أن يسل سيفه لقتل رسول الله «صلى الله عليه وآله». وحين عاتبه عامر بن الطفيل على عدم تنفيذ ما اتفقا عليه أخبره بالأمر.. ولكن ذلك لم ينفع في بخوع عامر أو أربد للحق، وقبولهما الإيمان.. بل بقي عامر يفاوض ويصر على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليحصل على عوضٍ عن إيمانه.. وكأنه يحسب أن إيمانه يمثل خسارة شيء عظيم، يوازي خلافة النبوة، أو على الأقل الأمارة على جميع الوبر.

أما أربد بن قيس، فلم يكن موقفه أفضل من موقف عامر، فهو ليس فقط قد وافق عامراً على موقفه، وإنما زاد عليه: أنه أخبر قومه أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» دعاه لعبادة من يتمنى لو أنه عنده حتى يرميه بنبله حتى يقتله. وهذا غاية في الجرأة على مقام العزة الإلهية، فاستحق أن يرميه الله تعالى بالصواعق، وله في الآخرة عذاب أليم.



الفصل الثاني:

وفادات قبل سنة تسع

رسالة الصفاء

خمسة رسائل [illegible]

وفود بني ثعلبة:

عن رجل من بني ثعلبة [عن أبيه] قال: لما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الجعرانة سنة ثمان قدمنا عليه أربعة نفر، وافدين مقرين بالإسلام. فنزلنا دار رملة بنت الحارث[1]، فجاءنا بلال، فنظر إلينا فقال: أمعكم غيركم؟

قلنا: لا.

فانصرف عنا، فلم يلبث إلا يسيراً حتى أتانا بجفنة من ثريد بلبن وسمن، فأكلنا حتى نهلنا. ثم رحنا الظهر، فإذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء، فرمى ببصره إلينا، فأسرعنا إليه، وبلال يقيم الصلاة.

فسلمنا عليه وقلنا: يا رسول الله، نحن رسل من خلفنا من قومنا، ونحن [وهم] مقرون بالإسلام، وهم في مواشيهم وما يصلحها إلا هم، وقد قيل لنا يا رسول الله: «لا إسلام لمن لا هجرة له»

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم».

---

(١) الحارث: جد رملة، أما أبوها فاسمه الحدث (بفتح الدال) بن ثعلبة بن الحرث كما يقول الواقدي. وعند ابن سعد اسمه الحرث: راجع: الإصابة ج٤ ص٣٠٥.

وفرغ بلال من الأذان، وصلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنا الظهر، لم نصل وراء أحد قط أتم صلاة ولا أوجه منه، ثم انصرف إلى بيته، فدخل، فلم يلبث أن خرج إلينا فقيل لنا: صلى في بيته ركعتين.

فدعا بنا، فقال: «أين أهلكم»؟

فقلنا: قريباً يا رسول الله، هم بهذه السرية.

فقال: «كيف بلادكم»؟

فقلنا: مخصبون.

فقال: «الحمد لله».

فأقمنا أياماً، وتعلمنا القرآن والسنن، وضيافته «صلى الله عليه وآله» تجري علينا، ثم جئنا نودعه منصرفين، فقال لبلال: «أجزهم كما تجيز الوفود».

فجاء بنقر من فضة، فأعطى كل رجل منا خمس أواق وقال: ليس عندنا دراهم، فانصرفنا إلى بلادنا[1].

ونقول:

لا إسلام لمن لا هجرة له:

إن هذه الرواية قد تضمنت قولهم: إنه بلغهم أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، وقد لاحظنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يقل لهم: إنه لا هجرة بعد

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٩٥ عن الواقدي، وابن سعد، وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ص٦٣، ومكاتيب الرسول ج٣ ص٢٨٦، والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص١٠٤، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٧٢.

الفتح، بل قرر: أن عدم هجرتهم لا تضرهم إن اتقوا الله..

ومعنى هذا أنه «صلى الله عليه وآله» قد قرر: أن الهجرة باقية بعد الفتح كما كانت قبله.

وقد تحدثنا عن هذا الموضوع حين الكلام عن هجرة العباس، وذلك حين سار النبي «صلى الله عليه وآله» لفتح مكة فراجع.

وفود باهلة:

قالوا: قدم مطرف بن الكاهن الباهلي على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد الفتح وافداً لقومه. فقال: يا رسول الله، أسلمنا للإسلام، وشهدنا دين الله في سماواته، وأنه لا إله غيره، وصدقناك وآمنا بكل ما قلت، فاكتب لنا كتابا.

فكتب له: «من محمد رسول الله لمطرف بن الكاهن، ولمن سكن بيشة من باهلة. إن من أحيا أرضاً مواتاً فيها مراح الأنعام فهي له، وعليه في كل ثلاثين من البقر فارض، وفي كل أربعين من الغنم عتود، وفي كل خمسين من الإبل مسنة، [وليس للمصدق أن يصدقها إلا في مراعيها، وهم آمنون بأمان الله]» [1] الحديث..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٨ عن ابن شاهين عن ابن إسحاق، وابن سعد في الطبقات ج٢ ص٤٩ وذكر العلامة الأحمدي «رحمه الله» في كتابه مكاتيب الرسول ج٣ ص١٤٣ المصادر التالية: الطبقات الكبرى ج١ ص٢٨٤ وفي (ط أخرى) ج١ ق٢ ص٣٣ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٥١ ورسالات نبوية ص٢٦٢ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٣٣، ونقل شطراً منه في الإصابة ج٣ ص٤٢٣/ ٨٠١٤ في ترجمة مطرف بن خالد بن نضلة، وأوعز إليه في أسد الغابة ج٤ ص٣٧٢، والبداية =

وفيه: فانصرف مطرف وهو يقول:

حلفت برب الراقصات عشية ... على كل حرف من سديس وبازل

قال ابن سعد: ثم قدم نهشل بن مالك الوائلي من باهلة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وافداً لقومه فأسلم، وكتب له رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولمن أسلم من قومه كتاباً فيه شرائع الإسلام. وكتبه عثمان بن عفان[1].

ونقول:

بيشة: قرية باليمن على خمس مراحل من مكة.

فظهر أن لبني باهلة وفدين:

= والنهاية ج٥ ص٩١ والوثائق السياسية ص٢٩١/ ١٨٨ عن رسالات نبوية لعبد المنعم خان، والطبقات، ونثر الدر المكنون للأهدل ص٦٦، ثم قال: قابل الطبقات وانظر كايتاني ج٩ ص٧ واشپرنكر ج٣ ص٣٢٢. وذكره ص٢٩٢ لمطرف بن خالد بن نضلة الباهلي نقله عن أسد الغابة وهو ابن الكاهن، وراجع أيضاً ص٧٢٠ عن سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي (خطية باريس) ١٩٩٣ ورقة ٩ ـ ألف.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٠٧ وذكر العلامة الأحمدي «رحمه الله» في كتابه مكاتيب الرسول ج٣ ص١٤١ المصادر التالية: الطبقات الكبرى ج١ ص٢٨٤ وفي (ط أخرى) ج١ ق٢ ص٣٣ و ٤٩ والمصباح المضيء ج٢ ص٣٤٩ ورسالات نبوية ص٢٩٤ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٥١ ومدينة البلاغة ج٢ ص٣٣٤ والوثائق السياسية ص٢٩٢ / ١٨٩ عن رسالات نبوية، ثم قال: قابل الطبقات ١ وانظر كايتاني ج٩ ص٨ واشپرنكر ج٣ ص٣٢٣ وراجع أيضاً ص٧٢٠ من الوثائق عن سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي خطية باريس ١٩٩٣ ورقة ٩ ـ ألف ولخص نص الكتاب.

أحدهما: وفد باهلة، وهم من قيس عيلان.. ومنهم: نهشل بن مالك[1].

والآخر: وفد بني قراص أو قراض وهم بنو شيبان، وقد دخلوا في بني باهلة، وكان على بني شيبان مطرف بن الكاهن[2].

وفود ثمالة والحدّان:

قالوا: قدم عبد الله بن علس الثُّمالي، ومسلمة بن هاران الحدَّاني على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في رهط من قومهما بعد فتح مكة، فأسلموا وبايعوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» على قومهم. وكتب لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً بما فرض عليهم من الصدقة في أموالهم، كتبه ثابت بن قيس بن شماس، وشهد فيه سعد بن عبادة، ومحمد بن مسلمة[3].

---

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج٣ ص١٤٢ عن اللباب ج١ ص١١٦ والأنساب للسمعاني ج٢ ص٧٠ ومعجم قبائل العرب ص٦٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٠٧، وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٣٤٥، والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص٣٧٣، وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٨.

(٢) نهاية الأرب ص١٦١، ومكاتيب الرسول ج٣ ص١٤٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٠٧، والإصابة ج٦ ص١٠٠، والبداية والنهاية ج٥ ص١٠٦، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٧٦، وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٧٨.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٠٣ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٤١ و (دار إحياء التراث العربي) ص٣٦٣ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٨ ص١٣٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٥٣ ومكاتيب الرسول ج١ ص١٦٦ و ٢٨٢ وج٣ ص١٤٠ وعن الإصابة ج٣ ص٧٩٩٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٣٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦٧٢.

ونقول:

١ ـ بنو حدَّان بطن من أزد شنوءة يسكنون عُمان.

وهناك بنو حدَّان أيضاً بطن من همدان من القحطانية، وقد وفد هؤلاء أيضاً على رسول الله «صلى الله عليه وآله» سنة تسع مرجعه من تبوك، وعليهم مقطعات الحبرات، والعمائم المدنية، على الرواحل المهرية، والأرحبية ومالك بن نمط يرتجز ويقول:

همدان خير سوقة وإقبال ... ليس لها في العالمين أمثال

٢ ـ ما ذكره النص المتقدم من أن الوفد أسلموا، وبايعوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» على قومهم يحتمل أحد أمور، هي:

ألف: أن تكون قبيلتهم هي قد قررت الدخول في الإسلام، فأرسلتهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله» لإنجاز هذا الأمر بالصورة التي رأوا أنها مفيدة وسديدة..

ب: أن يكون لأعضاء هذا الوفد من النفوذ والتأثير على من وراءهم، بحيث يطمئنون إلى أنهم يطيعونهم فيما يطلبونه منهم.

ج: أن يكونوا قد أخطأوا التقدير، وتخيلوا أنهم قادرون على أمر.. ثم جاءت الأحداث لتوافق ما تخيلوه، لأسباب لعلها لم تخطر لهم على بال.

وفود بني قشير:

روى ابن سعد عن علي بن محمد القرشي، ورجل من بني عقيل، قالا: وفد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفر من بني قشير فيهم ثور بن عزرة بن عبد الله بن سلمة بن قشير، فأسلم، فأقطعه رسول الله «صلى الله

عليه وآله» قطيعة وكتب له كتاباً.

ومنهم حيدة بن معاوية بن قشير، وذلك قبل حجة الوداع وبعد حنين.

ومنهم قرة بن هبيرة بن سلمة الخير بن قشير، فأسلم، فأعطاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكساه برداً، وأمره أن يتصدق على قومه، أي يلي الصدقة، فقال قرة حين رجع:

حباها رسول الله إذ نزلت به ... وأمكنها من نائل غير منفد

فأضحت بروض الخضر وهي حثيثة ... وقد أنجحت حاجاتها من محمد

عليها فتى لا يردف الذم رحله ... تروك لأمر العاجز المتردد[1]

وفود بني سُليم:

قالوا: وقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجل من بني سُليم، يقال له: قيس بن نسيبة، فسمع كلامه وسأله عن أشياء، فأجابه، ووعى ذلك كله، ودعاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الإسلام، فأسلم ورجع إلى قومه بني سليم، فقال: قد سمعت برجمة الروم، وهينمة فارس، وأشعار العرب، وكهانة الكاهن، وكلام مقاول حمير، فما يشبه كلام محمد شيئاً من كلامهم، فأطيعوني وخذوا نصيبكم منه.

فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم إلى رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩٨ عن ابن سعد في الطبقات (ط ليدن) ج٢ ص٦٧، والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج١ ص٣٠٤، والإصابة ج٥ ص٣٣٤، وأعيان الشيعة ج١ ص٢٤٠.

وآله»، فلقوه بقديد وهم سبعمائة.

ويقال: كانوا ألفاً وفيهم العباس بن مرداس، وأنس بن عباس (عياض) بن رعل، وراشد بن عبد ربه، فأسلموا وقالوا: اجعلنا في مقدمتك، واجعل لواءنا أحمر، وشعارنا مقدماً.

ففعل ذلك بهم، فشهدوا معه الفتح، والطائف، وحنيناً، وأعطى رسول الله «صلى الله عليه وآله» راشد بن عبد ربه رهاطاً، وفيها عين يقال لها: عين الرسول[1].

وكان راشد يَسْدُن صنماً لبني سُليم، فرأى يوماً ثعلبين يبولان عليه، فقال:

أرب يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذل من بالت عليه الثعالب[2]

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٤٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٠٧ و (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٤٩، ومكاتيب الرسول ج٣ ص٤٣٧، وتاريخ مدينة دمشق ج٩ ص٣٢٤.

(٢) البيت للعباس بن مرداس انظر ملحق ديوانه ١٥١، ونسب أبي ذر، وانظر اللسان (ثعلب) وغيرهما انظر الدرر ج٤ ص١٠٤ وجمهرة اللغة (١١٨١) والهمع ج٢ ص٢٢، والبحار ج٣ ص٢٥٤، والتفسير الصافي ج٤ ص١٧، وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٢١، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٠٨، وتاريخ مدينة دمشق ج٩ ص٣٢٥، والبداية والنهاية ج٢ ص٤٢٧ وج٥ ص١٠٧، وإمتاع الأسماع للمقريزي ج٤ ص١٩، والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص٣٧٤ وج٤ ص١٧٧، وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص٢١٦ وج٦ ص٣٤٦ وج٩ ص٤٥٨، والسيرة الحلبية ج٣ ص٤٤٧، والصحاح للجوهري ج١ ص٩٣.

ثم شد عليه فكسره.

ثم أتى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال له: «ما اسمك»؟

قال: غاوي بن عبد العزى.

قال: «أنت راشد بن عبد ربه».

فأسلم وحسن إسلامه، وشهد الفتح مع النبي «صلى الله عليه وآله».

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «خير قرى عربية خيبر، وخير بني سُليم راشد»(١). وعقد له على قومه.

وروى ابن سعد عن رجل من بني سُليم من بني الشريد قالوا: وفد رجل منا يقال له: قدد بن عمار على النبي «صلى الله عليه وآله» بالمدينة، فأسلم وعاهده على أن يأتيه بألف من قومه على الخيل.

ثم أتى قومه فأخبرهم الخبر، فخرج معه تسعمائة، وخلَّف في الحي مائة، فأقبل بهم يريد النبي «صلى الله عليه وآله»، فنزل به الموت، فأوصى إلى ثلاثة رهط من قومه: إلى عباس بن مرداس وأمَّره على ثلاثمائة، وإلى جبار بن الحكم، وهو الفرار الشريدي وأمَّره على ثلاثمائة، وإلى الأخنس بن يزيد وأمَّره على ثلاثمائة، وقال: ائتوا هذا الرجل حتى تقضوا العهد الذي في عنقي، ثم مات.

فمضوا حتى قدموا على النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: «أين الرجل

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٤٦ وفي هامشه: أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ج٣ ص١٤١وج٩ ص٣٢٥، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣٠٨.

الحسن الوجه، الطويل اللسان، الصادق الإيمان»؟

قالوا: يا رسول الله، دعاه الله فأجابه، وأخبروه خبره.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «أين تكملة الألف الذي عاهدني عليهم»؟

قالوا: قد خلَّف مائة بالحي مخافة حرب كانت بيننا وبين كنانة.

قال: «ابعثوا إليها، فإنه لا يأتيكم في عامكم هذا شيء تكرهونه».

فبعثوا إليها، فأتته بالهدة، وهي مائة، عليها المقنع بن مالك بن أمية، فلما سمعوا وئيد الخيل قالوا: يا رسول الله، أتينا.

قال: «لا، بل لكم لا عليكم، هذه سُليم بن منصور قد جاءت».

فشهدوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» الفتح وحنيناً[1].

ونقول:

قد تضمنت النصوص المتقدمة أموراً يمكن أن تكون موضع نقاش من قبل الباحثين، ولكننا نؤثر الإضراب عنها، لأننا لا نجد جدوى كبيرة من صرف الوقت فيها.. وبعضها تقدمت الإشارة منا إليه، ومنه موضوع تغيير الأسماء..

ولذلك فإننا سوف نقتصر منها على ما يلي:

بول الثعلب على الصنم:

ولسنا بحاجة إلى التذكير بتكسير نفس سادن الصنم للصنم الذي كان في خدمته حين رأى الثعلب يبول عليه، ولم لا يدفع عن نفسه ولا يمنع،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٤٦ و ٣٤٧ وفي هامشه عن الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٣٤و٣٠٩.

وذلك في صحوة وجدانية هيّأت لها الأجواء التي تعيشها المنطقة في ظل تنامي المد الإيماني، المعتمد على قوة المنطق، والمنسجم مع ما يحكم به العقل، وتقضي به الفطرة، وقد تعزَّز ذلك بالإنتصارات التي كان يحققها أهل الإيمان على من لجأوا إلى منطق العدوان، والتحدي، بعد أن ظهر عجزهم عن مقارعة الحجة بالحجة، فاختاروا أن يكونوا في موقع المحارب والمعادي للحق، وللصدق، وللقيم الإنسانية والأخلاقية، ومسلمات العقل الصحيح والسليم.

ولأجل ذلك استحق راشد الوسام النبوي الكريم، الذي أشار إلى أن راشداً خير بني سليم، ولكنهم قد أضافوا إلى النص كلمة لا معنى ولا مبرر لها، وهي قولهم: «خير قرى عربية خيبر» رغم أن خيبراً كانت بيد اليهود، الذين لم يكونوا من العرب.

بل يكفي أن نقول في رد ذلك:

إن أم القرى هي مكة، ولا شك في انها عربية، وانها خير قرية عربية، كما أن المدينة هي من القرى العربية، وهي خير من خيبر أيضاً..

على أننا لا نجد أية مناسبة بين الثناء على راشد، وبين الثناء على خيبر..

الرجل الطويل اللسان:

ويستوقفنا تعبير منسوب للنبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال في الثناء على قدد بن عمّار: «الحسن الوجه، الطويل اللسان» فإن عبارة الطويل اللسان إنما تستعمل في مقام الذم، لإفادة أنه كثير الكلام، أو أنه يتطاول بكلامه على الآخرين. فما معنى أن تُجعل من مفردات المدح والثناء.؟!

الإقطاعات والعطايا:

تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطى رهاطاً لراشد بن عبد ربه.

ورُهاط ـ بضم الراء ـ: موضع على ثلاث ليال من مكة.

وقيل: وادي رهاط ببلاد هذيل.

وقال السمهودي: إنه موضع بأرض ينبع اتخذت به هذيل سواعاً[1]. وهو الصنم الذي ورد اسمه في القرآن.

والسؤال هنا هو: ما هو المبرر لإعطاء شخص واحد هذا العطاء الكبير، وتخصيصه بهذه المساحات الشاسعة، مع أنه كان من الممكن توزيع هذه المساحات على مجموعة من الأفراد الذين يعانون من الحاجة الملحة، وليكن منهم أصحاب الصفة المعروفون بالفقر، وكان «صلى الله عليه وآله» ينفق عليهم بحسب ما يتيسر له.

وإذا كانت هذه الأراضي قد أصبحت تحت اختيار السلطة، فذلك لا يبرر التصرف فيها، لتكريس يسيء إلى سمعة الدين، ويسقط منطق العدل والدين فيه. من خلال إعطاء تلك الأراضي لفئة صغيرة قد تكون في غنى عنها، بل يجب أن يستفيد منها أكبر عدد من الناس، وخصوصاً الفقراء منهم.

إجابة مرفوضة:

وقد حاول البعض أن يجيب: بأن من الجائز: أن تكون بعض هذه

---

(١) وفاء الوفاء ج٤ ص١٢٢٥ وراجع: عمدة الأخبار ص٣٢٩، ومكاتيب الرسول ج٣ ص٤٣٧، ومعجم البلدان للحموي ج٣ ص١٠٧.

المناطق الممنوحة لم تكن منحاً جديداً، وإنما كان إعطاؤها لهم مجرد تأكيد لملكية سابقة، وهذا الإقطاع معناه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أقرها في يد صاحبها، فقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» يضمِّن كتب الأمان التي يصدرها للأفراد والجماعات ما يملكون من أراضي. وقد يرد في بعض الحالات اسم زعيم القبيلة أو الوفد وحده على رأس الوثيقة.

ولكن ليس معنى ذلك: أن كل ما يرد في الوثيقة يخص ذلك الزعيم شخصياً، بل إن سائر أفراد القبيلة تكون لهم عين الحقوق المعطاة في الوثيقة المعنية، وما الزعيم، الذي ورد اسمه إلا الممثل لمصالحهم»[1].

غير أننا نقول:

إن هذه الإجابة غير دقيقة، ولا تناسب كثيراً من النصوص الواردة في كتب الإقطاعات، وإذا كان أولئك الناس قد أسلموا طواعية، فإن الشرع يحكم بأن من أسلم على أرض فهي له. فأي داع للتصريح بمالكيتهم لأراضيهم؟!

على أن هذا لو صح لاقتضى أن تشمل الكتابة بذلك جميع الناس، وأن لا تختص ببعض الناس دون بعض.

الجواب الأمثل:

والإجابة الصحيحة على هذا السؤال تحتاج إلى الحديث في جهات عدة، ولو بصورة موجزة وذلك كما يلي:

---

(١) نشأة الدولة الإسلامية ص٢٥٥ ـ ٢٥٦، ومكاتيب الرسول ج٣ ص٥٣٣.

الفقر الموت الأكبر:

إن الإسلام لا يريد أن يرى الفقر يعشعش في داخل المجتمع الإنساني، لأن الفقر ليس فضيلة، كما أن الغنى ليس عيباً، أو نقصاً، بل الإسلام يريد أن يرى المجتمع طموحاً وفاعلاً، وغنياً وقوياً.. ومتكافلاً ومتعاوناً على البِر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

فإن كان ثمة من فقير، فلابد أن يكون سبب فقره ظروفاً قاهرة، أو إتكالية وكسلاً مرفوضاً وممقوتاً، أو سوء تصرف، أو غير ذلك.

ولذلك جاءت تشريعات الإسلام حاسمة في معالجة مسألة الفقر، باقتلاعه من جذوره، وقد روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: الفقر الموت الأكبر[1].

وعن **الإمام الصادق «عليه السلام»**: كاد الفقر أن يكون كفراً، وكاد الحسد أن يغلب القدر[2].

---

(١) سفينة البحار ج٧ ص١٣٣، ونهج البلاغة ج٤ ص٤١، وتحف العقول لابن شعبة الحراني ص١١١، وخصائص الأئمة للشريف الرضي ص١٠٨، وروضة الواعظين للنيسابوري ص٤٥٤، ومشكاة الأنوار للطبرسي ص٢٢٨، والبحار ج٦٩ ص٤٥ وج٧٥ ص٥٣، وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص٣٨٦، ومعارج اليقين في أصول الدين للسبزواري ص٣٠٢.

(٢) سفينة البحار ج٧ ص١٣١ و ١٣٢ والبحار ج٧٠ ص٢٤٦ وج١١٠ ص٧١، والكافي ج٢ ص٣٠٧، والأمالي للشيخ الصدوق ص٣٧١، والخصال ص١٢، والوسائل ج١٥ ص٣٦٦ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٩٣، وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٥٥١.

البداوة مذمومة:

هذا.. وقد قال تعالى على لسان يوسف «عليه السلام» مخاطباً أباه: ﴿..وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ..﴾(١).

ما يعني أن الخروج من حياة البدو كان نعمة عظيمة توازي خروجه من السجن.

وقال تعالى أيضاً: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً﴾(٢).

فهو تعالى يذم هؤلاء الناس على أن الأمر قد بلغ بهم حداً فقدوا معه الموازين، واختلت فيه المعايير لديهم، بسبب حبهم للدنيا وزخارفها، فكانوا يهربون من الجهاد الذي هو من أشرف الأعمال وأعظمها، لما فيه من حماية لحياة المسلمين، وحفظٍ لعزتهم ودولتهم، والدفع عن منجزاتهم الحضارية، ويفضلون عليه أحط الخيارات وأرخصها، وأتفهها. ألا وهو أن يكونوا بادين في الأعراب، ولا يكونوا في ساحات الشرف والجهاد والكرامة.

آثار البداوة على الإنسان العربي:

وبالرجوع إلى التاريخ نلاحظ: أن الإنسان العربي كان آنئذٍ يعيش البداوة بأجلى مظاهرها، وربما لم تكن له علاقة بالأرض، ولا يراوده حنين

---

(١) الآية ١٠٠ من سورة يوسف.

(٢) الآية ٢٠ من سورة الأحزاب.

إليها إلا بقدر ما تحمله له من ذكريات، مُرّة تارة، وحلوة أخرى، ولا شيء أكثر من ذلك..

وكان همه مصروفاً إلى تحصيل لقمة عيشه بطرق سهلة، مثل رعي الإبل والمواشي، وإلا فالسلب والنهب والغارة، ولو بقيمة إتلاف النفوس، وإزهاق الأرواح..

فكان من نتائج ذلك: أن قويت عصبية الإنسان العربي للعشيرة، واشتدت نفرته، وخوفه من كل من عداها.. فكان أن حرم من تعاون بني جنسه معه على حل مشكلات الحياة، ومن فرص إرساء أسس لحضارة ذات قيمة..

وبذلك يكون العرب قد حرموا أنفسهم أيضاً من علوم كثيرة كان من الممكن أن تساعدهم على اقتحام مجالات حياتية مهمة ورائعة، فلم يمارسوا شيئاً من الصنائع، ولا استخرجوا من كنوز الأرض ومعادنها وخيراتها ما يفتح أمامهم أبواباً من المعرفة، تفيدهم في تنويع الإستفادة منها. ولا مارسوا حِرَفَاً تفيدهم في تيسير سبل العيش لهم، كما أنهم لم يجدوا أنفسهم ملزمين ولو بالإلمام بشيء من العلوم الإنسانية، على كثرتها وتنوعها واختلافها.

عناصر ضرورية لبناء الدولة والحضارة:

وغني عن القول: إنه إذا أريد بناء دولة قوية ومجتمع إنساني فاعل، ومتماسك، وقادر على إنشاء الحضارات وتحمل المسؤوليات التاريخية فلا بد من توفر العناصر الضرورية لذلك، ومنها يتوفر لديه الأمل والطموح،

والشعور بالأمن والسلام، ثم التفرغ للتأمل والتفكير، والتعرف على المشكلات وقهر الموانع وتجاوز العقبات، والتخطيط، واستنباط وسائل التغلب عليها بالتسلح بالعلم والمعرفة، ثم السعي للحصول على القدرات اللازمة لذلك كله.

وبديهي: أن يكون ذلك كله مرهوناً بالإستقرار المؤدي لإعمار الأرض، من خلال الإرتباط بها، وبذل الجهد في استخراج خيراتها، ومعادنها وكل ما فيها، ووضع ثمرات هذا الجهد في التداول، والإهتمام بتطوير الحياة به ومن خلاله. ولا يكون ذلك كله ممكناً إلا بالتعاون والتعاضد، والعمل على إنتاج رؤية سليمة تؤدي إلى تطويع وإخضاع قوانين الطبيعة لإرادة الإنسان، لتكون في خدمته..

ولا مجال للنجاح في ذلك كله، إلا في ظل الأطروحة الصحيحة، التي تحدد الأهداف القصوى، وتحفظ مسيرة الوصول إليها وسلامتها. وتهيمن على المسار والمسير، وتمنح الثقة بالنجاح والفلاح، من خلال تضافر الجهود، واستنفار العقول.

سياسة الإسلام للتخلص من البداوة:

وقد كان لا بد من الخروج من حياة البداوة، والعمل على بناء مجتمع مدني قوي وفاعل، وقد عمل الرسول الكريم «صلى الله عليه وآله» على تحقيق هذا الغرض النبيل، من خلال إجراءات عديدة ومتنوعة، فأوجب على الإنسان نفقات، وحمّله مسؤوليات مالية، ثم حثّه على العمل واعتبره كالجهاد في سبيل الله، وحث على الهجرة من البدو، وعلى السعي في سبيل

بناء حياة كريمة، وأوجب على كل فردٍ فردٍ تحصيل كل علم يحتاج الناس إليه.. وحث على تعلم الحرف والصناعات وشجع على التجارة والزراعة وإثارة الأرض وعمارتها، ثم إنه من جهة أخرى ذم الكسل والتواكل، ومنع من أكل المال بالباطل، ومن الظلم والحيف، واغتصاب الأموال، والتعدي على أراضي الغير، ولو بمقدار شبر واحد، ومنعه من الربا والقمار، والإحتكار.. و.. و.. ثم كانت سياسة إقطاع الأراضي كما سنرى..

ومما يشير إلى اهتمام الإسلام بالحرف، وبإحياء الأرض، وبالإعمار وغير ذلك ما روي من أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان إذا نظر إلى الرجل فأعجبه قال: هل له حرفة؟! فإن قالوا: لا.

قال: سقط من عيني[1]..

وفي مجال الزراعة روي: أنه «صلى الله عليه وآله» أوصى علياً «عليه السلام» عند وفاته بقوله: «يا علي، لا يظلم الفلاحون بحضرتك»[2].

---

(١) البحار ج١٠٠ ص٩ وفي هامشه عن جامع الأخبار (ط الحيدرية النجف الأشرف) ص١٣٩، ومكاتيب الرسول ج٣ ص٥٣٧، والفايق في غريب الحديث للزمخشري ج١ ص٢٤٠، وميزان الاعتدال للذهبي ج١ ص٢٣٠، وغريب الحديث لابن قتيبة ج١ ص٣٢١، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج١ ص٣٧٠، ومعارج اليقين في أصول الدين للسبزواري ص٣٩٠.

(٢) راجع: الكافي ج٥ ص٢٨٤ وتهذيب الأحكام ج٧ ص١٥٤ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٩ ص٦٣ و (ط دار الإسلامية) ج١٣ ص٢١٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١٨ ص٤٦٠ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٥٤٠ والخراجيات للمحقق الكركي ص٩٠ ورسائل الكركي ج١ ص٢٨٤.

وقال «صلى الله عليه وآله»: إن الله أهبط آدم إلى الأرض، وأمره أن يحرث بيده ليأكل من كدّه[١].

وقد حث أمير المؤمنين «عليه السلام» في وصيته للإما م الحسن «عليه السلام» على أن لا يقلع شجرة حتى يغرس عوضاً عنها ودية، حتى تشكل أرضها غراساً[٢]. أي لا تمتاز الأرض عن الشجر.

وعنه «عليه السلام»: من وجد ماءً وتراباً ثم افتقر فأبعده الله[٣].

وقال «عليه السلام» في عهده للأشتر: ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة. ومن

---

(١) راجع: الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٦ ص٣٨٢ وج١٩ ص٣٦ و (ط دار الإسلامية) ج٤ ص٩٨١ وج١٣ ص١٩٦ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٥٤٠ ومستدرك الوسائل ج٤ ص٤٧٥ وج١٣ ص٢٤ و ٤٦٢ والبحار ج١١ ص٢١١ و ٢١٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٥ ص٢٣٥ وج١٧ ص١٣٠ وج١٨ ص٤٣٤ و ٤٣٥ وتفسير العياشي ج١ ص٤٠ وقصص الأنبياء للراوندي ص٥٣ ومنازل الآخرة للقمي ص٤١.

(٢) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٢٢ ومستدرك الوسائل ج١٤ ص٥٧ والبحار ج٤٢ ص٢٥٥ وج١٠٠ ص١٨٤ وجامع أحاديث الشيعة ج١٩ ص١٠٣ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٤٧ والنهاية لابن الأثير ج٢ ص٤٩٦ ولسان العرب ج١١ ص٣٥٧.

(٣) قرب الإسناد ص١١٥ وجامع أحاديث الشيعة ج١٧ ص١٣٤ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري ج٤ ص٢٨ و ١٧٢ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٧ ص٤١ و (ط دار الإسلامية) ج١٢ ص٢٤ والبحار ج١٠٠ ص٦٥.

طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً[١].

وقال الواسطي: سألت جعفر بن محمد «عليه السلام» عن الفلاحين، فقال: هم الزارعون كنوز الله. وما في الأعمال شيء أحب إلى الله من الزراعة. وما بعث الله نبياً إلا زارعاً إلا إدريس «عليه السلام»، فإنه كان خياطاً[٢].

وقد علَّم الله تعالى نبيه داوود «عليه السلام» صناعة الدروع، وألان له الحديد.. كما صرح به القرآن الكريم.

لماذا إقطاع الأراضي؟!:

ومن المفردات المفيدة جداً في هذا المجال هو: إقطاع الأراضي، فإن إقطاع الأراضي لشخصٍ ما، معناه: أن تصبح تلك الأرض تحت اختياره، ومنع الآخرين من مزاحمته أو الحد من فاعليته فيها، فيستفيد من هذه الفرصة التي منحت له ليعمل على إحياء تلك الأرض إما بالزراعة، أو بالإستفادة منها في أي مجال إنتاجي تجاري، أو صناعي، أو تعليمي، أو

---

(١) راجع: نهج البلاغة وقد ذكرنا شطراً من مصادر هذا العهد في كتابنا دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، ومستدرك الوسائل ج١٣ ص١٦٦، والبحار ج٣٣ ص٦٠٦، وجامع أحاديث الشيعة ج١٧ ص٣٣٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٧ ص٧١.

(٢) البحار ج١٠٠ ص١٧١ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٧ ص٤٢ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١٢ ص٢٥ وراجع: مستدرك الوسائل ج١٣ ص٤٥٩ و (ط مؤسسة آل البيت) ص٢٦ و ٤٦١.

تربوي، أو غيره.. واستخراج خيراتها، ومعادنها، وتطويرها.. ورفد السوق بها، ووضعها في دائرة التداول، لينعش الحالة الإقتصادية، من حيث إنه يضخ في عروق اقتصاد المجتمع دماً جديداً، ويزيده قوة وصلابة، ويحفزه لمواصلة نموه، ويمكّن من ثمّ من تهيئة الظروف والقدرات للتحرك نحو مراحل ومستويات حياتية أعلى وأرقى، وأرحب وأوسع، لها طبيعتها ووسائلها، وحاجاتها، ولا بد من مواجهة مسؤولياتها، وحل مشاكلها.

ضرورة التعاون:

إن من الطبيعي أن يستفيد ذلك الذي وضعت الأرض بتصرفه، من طاقات الآخرين لإنجاز مهمة الإحياء، وإيصالها إلى أهدافها، لكي تؤتي ثمارها في ظل نظام قائم على العدل، يضع الأمور في نصابها، ويعطي كل ذي حق حقه..

وهذا يقتضي وضع ضوابط ومعايير ترتكز إلى منظومة من المثل والقيم تحدد طبيعة العلاقة، وتحكم طريقة التعامل، وربما يحتاج ذلك إلى رصد ميزات نفسية وأخلاقية معينة تفرضها صحة وسلامة هذا التعامل الممتد عبر الأعصار والأزمان.

وبذلك يصبح إقطاع الأراضي الموات بهدف إحيائها، وإنعاش الحالة الإقتصادية، وإيجاد فرص عمل لفئات من الناس، ثم دفع المجتمع ليتعلق بأرضه، ويستخرج خيراتها، وليعيش حالة السلام والأمن ـ يصبح ـ ضرورة لا بد منها، ولا غنى عنها لبناء المجتمع الإنساني وبناء الدولة، ثم إرساء قواعد الحضارة القائمة على أساس صحيح ومتين من القيم الإنسانية

والإلهية، ليمكن الإنطلاق بالمجتمع الإنساني إلى آفاق السلام والسلامة، لينعم بالعيش الرغيد والسعيد..

إقطاع الأرض للمحتاجين:

ثم إن هذه الإقطاعات التي حصلت في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد كانت في الأكثر لأناس يحتاجون إليها، وليسوا من الأغنياء، إلا في موارد نادرة جداً، أريد بها تأليف بعض الناس، وكف أذاهم، مع عدم الإضرار أو الإجحاف في حق أي كان. ويظهر هذا الأمر من مراجعة قائمة الذين أقطعهم الرسول «صلى الله عليه وآله»، ممن وصلت أسماؤهم إلينا..

ومما يشير إلى أن إقطاع هؤلاء كان من موجبات القوة، ولم الشعث، وإنعاش الإقتصاد بصورة أو بأخرى، ومن دون حيف وإجحاف أننا لم نجد أحداً شكى، أو تساءل عن أي أمر له علاقة بهذا الموضوع، أو أبدى أية ملاحظة حول الأشخاص الذين أقطعهم «صلى الله عليه وآله». مع أن بعض الأنصار اعترضوا على إعطاء غنائم حنين للمؤلفة قلوبهم، حتى أوضح لهم النبي «صلى الله عليه وآله» ما أزال موجبات الإعتراض من نفوسهم..

الإقطاع للقادرين والمبادرين:

هذا.. وقد يكون الفقير أو الغني أحياناً لا يريد أو غير قادر على الإحياء، فيصبح إعطاؤه الأرض لكي يحييها بلا مبرر، ولا يقدم عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن المهم هو: إحياء الأرض بيد من يقدر على إحيائها، وفقاً لأحكام الشرع..

وليس المقصود: مجرد تمليك الأراضي للناس، وينتهي الأمر عند هذا..

وقد ذم الإسلام الكسالى، والإتكاليين، الذين يريدون أن يعيشوا كَلًّا على الناس، وأعلن عن شديد مقته لهم، ولم يرض لهم بمدّ يد العون، وعليه فلا حق لهم لكي تصح المطالبة به، لأنهم هم الذين جنوا على أنفسهم..

صفة الأرض المعطاة:

إن الأراضي التي كان «صلى الله عليه وآله» يُقطعها على أقسام هي:

ألف: أراضٍ موات هي لله ولرسوله، وقد جعلها الله ورسوله لمن أحياها وفقاً لقوله «صلى الله عليه وآله»: «من غرس شجراً، أو حفر وادياً بدياً، لم يسبقه إليه أحد، أو أحيا أرضاً ميتة فهي له، قضاء من الله ورسوله»[1].

وثمة أحاديث أخرى أيضاً تشير إلى ذلك، فلتراجع في مظانها[2].

---

(١) راجع: الكافي ج٥ ص٢٨٠، ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص١٥١ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٧ ص٣٢٨ والإستبصار ج٣ ص١٠٧ وتهذيب الأحكام ج٧ ص١٥١ والمقنع ص١٣٢، والمقنع للصدوق ص٣٩٣، والنهاية للطوسي ص٤٢١، والسرائر لابن إدريس الحلي ج٢ ص٣٧٨، والجامع للشرايع لابن سعيد الحلي ص٣٧٤، وتذكرة الفقهاء (ط.ق) للعلامة الحلي ج٢ ص٤٠٠، ومنتهى المطلب (ط.ق) للعلامة الحلي ج٢ ص١٠٢٤، ورسائل الكركي ج٢ ص٢٠٣، والسراج الوهاج للفاضل القطيفي ص٧٤.

(٢) راجع: الكافي ج٥ ص٢٧٩ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٧ ص٣٢٦ والإستبصار ج٣ ص١٠٨ وتهذيب الأحكام ج٧ ص١٥٢ وترتيب مسند الشافعي ج٢ ص١٣٣ والأم للشافعي ج٣ ص٢٦٤ و ٢٦٨ وكنز العمال ج٣ =

ب: الأنفال: وهي الزيادات، وتكون في الأموال، مثل الديار الخالية، والقرى البائدة، وتركة من لا وارث له، وتكون في الأرضين أيضاً. وهي على ما ذكره الفقهاء، ودلت عليه الأحاديث، تشمل الأرض المحياة التي تُملك من الكفار من غير قتال، سواء انجلى عنها أهلها، أو سلموها للمسلمين طوعاً.

وتشمل الأرض الموات عرفاً، سواء أكانت معمورة، ثم انجلى عنها أهلها، أو لم يجر عليها ملك، كالمغاور، وسيف البحار، ورؤوس الجبال، وبطون الأودية[1]..

ج: الفيء: هو ما يُرجع أو يُرد من أموال الكفار وأراضيهم إلى مالكه الأصلي من دون إيجاف خيل ولا ركاب.

والفيء لله ولرسوله، وليس لأحد فيه حق. وللرسول أن يملِّك منه ما شاء لمن شاء..

وهناك كلام في تداخل هذين القسمين الأخيرين، فإن ما سلموه للمسلمين طوعاً هو الفيء، وقد تقدم: أنه قسم من الأنفال أيضاً. ولسنا بصدد البحث والمناقشة في ذلك.

إن الإقطاعات التي كانت من رسول الله «صلى الله عليه وآله» إنما

= ص٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٦ و ٥١٧ والأموال لأبي عبيد ص٣٨٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص١٤٢ و ١٤٣ وإرشاد الساري ج٤ ص١٨٤ والخراج للقرشي ص٨٢ و ٨٤ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٤٩ وشرح الموطأ للزرقاني ج٤ ص٤٢٤ و ٤٢٥ ومجمع الزوائد ج٤ ص١٥٧ ونصب الراية للزيلعي ج٤ ص٢٩٠ وجامع أحاديث الشيعة وغير ذلك.

(١) راجع: مصباح الفقاهة، كتاب الخمس، ومسالك الأفهام للشهيد الثاني ج٣ شرح ص٥٨.

كانت من هذه الأقسام المتقدمة، ولم يكن ليقطع أحداً من مال حاضر النفع، ظاهر العين، لأن هذا لا مجال لإقطاعه، إلا على سبيل التأليف على الإسلام، وهذا إنما كان بالنسبة لأفراد قليلين جداً أكثرهم من أهل مكة، وكان الهدف إنهاء شغبهم على الدين وأهله، وإبعاد أذاهم، ولم تكن الإقطاعات في أكثرها تدخل في هذا السياق..

إعتراضات وإجابات:

وقد يسجل على هذه الإجابة إعتراضات:

الأول: قد ورد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين ورد المدينة أقطع الناس الدور.

وهذا معناه: أنه قد أقطع من مال ظاهر العين، حاضر النفع.

والجواب: أنه إنما أقطعهم مساحات من الأرض، ليبنوا عليها دورهم[1]، وذلك بعد أن وهبت الأنصار كل فضل كان في خططها[2].

وقد ذكر ياقوت الحموي: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يقطع أصحابه هذه القطائع فما كان في عفا الأرض فإنه أقطعهم إياه، وما كان في الخطط المسكونة العامرة فإن الأنصار وهبوه له، فكان يقطع من ذلك[3].

وقال الحلبي الشافعي: «خط للمهاجرين في كل أرض ليست لأحد،

---

(١) راجع: البحار ج١٩ ص١١٢.

(٢) راجع: فتوح البلدان للبلاذري ص١٢، ومكاتيب الرسول ج١ ص٣٥١، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج١ ص٢٥٨.

(٣) معجم البلدان ج٥ ص٨٦.

وفيما وهبته الأنصار من خططها»[1].

الثاني: قد يعترض على ذلك أيضاً بما ورد من أنه «صلى الله عليه وآله» أقطع أرضاً ذات نخل وشجر[2].

وهذا معناه: أنه كان يقطع الناس من مال حاضر النفع ظاهر العين.

والجواب:

أولاً: قال ياقوت: أقطع الزبير بن العوام بقيعاً واسعاً[3].

والبقيع: هو الموضع الذي فيه أروم الشجر، يعني أصوله من ضروب شتى[4]. وهذا يشير إلى أنها كانت أرضاً متروكة، حتى لم يبق من النخيل إلا أصوله.

---

(١) عن السيرة الحلبية ج٢ ص٩٤.

(٢) راجع: الأموال ص٣٩٤ ومكاتيب الرسول ج١ ص٣٢٩ عن: فتوح البلدان ص٣١ والبخاري ج٤ ص١١٦ في فرض الخمس، باب ما يعطي النبي المؤلفة قلوبهم، ومسند أحمد ج٦ ص٣٤٧ وفتح الباري ج٦ ص١٨١ والخراج لأبي يوسف ص٦٦ والنهاية لابن الأثير في مادة: قطع. وراجع أصول مالكيت ج٢ ص١١١ والمصنف لابن أبي شيبة ج١٢ ص٣٥٤ وصحيح البخاري ج٤ ص١١٦ وصحيح مسلم ج٤ ص١٧١٦ والقواعد للشهيد ج١ ص ٣٤٩ وحياة الصحابة ج٢ ص٦٩١ وراجع: ترتيب مسند الشافعي ج٢ ص١٣٣ والكامل لابن عدي ج٤ ص١٣٨٦ والطبقات الكبرى ج٣ ق٢ ص٧٢ انتهى.

(٣) معجم البلدان ج٥ ص٨٦ والطبقات الكبرى (ط ليدن) ج٣ ق١ ص٧٢.

(٤) وفاء الوفاء ج٤ ص١١٥٤، ومعجم البلدان للحموي ج١ ص٤٧٣، وراجع: مجمع البحرين للطريحي ج٣ هامش ص٣٠٨، والمناقب للخوارزمي هامش ص٨٩، وتفسير جوامع الجامع للطبرسي ج١ هامش ص٣٦٦، وشرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص٧.

ثانياً: عن ابن سيرين قال: أقطع رسول الله رجلاً من الأنصار يقال له: سليط، فانطلق إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، إن هذه الأرض التي أقطعتنيها شغلتني عنك، فاقبلها مني، فلا حاجة لي في شيء يشغلني عنك.

فقبلها النبي «صلى الله عليه وآله» منه، فقال الزبير: يا رسول الله، اقطعنيها.

قال: فأقطعها أياه[1]، فهو قد اشتغل في إحيائها، واهتم بها حتى أشغلته عنه، ثم انصرف عنها، واستقال منها، فأعطاها «صلى الله عليه وآله» لغيره.

ثالثاً: إن ذلك يفسر لنا قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطى بني عقيل العقيق ما أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وسمعوا وأطاعوا[2].

والعقيق: موضع فيه قرى ونخل كثير[3].

فإن من الجائز أن يكون المقصود بالنخل هو: أصولها، أو أنها مما تركه أهله، لم يكن لها من يهتم بها.

---

(١) راجع: الأموال لابن زنجويه ج٢ ص٦١٣ و ٦١٤ وراجع ص٦٢٧ والأموال لأبي عبيد ص٣٩٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٨٤ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٥٠٣ عن: الطبقات الكبرى ج١ ص٣٠٢ وفي (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٤٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٩٠ ورسالات نبوية ص١٤٨ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٦٥ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٩٤ والإصابة ج٣ ص٤٢٣ في ترجمة مطرف بن عبد الله بن الأعلم. والوثائق السياسية ص٣١٢ و ٢١٦ عن الطبقات، ورسالات نبوية، وقال: قابل معجم البلدان مادة عقيق، وانظر اشپرنكر ج٣ ص٥١٣.

(٣) مكاتيب الرسول ج٣ ص٥٠٣ عن معجم البلدان، ومعجم البلدان ج٤ ص١٣٩.

وربما يكون بنو عقيل هم الأقرب إليها، أو الأقدر على إحيائها من غيرهم.

لا حق لمسلم في الأراضي المعطاة:

إنه لا شك في أن الأرض التي كان يقطعها النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن فيها أي حق لأحد من المسلمين، وقد صرح بهذا الأمر في الكتاب الذي كتبه لبلال بن الحارث بالأرض التي أقطعه إياها، حيث قال: «ولم يعطه حقَّ مسلم»[1].

وكذا في كتابه «صلى الله عليه وآله» لبني عقيل[2].

---

(١) المبسوط للشيخ الطوسي ج٣ ص٢٧٤ ونيل الأوطار ج٤ ص٣٠٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص١٤٥ و ١٥١ ورسالات نبوية ص١٠١ و ١٠٢ ومسند أحمد ج٢ ص٣٠٦ وسنن أبي داود ج٣ ص١٧٤ والأحكام السلطانية ج٢ ص١٩٨ والنهاية في اللغة، مادة قدس، والسرائر لابن إدريس الحلي ج١ ص٤٧٩، والمجموع لمحيى الدين النووي ج١٥ ص٢٣٢، ونيل الأوطار للشوكاني ج٦ ص٥٤، ومسند احمد ج١ ص٣٠٦، وسنن أبي داود ج٢ ص٤٧، والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص١٤٥، وأمالي المحاملي ص٣٢٢، والتمهيد لابن عبد البر ج٣ ص٢٣٧، وتفسير القرطبي ج٣ ص٣٢٥، وتاريخ مدينة دمشق ج١٠ ص٤٢٥، وإمتاع الأسماع ج٩ ص٣٥٩، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٤ ص٢٤.

(٢) راجع: مكاتيب الرسول ج٣ ص٥٠٣ عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى ج١ ص٣٠٢ و (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٤٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٩٠ ورسالات نبوية ص١٤٨ ونشأة الدولة الإسلامية ص٣٦٥ ومدينة البلاغة ج٢ ص٢٩٤=

وفد عبد القيس:

وقدم وفد عبد قيس ـ وهي قبيلة، تسكن البحرين وما والاها من أطراف العراق[1] ـ إلى النبي «صلى الله عليه وآله» سنة تسع[2].

ورووا[3]: أنه بينما رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحدث أصحابه إذ قال لهم: «سيطلع عليكم من هاهنا ركب هم خير أهل المشرق».

فقام عمر، فتوجه نحوهم، فلقي ثلاثة عشر راكباً، فقال: «من القوم»؟

فقالوا: من بني عبد القيس.

قال: «فما أقدمكم، التجارة»؟

= والإصابة ج٣ ص٤٢٣ في ترجمة مطرف بن عبد الله بن الأعلم. والوثائق السياسية ٢١٦/٣١٢ عن الطبقات، ورسالات نبوية، وقال: قابل معجم البلدان مادة عقيق وانظر اشپرنكر ج٣ ص٥١٣. أقول: الذي نجده في المعجم ذكره عقيق اليمامة، وهو عقيق بني عقيل قال: فيه قرى ونخل كثير، ويقال له: عقيق تمرة، ولم يذكر الإقطاع والكتاب وراجع البداية والنهاية ج٥ ص٩٠.

(١) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٣٣.

(٢) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٣٧.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٧ عن أبي يعلى، والطبراني، والبيهقي، وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج٥ ص٣٢٧ وانظر البداية والنهاية ج٥ ص٤٧، وفتح الباري ج١ ص١٢١، والآحاد والمثاني للضحاك ج٣ ص٣١٤، والمعجم الكبير للطبراني ج٢٠ ص٣٤٥، وتهذيب الكمال ج١٣ ص٣٥٤، والبداية والنهاية ج٥ ص٥٧، وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٩٠، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥١.

قالوا: لا.

قال: أما إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ذكركم آنفاً فقال خيراً.

ثم مشوا معه حتى أتوا النبي «صلى الله عليه وآله».

فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذي تريدون، فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم، فمنهم من مشى، ومنهم من هرول، ومنهم من سعى حتى أتوا النبي «صلى الله عليه وآله»، فابتدره القوم، ولم يلبسوا إلا ثياب سفرهم، فأخذوا بيده فقبلوها، وتخلف الأشجّ، وهو أصغر القوم في الركاب حتى أناخها، وجمع متاع القوم، وذلك بعين رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وفي حديث الزارع بن عامر العبدي عند البيهقي: فجعلنا نتبادر من رواحلنا، فنقبِّل يد رسول الله ورجله، وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيبته فلبس ثوبيه.

وفي حديث عند الإمام أحمد: فأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما، ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقبَّلها، وكان رجلاً دميماً، فلما نظر «صلى الله عليه وآله» إلى دمامته قال: يا رسول الله، إنه لا يُسْتَقَى في مُسُوكِ الرجال، إنما يُحتاج من الرجل إلى أصغريه: لسانه وقلبه.

فقال له رسول ل الله «صلى الله عليه وآله»: «إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٧ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٤٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣١٤.

قال: يا رسول الله، أنا أتخلق بهما، أم الله جبلني عليهما؟

قال: «بل الله تعالى جبلك عليهما».

قال: الحمد لله الذي جبلني على خَلَّتين يحبهما الله تعالى ورسوله[1].

قال: «يا معشر عبد القيس ما لي أرى وجوهكم قد تغيرت»؟

قالوا: يا نبي الله، نحن بأرض وخمة، وكنا نتخذ من هذه الأنبذة ما يقطع من بطونها، فلما نهيتنا عن الظروف، فذلك الذي ترى في وجوهنا[2].

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن الظروف لا تحلّ ولا تحرم، ولكن كل مسكر حرام، وليس أن تجلسوا فتشربوا، حتى إذا ثملت العروق تفاخرتم، فوثب الرجل على ابن عمه بالسيف فتركه أعرج».

قال: وهو يومئذ في القوم الأعرج الذي أصابه ذلك.

وأقبل القوم على تمرا ت لهم يأكلونها، فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يسمي لهم هذا كذا وهذا كذا.

قالوا: أجل يا رسول الله، ما نحن بأعلم بأسمائها منك. وقالوا لرجل منهم: أطعمنا من بقية الذي بقي في نوطك، فقام وجاءه بالبرني.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هذا البرني أمسى من خير

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٧ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٤٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٣١٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٧ وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٤١، ومجمع الزوائد للهيثمي ج٥ ص٦٤، وفتح الباري ج١٠ ص٥١، ومسند أبي يعلى ج١٢ ص٢٤٤، وصحيح ابن حبان ج١٦ ص١٧٩.

ثمراتكم»[1].

وروى ابن سعد[2] عن عروة بن الزبير قال: وحدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه، قالا: كتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أهل البحرين أن يقدم عليه عشرون رجلاً منهم، فقدم عليه عشرون رجلاً رأسهم عبد الله بن عوف الأشج، وفيهم الجارود، ومنقذ بن حيان، وهو ابن أخت الأشج، وكان قدومهم عام الفتح، فقيل: يا رسول الله، هؤلاء وفد عبد القيس.

قال: «مرحباً بهم، نعم القوم عبد القيس».

قال: ونظر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الأفق صبيحة ليلة قدموا وقال: «ليأتين ركب من المشرق، لم يُكرهوا على الإسلام، قد أنضوا الركاب، وأفنوا الزاد، بصاحبهم علامة، اللهم اغفر لعبد القيس، أتوني لا يسألوني مالاً، هم خير أهل المشرق».

قال: فجاؤوا عشرين رجلاً ورأسهم عبد الله بن عوف الأشج، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسجد، فسلموا عليه، وسألهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أيكم عبد الله الأشج»؟

فقال: أنا يا رسول الله، وكان رجلاً دمياً.

فنظر إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «إنه لا يُسْتَقَى في

---

(١) راجع ما تقدم في سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٧ و ٣٦٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٨ وفي هامشه عن: ابن سعد في الطبقات ج١ ق٢ ص٥٤، والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٩٨.

مُسُوك الرجال، إنما يُحتاج من الرجل إلى أصغريه: لسانه وقلبه». وذكر نحو ما سبق.

وعن الزارع بن عامر أنه قال: يا رسول الله، إن معي رجلاً خالاً لي، مصاباً فادع الله تعالى له.

فقال: «أين هو؟ ائتني به».

قال: فصنعت مثل ما صنع الأشج، ألبسته ثوبيه وأتيته به، فأخذ طائفة من ردائه، فرفعها حتى بان بياض إبطه، ثم ضرب ظهره وقال: «أخرج عدو الله».

فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول، ثم أقعده بين يديه فدعا له، وشج وجهه، فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله «صلى الله عليه وآله» يَفضُل عليه.

وروى الشيخان[1] **عن ابن عباس قال:** قدم وفد عبد القيس على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «من القوم»؟

قالوا: من ربيعة.

قال: «مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى».

فقالوا: يا رسول الله، إنَّا نأتيك من شقة بعيدة، وإنه يحول بيننا وبينك

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٨ وقال في هامشه: أخرجه البخاري (٧٢٦٦) ومسلم ج١ ص٤٧ (٢٤ ـ ١٧). وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦، ومجلة تراثنا لمؤسسة آل البيت ج٥٣ ص١١٩ نقلا عن صحيح البخاري، كتاب العلم ج١ ص٣٢، الجامع لأخلاق الراوي والسامع ص٧١.

هذا الحي من كُفار مُضر، وإنَّا لا نصل إليك إلا في شهر حرام.

فمرنا بأمر فصل، إن عملنا به دخلنا الجنة.

قال: «آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع».

قال: أمرهم بالإيمان بالله وحده وقال: «هل تدرون ما الايمان بالله»؟

[**قالوا:** «الله ورسوله أعلم».

قال:] «شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم.

وأنهاكم عن أربع: عن الدباء، والحنتم، والمزفت، والنقير ـ وربما قال المقير ـ فاحفظوهن، وادعوا إليهن من وراءكم».

قالوا: يا نبي الله، ما علمك بالنقير؟

قال: «بلى، جذع تنقرونه فتقذفون فيه من القطيعاء» ـ أو قال: «من التمر ـ ثم تصبون فيه من الماء، حتى إذا سكن غليانه شربتموه، حتى إن أحدكم ليضرب ابن عمه بالسيف».

قال: وفي القوم رجل أصابته جراحة كذلك.

قال: وكنت أخبأها حياء من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قالوا: ففيم نشرب يا رسول الله؟

قال: «في أسقية الأدم التي يلاث على أفواهها».

فقالوا: يا رسول الله، إن أرضنا كثيرة الجرذان، ولا تبقى بها أسقية الأدم.

[**فقال نبي الله «صلى الله عليه وآله»**]: «وإن أكلتها الجرذان»، مرتين أو ثلاثاً.

ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأشج عبد القيس: «إن فيك

لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة»[1].

وعن شهاب بن عباد[2]: أنه سمع بعض وفد عبد القيس يقول: قال

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٨ و ٣٦٩ عن البيهقي، ومكاتيب الرسول ج٣ ص٢٠٠ عن المصادر التالية: البخاري ج١ص١٣٩ وألفاظ النصوص مختلفة وفي بعضها بعد ذكر الشهادتين: عقد بيده واحدة، وفي بعضها كالبخاري ج٥ ص٢١٣ وج١ ص٢١ و ٣٢ وصحيح مسلم ج١ ص٤٦ ـ ٦٩ بأسانيد متعددة في روايتين، ومسند أحمد ج١ ص٢٢٨ وسنن أبي داود ج٤ ص٢١٩ والسنن الكبرى ج٦ ص٢٩٤ وكنز العمال ج١ص١٩ و ٢٠ وتأريخ المدينة لابن شبة ج١ ص١٠٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥١ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص١٦ والبداية والنهاية ج٥ ص٤٦ وزاد المعاد ج٣ ص٢٩ وفي (ط أخرى) ص٣٥ زاد ذكر الصوم، وزاد في مسند أحمد ج١ ص٣٦١: «وأن تحجوا البيت»، وأسقط بعضها ذكر الصوم والحج كالبخاري ج١ ص١٣٩ وج٢ ص١٣١ وصحيح مسلم في باقي الروايات، وسنن أبي داود ج٣ ص٣٣٠ والأموال لأبي عبيد ص٢٠ والأموال لابن زنجويه ج١ ص١٠٤. وراجع أيضاً: الروض الأنف ج٤ ص٢٢١ وفتح الباري ج١ ص١٢٠ و ١٦٦ وج٢ ص١٣٦ وج٣ ص٢١٢ وج٨ ص٦٧ وعمدة القاري ج٥ ص٦ وج٨ ص٢٦٣ وج١٨ ص٢٠ وموارد الظمآن ص٣٣٧. كما أن بعض المصادر أسقط هذا الحديث ولم ينقله كالطبقات الكبرى ج١ ص٣١٤ وفي (ط أخرى) ج١ ق٢ ص٥٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٤٢ وفي (ط أخرى) ص٢٢٢. وراجع أيضاً: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٤ ص١٣ وموارد الظمآن ج٤ ص٣٦٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٩ وقال في هامشه: أخرجه أحمد في المسند ج٤ ص٢٠٧ وذكره البيهقي في الكنز (١٣٢٥٢).

الأشج: يا رسول الله، إن أرضنا ثقيلة وخمة وإنَّا إذا لم نشرب هذه الأشربة هيجت ألواننا، وعظمت بطوننا، فرخِّص لنا في هذه. وأومأ بكفيه.

فقال: «يا أشج، إني إن رخصت لك في مثل هذه» ـ وقال بكفيه هكذا ـ «شربته في مثل هذه» ـ وفرَّج يديه وبسطهما. يعني أعظم منها ـ «حتى إذا ثمل أحدكم من شرابه قام إلى ابن عمه فهزر ساقه بالسيف».

وكان في القوم رجل يقال له: الحارث قد هزرت ساقه في شراب لهم، في بيت من الشعر تمثل به في امرأة منهم، فقال الحارث: لما سمعتها من رسول الله «صلى الله عليه وآله» جعلت أسدل ثوبي فأغطي الضربة بساقي، وقد أبداها الله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله».

وعن أنس: أن وفد عبد القيس من أهل هجر قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فبينما هم عنده إذ أقبل عليهم، فقال: «لكم تمرة تدعونها كذا، وتمرة تدعونها كذا». حتى عد ألوان تمرهم أجمع.

فقال له رجل من القوم: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لو كنت ولدت في هجر ما كنت بأعلم منك الساعة، أشهد أنك رسول الله.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن أرضكم رفعت لي منذ قعدتم إليَّ، فنظرت من أدناها إلى أقصاها، فخير تمركم البرني الذي يذهبُ بالداء ولا داء معه»[1].

عن ابن عباس[2] قال: «إن أول جُمعة جُمعت بعد جُمعة في مسجد رسول

____

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٩ وقال في هامشه: أخرجه الحاكم ج٤ ص٢٠٤ وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٥٣١٥).

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٩ وقال في هامشه: أخرجه البخاري في كتاب الجمعة (٨٩٢).

الله «صلى الله عليه وآله» في مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين».

وعن أم سلمة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخّر الركعتين بعد الظهر بسبب اشتغاله بوفد عبد القيس حتى صلاهما بعد الظهر في بيتها.

وعن ابن عباس وأبي هريرة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «خير أهل المشرق عبد القيس»[1].

وعن نوح بن مخلد: أنه أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو بمكة فسأله: «ممن أنت»؟

فقال: أنا من بني ضبيعة بن ربيعة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «خير ربيعة عبد القيس، ثم الحي الذي أنت منهم». رواه الطبراني.

وعن ابن عباس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «أنا حجيج من ظلم عبد القيس»[2].

ونقول:

قد تضمنت النصوص المتقدمة أموراً عديدة تحتاج إلى شيء من التصحيح أو التوضيح. وفيما يلي بعض من ذلك:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٧٠ عن البزار، والطبراني.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٩ و ٣٧٠ عن الطبراني، وقال في هامشه: ذكره الهيثمي في المجمع ج١٠ ص٥٢ وعزاه للطبراني في الكبير والأوسط وقال: وفيه من لم أعرفهم.

هم خير أهل المشرق:

ذكرت الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» وصف عبد القيس بأنهم خير أهل المشرق. وأنه «صلى الله عليه وآله» حجيج من ظلم عبد القيس، وأن عبد القيس خير ربيعة..

ونحن لا نستطيع أن نؤكد أو ننفي صحة هذه الروايات، غير أننا نقول:

١ ـ لو صحت هذه الروايات، فقد يكون المقصود بها هم خصوص الذين كانوا موجودين في تلك البرهة من الزمان. ولا شيء يؤكد لنا شمولها لمن بعدهم.

٢ ـ إن روايات فضائل القبائل، والبلدان، وكذلك روايات ذمها كانت موضوع أخذ وردّ، وربما يكون الكثير منها موضوعاً، كما أظهرت الدراسات في بعض مواردها.

٣ ـ لعل المقصود بخيريّتهم هو حسن نظرتهم للأمور، وصحة معالجتهم لها، ولا يتصرفون بانفعال وطيش ورعونة. ولأجل ذلك فإن مواقفهم تكون أقرب إلى الإتزان من مواقف غيرهم.

٤ ـ إن خيريتهم وتقدمهم على غيرهم نسبية، فإذا كانت هناك نسبة من الخير في أهل المشرق فإنها تكون في عبد القيس أكثر من غيرهم..

عبد القيس في نصرة أمير المؤمنين عليه السلام:

لعل ما يشهد لصحة تفكير عبد القيس، واتزانهم في مواقفهم، هو: أنهم ـ كما ذكر العلامة الأحمدي ـ صاروا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، ونصروه في حروبه. ولسراتهم يد بيضاء في نصرة ولي الله

تعالى، لا سيما أبناء صوحان: صعصعة، وزيد، وسيحان، وعمرو بن المرجوم و..»[1].

وقد اشتهر بنو عبد القيس بالخطابة والشعر، والفصاحة[2].

ويبدو أنهم كانوا على درجة عالية من الثقافة أيضاً، فقد قيل: إن صحار بن العباس العبدي له كتاب: «الأمثال»[3].

هذا صاحبكم:

ويستوقفنا هنا قول عمر للوفد حين وصلوا معه إلى النبي «صلى الله عليه وآله»: هذا صاحبكم الذي تريدون.. فإنه ليس مما يليق، ولا مما ينبغي.. بل هو قد يستبطن إساءة وإهانة يستحق معها القتل عند خالد بن الوليد فقط، فإن خالداً كان يعتذر عن قتل مالك بأنه كان يقول، وهو يراجع الكلام: ما أخال صاحبكم إلا قال[4].

---

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص٢٠٣ عن الغارات للثقفي، وصفين للمنقري، والبحار ج٣٢ في حربي الجمل وصفين، والإصابة ج٣ ص١٥.

(٢) مكاتيب الرسول ج٣ ص٢٠٣، والإصابة (ترجمة صحار) ج٢ ص١٧٧ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٨ ص٨٢ و ٧٨١ وج٩ ص٢٣٨ و ٤٣٠ و ٦٥٥ و ٧٢٩ و ٧٨٤.

(٣) مكاتيب الرسول ج٣ ص٢٠٣ عن الفهرست لابن النديم ص١٣٢ وعن المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٤ ص٣٢٨ و ٣٢٧.

(٤) البحار ج٣٠ ص٤٩١ وفي هامشه عن: تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢٧٩ وعن الكامل في التاريخ ج٢ ص٣٥٩، و الاحتجاج للطبرسي ج١ هامش ص١٢٥، والغدير ج٧ ص١٦٤، وشرح النهج للمعتزلي ج١٧ ص٢١٤، وأسد الغابة =

وقد حكى القاضي عبد الجبار عن أبي علي الجبائي: أن خالداً قد قتل مالكاً لأنه أوهم بقوله ذلك: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليس صاحباً له[1].

ونقول:

لو كان هذا هو ما جرى لكان خالد اعتذر به لأبي بكر، ولكان تأول فأصاب، لأن مالكاً يكون بذلك مرتداً، يجب قتله، فما معنى أن يقول أبو بكر لعمر: إن خالداً تأول فأخطأ؟![2].

والذي يظهر لنا هو: أنه قصد بقوله: «صاحبك» أبا بكر وليس النبي «صلى الله عليه وآله»، ففهم خالد أن مالكاً لا يرى أبا بكر صاحباً له.

وهذا معناه: أنه ينكر خلافته.

ويشير إلى ذلك: أن خالداً قال لمالك: إني قاتلك.

قال مالك: أوبذلك أمرك صاحبك ـ يعني أبا بكر ـ.

قال: والله لأقتلنك. وكان ابن عمر،وأبو قتادة حاضرين، فكلما خالداً

= ج٤ ص٢٩٦، والإصابة ج٥ ص٥٦١، والكامل في التاريخ ج٢ ص٣٥٩، وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٢٤٠.

(١) المغني للقاضي عبد الجبار ج٢٠ ص٣٥٥ والبحار ج٣٠ ص٤٩١ و ٤٩٣ و ٤٧٩، والمواقف للإيجي ج٣ ص٦١١.

(٢) البحار ج٣٠ ص٣٧٩ و ٤٧١ وشرح النهج للمعتزلي ج١٧ ص٢٠٧، وفوات الوفيات للكتبي ج٢ ص٢٤٣، والشافي في الامامة للشريف المرتضى ج٤ ص١٦١.

الخ..»[1].

ثم تذكر الرواية: أن مالكاً طلب من خالد أن يرسله إلى أبي بكر ليحكم في أمره، فرفض وقتله، فلو كان قد ظهر من مالك ما فيه إساءة للرسول «صلى الله عليه وآله» لم يتوسط له ابن عمر، وأبو قتادة الخ..

وسواء أكان مالك قد قصد النبي «صلى الله عليه وآله» أو قصد أبا بكر، فإن جرأة عمر قد كانت بحق النبي «صلى الله عليه وآله» دون سواه، فلماذا جرَّت باء خالد ولم تجرَّ باء غيره؟!

معرفة النبي ﷺ بأنواع التمور:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أنه «صلى الله عليه وآله» صار يعد للوفد أنواع التمر، حتى عد ألوان تمرهم أجمع، حتى قالوا له: ما نحن بأعلم بأسمائها منك.

وقال بعضهم: لو كنت ولدت بهجر ما كنت بأعلم منك الساعة.

ونستفيد من ذلك:

١ ـ عدم صحة ما تقدم في بعض الوفود، من نصوص تظهره «صلى الله عليه وآله» كرجل لا يعرف عن التمور، وأنواعها ما يحسن السكوت عليه..

٢ ـ إن هذا الأمر قد بهر ذلك الوفد، إلى حد أن قائل ذلك عقب كلامه بقوله: أشهد أنك رسول الله..

---

(١) وفيات الأعيان ج٦ ص١٣ ـ ١٥، والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص١٣٥ نقلاً عن وفيات الأعين.

٣ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبرهم بما هم أعلم الناس به، ويعرفون صحته ودقة ما يقوله. فإذا أظهر أنه أعلم منهم بما يدَّعون لأنفسهم التقدم فيه، فسوف يكون له أثر عميق على وجدانهم، وإيمانهم، بخلاف ما إذا حدَّثهم بما لايعرفون عنه قليلاً ولا كثيراً، فإنه سيكون حديثاً غير ظاهر النتائج، ولا يستطيعون حسم الأمر فيه، لأنه سيكون خاضعاً لجميع الإحتمالات.

النبي ﷺ يرى ما في البحرين:

وقد ذكرت الرواية أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» بعد أن ذكر لهم أنواع التمور حتى كأنه مولود في هجر قال: إن أرضكم رفعت لي منذ قعدتم إلي، فنظرت من أدناها إلى أقصاها الخ..

وإنما قال لهم ذلك، بعد أن بين لهم أنه أعلم منهم بما هم أعرف الناس به. وبذلك يكون قد صدق الخَبَرَ الخُبْرُ..

وهذا أدعى لرسوخ الإيمان، وانقياد النفوس.. ثم إنه يكون بذلك قد نقلهم نقلة نوعية وكبيرة في مجال الإعتقاد، والوقوف على بعض خصائص النبوة حين يخبرهم: بان الله قد رفع له جميع أرضهم، من أدناها إلى أقصاها، وأصبح يراها كأنها حاضرة لديه، تماماً كما جرى حين مات ملك الحبشة، حيث رفع الله له كل خفض، وخفض كل رفع. حتى رأى جسد النجاشي وصار أمامه، وصلى عليه صلاة الميت كما قدمناه..

خصلتان جُبِلَ الأشج عليهما:

وقد ذكرت الرواية: أن الله قد جبل الأشج على خصلتين، هما: الحلم والأناة..

ونقول:

إنه إن كان المقصود بذلك معنى ينتهي إلى ما يعتقد به الجبريون، فذلك غير صحيح، كما اثبته علماؤنا الأبرار فراجع[1].

بالإضافة إلى أن هذا يؤدي إلى القول بعدم استحقاق الأشج أية مثوبة على أي فعل تدعوه إليه تانك الخلتان..

وإن كان المقصود: أن الله تعالى قد أودع في الأشج استعداداً ينتهي به إلى العمل بهاتين الخلتين، دون أن يكون مسلوب الإختيار، فهو قصد صحيح ولا ضير فيه..

سيطلع عليكم ركب:

وثمة سؤال عن قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: سيطلع عليكم من ها هنا ركب الخ.. هل هو إخبار عن أمر غيبي؟! أم أنه ليس كذلك؟

قد يقال: نعم. فإن هذا هو ظاهر الكلام.

وقد يقال: لا، لأن ثمة نصاً يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» كان قد أرسل إلى البحرين يطلب قدوم وفد عبد القيس إليه[2].

ويمكن ان يؤيد ذلك: أنه قد كانت لعبد القيس وفادتان، فلعل إحداهما كانت بطلب منه «صلى الله عليه وآله»، وهي التي حصلت سنة تسع أو بعدها، وكان عدد الوفد أربعين رجلاً..

---

(١) راجع: دلائل الصدق، وغيره من كتب الإعتقادات

(٢) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣٦٠ وراجع ج١ ص٣١٤ و ج٥ ص٥٥٧ و (ط ليدن) ج٤ ق٢ ص٧٧ وج١ ق٢ ص٤٤.

وكانت الأخرى قبل الفتح، أو سنة خمس، أو قبلها، وتكون هي التي أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عن طلوع وفدها عليهم.

بل يحتمل: أن يكون قد أخبر بالغيب، حتى بالنسبة للوفادة التي طلبها النبي «صلى الله عليه وآله» منهم، فإن طلب قدوم الوفد لا يعني: المعرفة الدقيقة بوقت حركته، وبوقت وصوله، ولحظة طلوعه عليهم..

إلا أن يقال: بأن من المحتمل أن يكون قد جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله» من أخبره بموعد وصول الوفد.. فلا يكون ما حصل من قبيل الإخبار بالغيب أصلاً.

والصحيح هو: أن هذا من الإخبارات الغيبية، لأن حديث استقدام النبي «صلى الله عليه وآله» لوفدهم يقول: ليأتين ركب من المشرق.. إلى أن قال: بصاحبهم علامة ـ والمقصود بصاحبهم ـ الأشج.. وهذا التعبير يشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» بصدد إخبارهم بأمر غيبي لم يكن قد علمه بالطرق العادية.

طلب الإيفاد:

وقد ذكرنا آنفاً: أنه «صلى الله عليه وآله» قد طلب من العلاء بن الحضرمي: أن يوفد إليه من عبد القيس. أو أنه طلب من نفس بني عبد القيس إيفاد من يختارونه إليه. وذلك يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» كان يطلب وفادتهم من أجل أن يسهِّل عليهم من أجل الإندماج في المجتمع الجديد، ثم من أجل أن يسمعوا كلامه، ويروا بأم أعينهم سلوكه، وحالاته، فلعل ذلك يدعوهم إلى تلمس الفرق بين سلوكهم ومواقفهم، وحالهم،

وبين سلوك ومواقف وحالات رسول الله «صلى الله عليه وآله» والمجتمع الإيماني بصورة عامة.

فإن من شأن ذلك: أن يسهل عليهم اتخاذ القرار بالتعاون والتلاقي، والتفاهم، والإسلام والإندماج..

كما أن هذه السياسة لهم من شأنها: أن تطمئنهم إلى أنه «صلى الله عليه وآله» ليس راغباً في إذلالهم، ولا في التسلط الظالم عليهم، ولا في الإستيلاء على ثرواتهم، وبلادهم.

ثم إن هذه الوفود ستجد الفرصة للتأمل فيما يلقيه إليها، وعليها، أو يطلبه منها، ويجدون فرصة تقييمه بصورة صحيحة في أجواء هادئة. بعيداً عن التشنج والإنفعال، إذ ليست الأجواء أجواء مواجهة، وتهديدات.

الأشج ليس أصغرهم:

وقد صرحت بعض النصوص المتقدمة: بأن الأشج كان أصغر من في الوفد، وبأنه تخلف في الركاب حتى أناخها، وجمع متاع القوم، وذلك بعين رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

لكن ذلك غير دقيق، فقد صرحت روايات أخرى: بأن الأشج كان

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٧، والآحاد والمثاني ج٣ ص٣١٤، ومسند أبي يعلى ج١٢ ص٢٤٦، والمعجم الكبير للطبراني ج٢٠ ص٣٤٦، والرخصة في تقبيل اليد لابن إبراهيم المقرئ ص٦٦، وأسد الغابة ج٤ ص٣٥٢، وتهذيب الكمال ج١٣ ص٣٥٥، والبداية والنهاية ج٥ ص٥٧، وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥٥.

رئيس الوفد[1]، فلا يعقل أن يتأخر عنه، بل لابد أن يكون في مقدمته، ويتولى هو الكلام في حضرته «صلى الله عليه وآله»..

إلا أن يقال: ربما يكون تخلفه في الركاب، وجمعه متاع القوم، وكان أصغر الوافدين، إنما كان في وفادتهم الأولى، ثم نتج عن اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» به، وظهور حصافة رأيه وعقله أن أصبح رئيساً مقدماً، فجاء في وفادتهم الثانية، وله صفة الرئيس.

وفي الروايات الآتية تحت عنوان: متى قدم وفد عبد القيس: دلائل ظاهرة على تقدم الأشج في السن، وقد أضربنا عن ذكرها هنا استغناء بما ذكرناه هناك.

المرء بأصغريه:

وقد جاءت النصوص التي ذكروها عن وفد عبد القيس مضطربة، ومشوشة، فتارة يقول بعضها: فلما نظر «صلى الله عليه وآله» إلى دمامته قال: إنه لا يُسْتَقَى في مُسُوك[2] الرجال، إنما يحتاج من الرجل إلى أصغريه، لسانه، وقلبه[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٨ عن الطبقات الكبرى (ط ليدن) ج١ ق٢ ص٥٤.

(٢) المُسُوك: الجلود.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٧ عن أبي يعلى، والطبراني، والبيهقي، وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج٥ ص٣٢٧ وانظر البداية والنهاية ج٥ ص٤٧ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٣٩ و ١٤٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٥٥٨.

فيظهر من هذا النص: أن قائل هذه الكلمات هو الأشج نفسه.

لكنّ نصاً آخر يقول: فنظر إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «إنه لا يُسْتَقَى في مُسُوك الرجال، إنما يُحتاج من الرجل إلى أصغريه: لسانه وقلبه»[1]. حيث إنه صريح في: أن قائل ذلك هو رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهذا هو الموافق لما هو معروف من نسبة عبارة: «المرء بأصغريه: قلبه ولسانه» إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

والظاهر: أن ثمة غلطاً في ذلك منشؤه رواية الطبقات.. رغم أن الطبقات نفسه قد روى الرواية الصحيحة أيضاً.

أتوني لا يسألوني مالاً:

وقد نستفيد من قوله «صلى الله عليه وآله» عن وفد عبد القيس: «أتوني لا يسألوني مالاً»: أن الكثيرين ممن كانوا يأتونه كانوا طامعين بالحصول على الأموال، على سبيل الجشع والطمع، لا لمجرد رفع الحاجة، التي لا سبيل لهم إلى رفعها بغير مساعدته «صلى الله عليه وآله»..

رسول الله ﷺ يداوي مريضاً:

تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد عالج خال الزارع بن عامر، وأخرج منه (الجنّي) اللعين الذي كان سبب بلائه.. وإن كنا لم نستطع أن نفهم السبب في أنه قد شج وجه ذلك المصاب، رغم أن أمارات الشفاء قد

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٦٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٥٥٨ وعن البيان والتعريف لحمزة الدمشقي ج١ ص٢٤٠.

ظهرت عليه، وجعل ينظر نظر الصحيح، ليس بنظره الأول..

وقد ذكرنا أكثر من مرة: أن الناس كانوا يتوقعون من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يكون عارفاً بكل ما يحتاجون إلى علمه، وأنه قادر على إيصالهم إلى كل ما يريدون، من خلال صلته بالله تعالى..

وقلنا أيضاً: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يظهر أي اعتراض على طلباتهم هذه، بل كان يبادر إلى تلبيتها، وبذلك يكون قد كرس لديهم هذا الفهم لمقام النبوة. وقد جاءت النتائج لترسخ لديهم اليقين بصحة فهمهم هذا، وضرورة الإستقامة، والإستمرار على الالتزام بمقتضياته.

النبي ﷺ يؤخر الركعتين بعد الظهر:

وأما تأخير النبي «صلى الله عليه وآله» الركعتين بعد الظهر بسبب انشغاله بوفد عبد القيس، فليس فيه ما يوجب الإشكال، فإنه ـ لو فرض صحة الرواية بذلك ـ فإنما أخر صلاة مستحبة، ولعلها نافلة العصر، التي قد يكون من عادة النبي «صلى الله عليه وآله» الإتيان بها فور الإنتهاء من صلاة الظهر، فأخرها عن الوقت الذي جرت عادته على الإتيان بها فيه، من دون أن يتجاوز في ذلك وقت فضيلة العصر.. فأخرها لأمر رأى أن ثوابه أعظم، كما أنه لم يؤخرها عن وقتها، بل أخرها عما اعتاده من الإتيان بها في وقت بعينه..

لماذا اقتصر على بعض الأوامر؟!:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أنه «صلى الله عليه وآله» أمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، فلماذا اقتصر على هذه الأربع.

ويجاب: بأنه إنما أخبرهم ببعض الأوامر، لكونهم سألوه أن يخبرهم بما يدخلون بفعله الجنة، فاقتصر لهم على ما يمكنهم فعله في الحال، ولم يقصد إعلامهم بجميع الأحكام التي تجب عليهم فعلاً وتركاً.

ويدل على ذلك: إقتصاره في المناهي على الإنتباذ في الأوعية، مع أن في المناهي ما هو أشد في التحريم من الإنتباذ، لكن اقتصر منها على هذه الأمور لكثرة تعاطيهم لها[1].

ونقول:

إنه لا ريب في أنهم يعرفون حكم ما هو من قبيل: الصدق، والكذب، وقتل النفس المحترمة، وقطيعة الرحم، أو صلتها، وغير ذلك كثير، ولكنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يؤكد عليهم في الأمور التي يعرف أنهم لا ينشطون إليها، بل لديهم الصوارف الكثيرة عنها.

تعظيم مُضر لشهر رجب:

وأما بالنسبة لقولهم: إنه لا يصلون إليه إلا في شهر حرام.

فالظاهر: أن المراد به: شهر رجب.

ولذا أضيف إليهم في حديث أبي بكرة، حيث قال: رجب مضر.

والظاهر: أنهم كانوا يخصونه بمزيد التعظيم، مع تحريمهم القتال في الأشهر الثلاثة الأخر، إلا أنهم ربما أنسأوها، ولذا ورد في بعض الروايات:

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٧١ و ٣٧٢ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٣٨.

الأشهر الحرم، وفي بعضها: إلا في كل شهر حرام[1].

نبايعك على أنفسنا:

ثم إن من دلائل عقل الأشج: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال له: تبايعون على أنفسكم وقومكم؟!

فقالوا: نعم.

فقال الأشج: يا رسول الله، إنك لن تزاول الرجل على شيء أشد عليه من ديته، نبايعك على أنفسنا، ونرسل من يدعوهم، فمن اتبعنا كان منا، ومن أبى قتلناه.

قال: صدقت.. إن فيك خصلتين: الحلم والأناة[2].

متى قدم الوفد؟!:

وعن تاريخ قدوم وفد عبد القيس إلى المدينة نقول:

ذكر العلامة الأحمدي «رحمه الله»: وجوه الإختلاف في تاريخ قدوم وفد عبد القيس، فقيل: سنة خمس.

وقيل: تسع.

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٧١ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٣٥.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٣٩ عن عياض، وصحيح مسلم ج١ ص٣٦، وشرح مسلم للنووي ج١ ص١٨٩، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ج٦ ص١٢٩.

وقيل: قبل فتح مكة.

وقيل: بعده.

وقيل: سنة عشر[1].

وقال أيضاً: إنه «صلى الله عليه وآله» كتب إلى العلاء ابن الحضرمي في البحرين: أن يقدم عليه عشرون رجلاً، فقدموا عليه ورأسهم عبد الله بن عوف الأشج (ثم ذكر أسماءهم). فشكى الوفد العلاء بن الحضرمي، فعزله «صلى الله عليه وآله» وولى أبان بن سعيد، وأوصى بعبد القيس خيراً[2].

وهذا يدل على: أن وفودهم كان في سنة تسع، لأن بعث العلاء إلى البحرين كان بعد فتح مكة.

غير أننا نقول:

إن ذلك لا يمنع من أن يكونوا قد وفدوا قبل ذلك، فقد قيل: إنه «صلى الله عليه وآله» بعث ابن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى في البحرين في السنة الثامنة.

وقيل: في السابعة.

وقيل: قبل فتح مكة.

وقيل: في العاشرة كما في الطبري[3].

وهذه الأقوال تفسح المجال أمام احتمالات الأقوال في وقت مجيء الوفد إلى المدينة.

---

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص١٩٦.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣٦٠ وراجع ج١ ص٣١٤ و ج٥ ص٥٥٧ و (ط ليدن) ج٤ ق٢ ص٧٧ وج١ ق٢ ص٥٤، ومكاتيب الرسول ج٣ ص٢٠٢.

(٣) راجع: مكاتيب الرسول «صلى الله عليه وآله» ج٣ ص٢٠٢.

ولكنّ نصاً آخر يصرح: بأن راهباً أخبر صديقه المنذر بن عائذ، بأن نبياً يخرج بمكة يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه علامة، فأخبر المنذر الأشج بذلك، ثم مات الراهب.

فبعث الأشج ابن أخته وصهره، اسمه عمرو بن عبد القيس إلى مكة، ومعه تمر ليبيعه، وملاحف. وكان ذلك عام الهجرة، فلقي النبي «صلى الله عليه وآله»، ورأى صحة العلامات، وأسلم، وعلمه النبي «صلى الله عليه وآله» سورة الحمد وسورة إقرأ. وقال له: ادع خالك إلى الإسلام، فرجع وأسلم المنذر، ثم خرج في ستة عشر رجلاً من أهل هجر، وافداً إلى المدينة. وذلك عام الفتح، ثم شخص «صلى الله عليه وآله» إلى مكة، ففتحها[1].

وقيل: إنه أتى النبي «صلى الله عليه وآله» في مكة[2].

وربما يكون قد اتاه في مكة يوم فتحها، لا قبل الهجرة.

وقد رجح الزرقاني: أنه كانت لعبد القيس وفادتان: إحداهما: قبل الفتح، بدليل: أنهم قالوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن كفار مضر قد حالوا بينهم وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن حيلولتهم هذه إنما كانت سنة خمس أو قبلها.

ويوضح ذلك نص آخر، فيقول: إن منقذ بن حيان كان متجره إلى المدينة في الجاهلية، فشخص إلى المدينة بملاحف، وتمر من هجر بعد هجرة

---

(١) راجع: الإصابة ج٢ ص١٧٧ (ترجمة صحار العبدي) وفي (ط دار الكتب العلمية) ج٣ ص٣٣٠ و، وراجع الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٤١١.

(٢) الإصابة ج٣ ص٥٧٧.

النبي «صلى الله عليه وآله» إليها، فبينما منقذ قاعد إذ مرّ به «صلى الله عليه وآله»، فنهض إليه منقذ، فقال له «صلى الله عليه وآله»: كيف قومك؟ ثم سأله عن أشرافهم، رجل رجل يسميهم بأسمائهم، فأسلم منقذ، وتعلم سورة الفاتحة، وسورة إقرأ، ثم رحل قِبل هجر، وكتب «صلى الله عليه وآله» معه لجماعة عبد القيس كتاباً، فلما وصل إليهم كتمه أياماً، وكان يصلي ويقرأ، فذكرت ذلك زوجته لأبيها المنذر بن عائذ، (وهو الأشج)[1]، وقالت له: أنكرت بعلي منذ قدم يثرب، إنه يغسل أطرافه، ويستقبل الجهة ـ تعني القبلة ـ فيحني ظهره مرة، ويضع جبينه مرة.

وذكرت: أنه قد صبأ.

فاجتمعا، وتجاريا ذلك، فأسلم المنذر، ثم أخذ الكتاب وذهب إلى قومه، فقرأه عليهم، فأسلموا، واجمعوا المسير إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

تغير الوجوه دليل تعدد الوفادة!!:

استدلوا على تعدد وفادة عبد القيس بقوله «صلى الله عليه وآله» لهم: «ما لي أرى ألوانكم تغيرت»، ففيه إشعار بأنه رآهم قبل التغير[3].

ولكنه استدلال غير كاف، فإن من الممكن أن تكون الآثار قد ظهرت

---

(١) لاحظ الإختلاف بين الروايات في من هو الأشج.

(٢) راجع: مكاتيب الرسول ج٣ ص١٩٦ عن الكرماني، وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٧٢ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٣٨

(٣) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٤١ عن ابن حبان، وفتح الباري.

على وجوههم، فإن كل إنسان يستطيع أن يدرك أن ثمة تغيراً طرأ على الوجوه، التي يفترض أن تكون على صفة معينة، تشابه فيها ما يعرفه الناس من ألوان وجوه الذين يعيشون معهم في نفس المحيط.

دليل سبق عبد القيس إلى الإسلام:

ولعل مما يدل على تعدد وفادتهم، قولهم: «الله ورسوله أعلم. وقولهم: يا رسول الله، دليل على أنهم كانوا حين المقالة مسلمين»[1].

ونقول:

إننا وإن كنا نرى: أنهم كانوا مسلمين حقاً في ذلك الوقت غير أن من الجائز أن يكون قولهم هذا قد جاء بعد إسلامهم في نفس هذه الوفادة، ولعل الرواة اختصروا ما جرى، أو غفلوا عن ذكر بعض فصوله.

عبد قيس سَبَقَتْ إلى الإسلام:

ويدل على سبقهم إلى الإسلام: ما رواه العقدي عن ابن عباس: أن أول جمعة أقيمت بعد جمعة في مسجد رسول الله، هي تلك التي أقيمت في مسجد عبد القيس بقرية «جُواثَى» في البحرين. وإنما جمعوا بعد رجوع وفدهم إليهم. قال العسقلاني: فدل على أنهم سبقوا جميع القرى إلى الإسلام[2].

وجُواثَى: بضم الجيم، وبعد الألف مثلثة مفتوحة.

---

(١) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٤١ و ١٤٢ عن فتح الباري.

(٢) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٤٢ عن فتح الباري، وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٧٠، وفتح الباري ج١ ص١٢٢، و عمدة القاري ج١ ص٣١٠.

غير أننا نقول:

إن ذلك يدل على تمكنهم من إظهار دينهم، وممارسة شعائرهم، ولعل غيرهم كان أسبق منهم إلى الإسلام، لكن لا يستطيع إقامة الجمعة، بسبب ما يخشاه من أذى يناله من المحيط الذي يعيشون فيه.

غير أننا بالنسبة لتقدم إسلام عبد القيس على مضر نقول:

إن قولهم: وبيننا وبينك هذا الحي من مضر، ولا نصل إليك إلا في شهر حرام. يدل على: تقدم إسلام عبد القيس على إسلام قبائل مضر الذين كانوا بينهم وبين المدينة، وكانت مساكن عبد القيس بالبحرين وما والاها من أطراف العراق[1].

متى فرض الحج؟!:

وقالوا: إن خلو الرواية من ذكر الحج يدل على: أن هذا الوفد كان قبل تشريعه، لأن ابن القيم يقول: إن الحج قد فرض في السنة العاشرة[2].

ورد عليه القسطلاني: بان فرض الحج كان سنة ست على الأصح[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٧٠ عن البداية والنهاية، والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٤١، وفتح الباري ج١ ص١٢٢، وعمدة القاري ج١ ص٣٠٩، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٥٢.

(٢) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٤٣ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٧١.

(٣) المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج٥ ص١٤٢ و ١٤٣، وفتح الباري ج١ ص١٢٤، والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٠٧.

وقالوا: إن رواية أحمد قد صرحت: بأن إحدى الوفادتين كانت قبل فرض الحج، والأخرى كانت بعد ذلك، أي بعد السنة السادسة.

فرد العلامة الأحمدي «رحمه الله»: بأن الحديث صدر عنه «صلى الله عليه وآله» مرة واحدة، ولكن الراوي لم يذكر الحج في بعض النصوص، كما لم يذكر الصيام في بعضها الآخر[1].

وقد ورد في رواية البيهقي قوله: «وتحجوا البيت الحرام».

واعتبرها الزرقاني رواية شاذة، لأنها لم ترد في البخاري، ومسلم، وابن خزيمة، وابن حبان.

إلا أن هذا إنما هو بالنسبة لرواية أبي حمزة عن ابن عباس، لكن روى أحمد من طريق ابن المسيب وعكرمة عن ابن عباس ذكر الحج في قصة وفد عبد القيس[2].

عدد الوفد:

قال العلامة الأحمدي «رحمه الله» ما ملخصه: «اختلفوا في عدد الوافدين، فقيل: ثلاثة عشر راكباً.

وقيل: أربعة عشر.

وقيل: ستة عشر.

---

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص٢٠١.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٥ ص١٣٨، والآحاد والمثاني ج٣ ص٢٦٠، والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص١٨٨، وصحيح ابن حبان ج١ ص٣٧٣، والمعجم الكبير للطبراني ج١٠ ص٢٨٩.

وقيل: ثمانية عشر.

وقيل: عشرون.

وقيل: أربعون».

وقال الزرقاني: كان هناك وفدتان:

إحداهما: قبل الفتح، حيث كفار مضر يحولون بينهم وبين النبي «صلى الله عليه وآله»، وكان ذلك إما في سنة خمس من الهجرة أو قبلها. وعدد الوفد ثلاثة عشر كما رواه البيهقي. وقيل: أربعة عشر كما جزم به القرطبي والنووي.

والأخرى: سنة الوفود. وكان عدد الوفد الثاني أربعين رجلاً.

وقد عدّ العلامة الأحمدي «رحمه الله» في هامش كتابه أسماء ثمانية وثلاثين رجلاً من الوافدين، مشيراً إلى المصادر التي صرحت باسم كل منهم[1].

فلا يلتفت إلى قول النووي: «إنهم كانوا أربعة عشر راكباً ـ ثم ذكر أسماءهم ـ ولم نعثر بعد طول التتبع على أكثر من أسماء هؤلاء»[2].

---

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج٣ ص١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ وكلام الزرقاني ورد في شرحه على المواهب اللدنية ج٥ ص١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٧٠ و ٣٧١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٧٠ و ٣٧١، وشرح مسلم للنووي ج١ ص١٨١، وفتح الباري ج١ ص١٢١.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

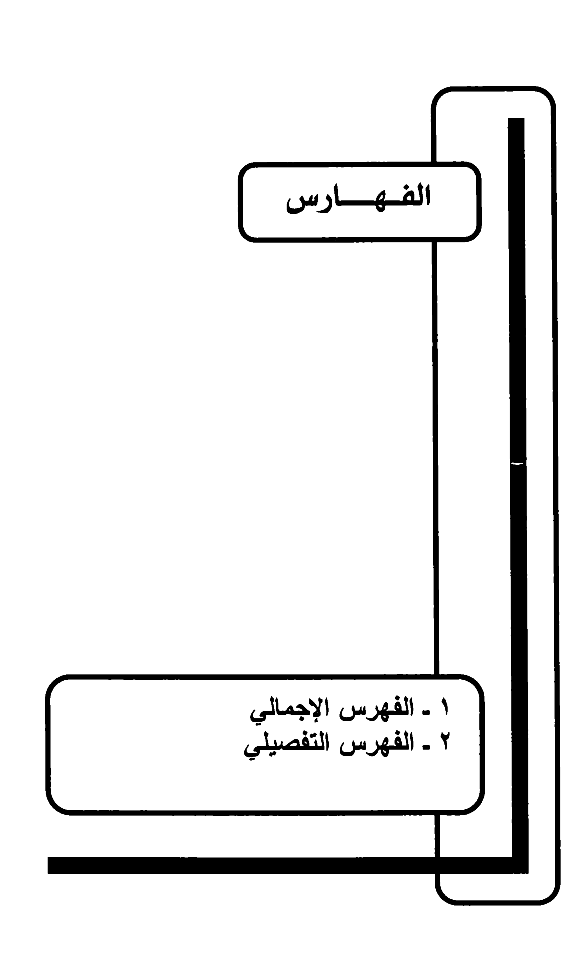
[illegible]

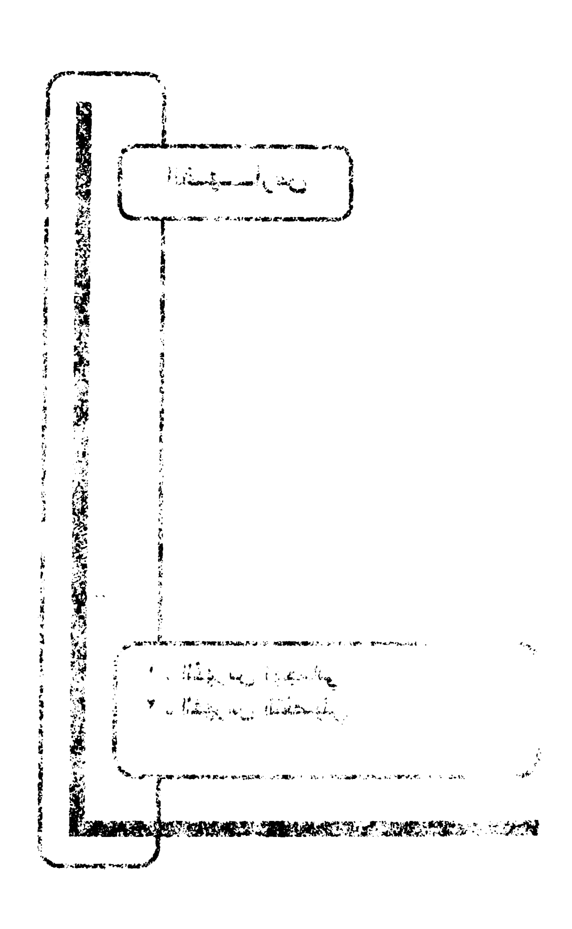
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]


الفهـــارس
١ ـ الفهرس الإجمالي
٢ ـ الفهرس التفصيلي



١ ـ الفهرس الإجمالي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفصل الثاني عشر: السرايا ما قبل الأخيرة

الباب السابع: الوفادات على رسول الله ﷺ

الفصل الأول: وفادات غير معتادة

الفصل الثاني: أشخاص عُلم تاريخ وفادتهم

الفصل الرابع: ست وفادات شخصية

الباب الثامن: وفود لها تاريخ

الفصل الأول: وفود قبل فتح مكة

الفصل الثاني: وفادات قبل سنة تسع

الفهارس: